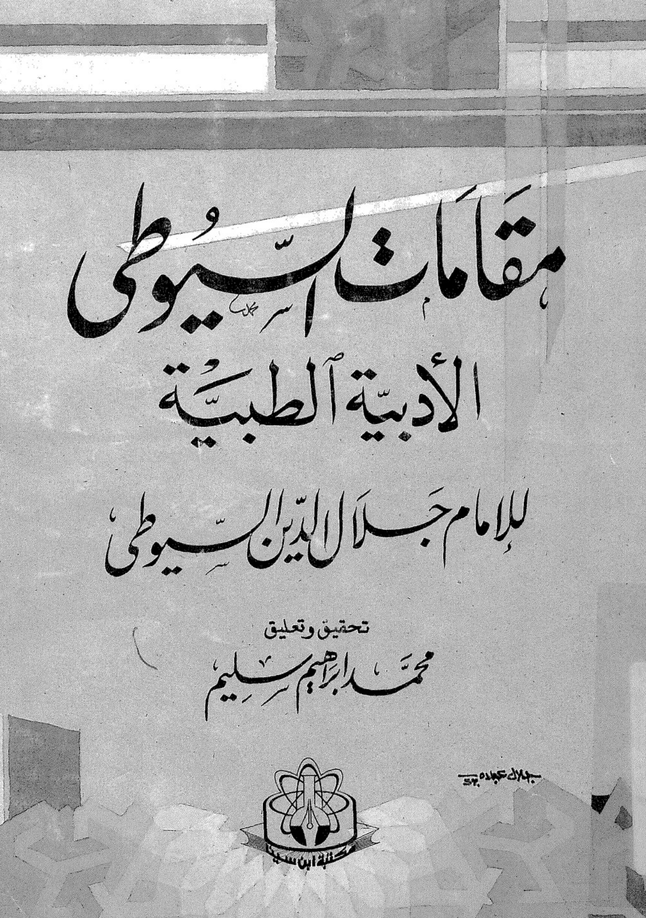

مقامات السيوطي
الأدبية الطبية
للإمام جلال الدين السيوطي
تحقيق وتعليق
محمد ابراهيم سليم
مكتبة ابن سينا

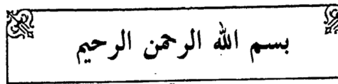
مقامات السيوطي

الأدبية الطبية

للإمام جلال الدين السيوطي

تحقيق وتعليق
محمد ابراهيم سليم

مكتبة ابن سينا
للنشر والتوزيع والتصدير
٧٦ شارع محمد فريد - جامع الفتح - النزهة
مصر الجديدة القاهرة ت ٢٤٧٩٨٦٣ / ٢٤٨٠٤٨٣



الحمد لله الذى جعل العربية لغة القرآن فحفظها على مر الزمان برغم المحن والعُدوان !! .

وصلاة وسلاما دائمين على أفصح العرب وأبلغهم سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد ... فإذا كان أدبنا العربى قد أُريدَ له أخيرا أن يُصبح عالميا فيشهدَ بفضله الجميع فى الشرق والغرب ، وتجدَ لغة القرآن حظّها من التقدير والعِرفان بعد الجحود الطويل والنكران !ـــ فإن علينا أن نقف وقفة مع تراثنا لنشهد رحلة التراث العربى على مر الزمان !

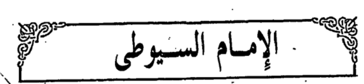
إن الذين يقرءون « القصة القصيرة » الآن لا يكادون يذكرون « فن المقامة » العربية بجذوره الأصلية ، وروافده الثقافية الثّرّة عبر العصور والأجيال ، ابتداء« بمقامات الهمذانى » وانتهاء برواية زينب .

وليس هناك من شك أن « المقامة » نوع أدبى ولون من النثر له خصائصه الفنية ودعائمه الأساسية ، يتوخى مؤلفها طرح ما يشاء من أفكار أدبية ، أو خواص تأملية ، أو انفعالاتٍ وُجدانية ، أو مهاراتٍ لغوية ، فى صورة ذات ملامح بديعيّة ، وسماتٍ زخرفية إنّها حَقًّا مرآة لعصرها ، وصدى لذوق أهله .

ومن المتفق عليه أنَّ «**بديع الزمان الهمذانى**» هو الأديب الذى صاغ المقامات بشكلها النهائى المعروف لدينا ، وأنها حصيلة لتجارب متواصلة ، وبَلْورة لأنواع أدبية كثيرة . ولم تقف مسيرة المقامة عند مرحلة الابتكار بل إنها أثارت إعجاب الأدباء ، وفضول القارئين ، فتلقف التجربةَ أدباءُ كثيرون جيلا بعد جيل حتى عصرنا الحديث .

ولقد تجاوز « فن المقامة » آفاقه العربية ، فنجد من استهوته المقامات فراح ينشئ على غِرارها مقاماتٍ فارسية ، ومنهم من ترجمها إلى العِبْرية ، ومن المستشرقين من حققوها ومنحوها عنايتهم وجُهدهم ، ولا عجب فهى ذخيرة لغوية يجد فيها كل المنشئين ضالتهم ، وقِوام أسلوبهم . وغاية آمالهم .

وفى هذا الكتاب نعيش مع رائد عظيم فى مقاماته هو الإمام جلال الدين السيوطى فتعال إليه :



فى كتابه : « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » تَرجم لنفسه كما ترجم لوالده ؛ فهو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين .. السيوطى الشافعى المصرى .

ولد بالقاهرة بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة ٨٤٩هـ .

وكانت وفاته يوم الخميس ٩ من جمادى الأولى سنة ٩١١هـ وما بين هذين التاريخين كانت حياة اليتيم الذى ملأ طباق الأرض علما .

السيوطى الأديب :

من العجيب أن يعترف السيوطى على نفسه بأنه لم ينبغ النبوغ الكافى فى فن الإنشاء والترسل ، مع العلم أن حَسْبَه من الإنشاء هذه المجموعة الضخمة من المؤلفات !

لا يفُوتنى أن أشير إلى أن « المقامة السُّندسية فى النسبة المصطفوية » هى فى الواقع رسالة ، لا مقامة بالمعنى المفهوم من المقامات ، وقد ألف فيها السيوطى نحو ست رسائل فى التدليل على نجاة والدى النبى ﷺ مما يدل على غيرة السيوطى على النبى ﷺ وعلى آل بيته .

القيمة الفنية لمقامات السيوطى !

وتعتبر مقامات جلال الدين السيوطى [ت ٩١١] من أشهر المقامات التى كتبت فى العصور الوسيطة المتأخرة بل إنها مرحلة انتقال بفن المقامة من حال إلى حال .. فأغلب المقامِيّين يُقيمون مقاماتهم على أربع دعائم ، وهى : (الراوى ،

والبطل ، والموضوع ، والأسلوب) . بينما نجد « مقامات السيوطى » ليس لها بطل ، ولا راو وهى تشبه الرسائل .

ويقول صاحب كشف الظنون : إن عددها تسع وعشرون فى موضوعات تاريخية وفقهية وصوفية .

بينما نجد صاحب « سجل مؤلفات السيوطى » حصرها فكانت سبعا وثلاثين مقامة ، توجد متفرقة أو ضمن مجموع فى مكتبات العالم ، كما ذكرت من قبل .

ولمقامات السيوطى قيمتها عند الباحثين والنقاد والمستشرقين ، فإلى جانب قيمتها الأدبية تتراءى لنا قيمتها الطبية التى تلفتنا إلى التداوى بالأعشاب والنباتات من جديد فى دقة علمية .

عبارات مَرِحةٍ ذات جاذبية !! فى وقت تطالب فيه المؤتمرات الطبية الإسلامية بالتوسع فى استخدام النباتات الطبية التى أوردتها كتب التراث !

وقد يجد الباحث فى شخصياته مجرد رموز أراد بها دلالاتٍ أوسعَ فى الحياة الاجتماعية والواقع المُعاش .

نعم ربما يجد الباحث فيها مدلولا رمزيا يعبر عن الأنماط المتصارعة من البشر فى الحياة الاجتماعية . والنماذج التسلقية. ومهما يكن من شيء فقد قيل فيها :

« هى — لعمرى — تحفة الأديب ، وبُغْية الطبيب ، وشفاءُ السقين ، وتذكرة العليم ، من آداب زاهية ، وعقاقير شافية ، وحديث وتفسير ، أودعت من أبكار الأفكار كواعب أترابا » .

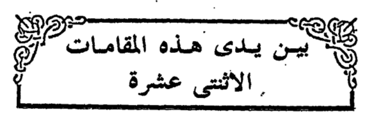
ومن يستعرض مقامات السيوطى التى ضمها هذا الكتاب يقف على لونين :

(١) مقامة المناظرة والمفاخرة .

(٢) مقامة المقالة .

وأراك تقول بعد هذا العرض :

لقد كانت المقامة إرهاصة قصصية ، ومرحلة من مراحل النثر الفنى مرت بها الأحاديث والأسمار فى طريقها نحو القصة . وربما يكون الطريق قد طال بها فاستغرقت أجيالا كان ينبغى ألا تستغرقها .



بين يدى هذه المقامات الاثنتى عشرة

حتى هذه اللحظة لم يظهر كتاب يضم مقامات السيوطى جميعها كما هو الحال فى مقامات الهمذانى والحريرى وغيرهما .

ويكفى أن نعلم أن مقامة « رشف الزلال من السحر الحلال » ماهى إلا مقامة كبرى فى ضمنها إحدى وعشرون مقامة صغرى كل واحدة منهن تحكى عن صاحب علم من العلوم أو فن من الفنون أنه أعرس ..!! فكيف يتسنى للكتاب أن يجمع هذا الحشد من المقامات ؟!

وقد جاءت « ست » منها ضمن مجموع مودع بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٨٠٨٢ .

وقامت بطبعها « دار الدعوة » باستانبول . ١٩٨٨م .

وفى رحلة البحث عثرنا على نسخة مطبوعة فى مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٢٩٨ هـ تضم اثنتى عشرة مقامة . منها هذه المقامات الست مضافا إليها ست مقامات أخرى وإليك تعريفا بها جميعها .

المقامات الست الأولى

١ ـ *المقامة الوردية أو مقامة الرياحين :*

أجرى فيها حواراً بين الورد والنرجس ، والياسمين ، والبان ، والنسرين ، والنَّيْلوفَر ، والآس ، والريحان .

٢ ـ *المقامة المسكية :*

أنشأها بعد مقامته التى تسمى « الوردية » والتى تكلم فيها على الرياحين .

٣ ـ *المقامة التفاحية :*

انشأها فى الفواكه الرطبة عرف فيها بطبائعها ، وذكر منافعها فى الطب والغذاء ،

وعشنا فيها مع : الرّمان والأُتْرُجّ ، والسّفرجل والتّفاح ، والكُمَّثْرَى والنبق ، والخوخ .

٤ ـــ المقامة الزمردية :

انشأها فى الخَضْرَاوَات السبع التى هى :

القرع والهِندبا ، والخَس والرِّجلة ، والبامية والملوخية والخُبّازَى .

ذكر فيها أوصافها ومنافعها فى الطب والغذاء .

٥ ـــ المقامة الفستقية :

أنشأها فى الفواكه اليابسة التى هى :

الفستق واللّوز ، والجَوْز والبُندق ، والشّاهْبَلّوط ، وحبّ الزّلّم ، وحب الصّنَوْبَر متكلما عن طبائعها ومنافعها .

٦ ـــ المقامة الياقوتية :

أنشأها فى الأحجار السبعة الكريمة : الياقوت ، واللؤلؤ ، والزمرد ، والمرجان ، والزّبرجَد ، والعقيق ، والفَيروزَج .

يذكر عن كل حجر ما ورد فيه من الآثار وما فيه من المنافع الطبية ، وبعض ما قال الشعراء فى وصفه أو التشبيه به من الأشعار .

وإلى جانب هذه المقامات الست نجد ست مقامات أخرى لتصبح اثنتى عشرة مقامة .

المقامات التى تضمنتها طبعة الجوائب بالقسطنطينية ١٢٩٨ إلى جانب المقامات الست السابقة

٧ ـــ المقامة الذهبية فى « الحمى » .

٨ ـــ المقامة البحرية :

أنشأها فى نقصان النيل بهد المد ثم عوده إلى المد بعد النقصان .

[ذكرها خليفة فى كشف الظنون ضمن مَسْرد المقامات السيوطية] .

٩ ــ مقامة « بلبل الروضة » :

أنشأها فى وصف روضة مصر .

[ذكرها خليفة فى كشفه والعظم فى عقوده] .

١٠ ــ المقامة الطاعونية « الدرية » :

أنشأها فى الطاعون الذى أصاب الديار المصرية والشامية سنة ٨٩٧ ثم أعاد عليها الكرة فى السنة التالية .

[ذكرها خليفة فى كشف الظنون ضمن مَسْرد مقاماته] .

١١ ــ المقامة اللازوردية :

عزى فيها عن فقد الذرية.

[توجد مخطوطة بمكتبة الحرم المكى ، وبالكتبخانة الخديوية ، وبالخزانة العامة بالرّباط] .

١٢ ــ المقامة السندسية :

فى والدى خير البريّة .

[ذكرها خليفة فى كشفه والعظم فى عقوده] .

وإذا كانت مقامات الحَرِيرىّ وغيره قد وجدت من يقوم بعبء تحقيقها ، وشرحها ، وتسليط الأضواء على ما فيها من علوم اللغة والأدب ليتسنى انتفاع الأجيال بها ــ فإن مقامات السيوطى لم يتَصَدَّ لها بالشرح والبيان أحد حتى الآن ، ومن هنا صدق عليها ما جاء فى سجل مؤلفات السيوطى من أنها « خاملة » على جلالتها ونفاستها ، « منسية » على مافيها من الفائدة والإمتاع .

وذلك ما حملنى على القيام بتحقيقها بما يتيح الانتفاع الكامل بها للأجيال على أكمل وجه ، وخير حال .

عملى فى تحقيق هذا النص :

١ ــ قمت بضبط ما يحتاج إلى ضبط سواء فى ذلك الشعر والنثر .

٢ ــ وضعت عناوين فاصلة تتيح للقارئ استفادة كاملة .

٣ ــ حلقت مع السيوطى فى آفاقه ، وأشركت القارئ الناشئ معى فى فهم عباراته محاولا إثارة تفكيره ، وحفز همته ، وشحذ ذهنه ، ليرتفع إلى مستوى النص ومافيه من توريات وإشارات وتلميحات ..

٤ ــ عند الحديث عن الخَوَاصّ والفوائد الطبية أفردت كل فائدة عن الأخرى وسلطت الأضواء على أسماء الأمراض والأعراض مستعينا بما تضمنته المراجع ، ودوائر المعارف ، ومعاجم المفردات الأعجمية .

٥ ــ أمام كثرة الألفاظ والعبارات ، وحرصا على أن يتعامل القارئ مع النص بادئ ذى بدء قسمت الموضوع فقرات ووضعت لكل فقرة رقما خاصا بها فى الأصل والهامش ينضوى تحته ما تعرضت له من الكلمات والعبارات بدلا من تشويه النص بوضع أرقام فوق كلماته وعباراته ، تحول دون إعمال الفكر ، وتسديد النظر ، وكررت الرقم بوضعه فى أعلى الفقرة بين معقوفتين ليفصلها عن غيرها ، ووضعه فى أسفلها لحصر الألفاظ الواقعة بين الرقمين فى الهامش داخل إطار بعد كل فقرة ، ليرجع إليها من يجب .

٦ ــ لم يفتنى أن أخرج الأحاديث التى جرت على ألسنة المتناظرين أو استشهد بها السيوطى ، وهو الحافظ صاحب الجامع الكبير والصغير .

٧ ــ وقبل كل هذا وضعت إلى جانب الآيات ما يبين رقمها فى سورتها .

وسوف ترى أننى قد حركت هذه المقامات ، بما سلطته عليها من الأضواء ، وما أتحته للقارئ من إيضاحات .. ومابينته من إشارات وتوريات .. وكل أملى أن أكون قد وفقت فيما قصدت .

والله ولى التوفيق

محمد إبراهيم سليم

القاهرة فى : *٢٧ من ربيع الأول سنة ١٤٠٩ هـ*
٧ من نوفمبر سنة ١٩٨٨ م .



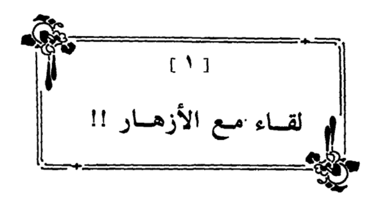
المقــامة الورديــة

فى

الريـاحيـن والأزهــار

أجرى فيها السيوطى مزيدا الحوار بين أكابر الأزهار .

وراح يحضر فصل الخطاب ، ويستمع إلى ما يأتى به كلٌّ من فنون الحديث المستطاب ، ويتاح لك أن تعيش مع الورد والنرجس ، واليّاسَمين والبان ، والنسرين والبنفسج ، والنيلوفر والآس ، ثم الريحان !



[١]

لقـاء مـع الأزهـار !!

حدثنا الرّيّان عن أبى الرّيحان ، عن أبى الوردِ أَبان ، عن بُلْبُلِ الأَغصان ، عن ناظر الإنسان ، عن كوكبِ البُستان ، عن وابل **الهَتّان**[1] ، **قال** :

وقفة مع النص :

(١) **حدثنا الريان** : كأنما يذكر السيوطى « سند المقامة » كما يفعل الرواة وكيف لا وهو صاحب الجامع الكبير ، والإمام فى الحديث والرواية والتفسير ؟! وكل إناء بما فيه ينضح !

أما **الريّان** : فهو الممتلئ . **والهتّان** : الهطّال .

[٢]

مَررتُ يوماً على حديقةٍ خضرة نَضِرة أنيقة ، **طُلُولُها وَدِيقَة** ، وأغصانُها **وَرِيقة** ، وكوكبُها أبْدى بريقَه ، ذات **ألوانٍ وأفنان** ، **وأكمامٍ وأكنان**(٢) .

وقفة مع النص :

(٢) **أنيقة** : راعَ حسنُها وأعجب . **الطلول** : جمع طلل . موضع مرتفع يُهَيّأ لمجلس أهلها . **وديقة** : فيها بقل أو عُشْب . **وريقة** : مورقة كثيرة الورق . **نَضِرة** : ذات رونق وبهجة . **وكوكبُها** : الكوكب : معظم الشيء . مثل كوكب العُشب ، ومِن الروضة : نَوْرُها . **والأفنان** : جمع فنن . وهو الغُصْن المستقيم من الشجرة . **وأكمامٍ وأكنان** : **الأكمام** جمع كِمّ بكسر الكاف : بُرعوم الثمرة ، ووعاء الطلع ، وغطاء النَّوْر . **والأكنان** : جمع كِنّ : كل مايَرُدّ الحرّ والبرد من الأبنية والغِيرَان ونحوها .

[٣]

وإذا بها **أزرارُ** الأزهارِ مجتمعة ، **وأنوارُ** الأنوارِ **مُلْتَمِعة** ، وعلى منابِر الأغصانِ أكابِرُ الأزاهر ، **والصَّبَا** تضربُ رءوسَها من الأوراق الخُضْر **بالمزاهر**(٣) .

وقفة مع النص :

(٣) أزرارُ الأزهار : **الأزرار** : جمع زِرّ : وهو بُرْعُم النبات . **وأنوارُ الأنوار** : **أنوار** الأولى . جمع نُور ، أما الثانية فهى جمع نَوْر : زهر . **والصَّبا تضرب رءوسَها بالمزاهر** : **الصَّبَا** : ريحٌ ليّنة . **والمزاهر** : جمع مِزْهر . وهو العود الذى يُضرب به . إن النسيم يداعب الورد ويلاعب رءوس الأغصان فتلتقى الأوراق مع الأزهار عندما يحرك النسيم أعواد الورد فكأنما يضرب بعضها بَعْضاً فى مرح وسرور ، وحركة موسيقية جميلة .

[٤]

تساؤل وإجابة

فقلت لبعض مَنْ عبر : ألا تُحدِّثُونى ما الخبر ؟! فقال : إن عساكرَ الرياحين قد حضرتْ ، وأزاهرَ البساتين قد نظرت لما به **نضَرت** ، واتفقت على عقد مجلس حافل ، لاختيار مَنْ هو بالمُلْكِ أحقّ **وكافل**(٤) .

وقفة مع النص :

(٤) **عَبَر** : قطع الطريق من جانب إلى جانب ومرّ بالحديقة .

نضرت : لما هى عليه من بهجة ونضارة ورونق .

وكافل : ضامن .

[٥]

تأهب للمناظرة حول مَن الأوْلى

وها أكابرُ الأزهار قد صَعَدت **المنابر** ، لِيُبْدِىَ كلٌّ حُجّتَه **للناظر** ، **ويُناظر** بين **أهلِ المناظر** ، فى أنه أحق أن**يُلحظَ بالنواظِر** ، من بينِ سائرِ الرياحين النّواضِر ، وأوْلى بأن يتأمّر على **البوادى** منها **والحواضر**(٥) .

وقفة مع النص :

(٥) **وها** : ها حرف تنبيه وإشارة ، ونجدها مصاحبة لأسماء الإشارة كما نقول : فى « ذا » هذا .

المنابر : جمع مِنبر . مايقف عليه الخطيب . والمراد بها هنا أعلى الأغصان . **للناظِر** : للرائى . **ويناظِر** : ويباحث ، ويُبارى فى المحاجّة ، ويجادل .

أهل المناظر : من هم أهل بالنظر ، وأصحاب الرأى .

يُلحَظ بالنواظر : ينظر بالعيون دليل الاهتمام والتقدير والإعجاب .

البوادى والحواضر : الصحارى والعمران .

[٦]

حضور المناظرة

فجلست لأحضر فصل الخِطاب ، وأستمع إلى ما يأتى به كلٌّ من فُنونِ الحديثِ **المستطاب** !(٦) .

المتحدث الأول

فهجم الوردُ بشوكته ، ونجَم من بين الرياحين مُعْجَباً بإشراقِ صورته ، وإفراقِ صَوْلته !(٦) ، وقال :

وقفة مع النص :

(٦) **المستطاب** : المستلَذ الذى يطيب للإنسان أن يَشمعه لأنه طيب .

فهجم الورد : قال صاحب التذكرة : الورد نَوْرُ كل نبت . وغلب على هذا النوع الذى يُشَمّ . ويقول المعجم الوسيط : هو جُنَيْبةٌ من الفصيلة الوردية تزرع لزهرها .. وهى أنواع وأصناف . ومن زهر الورد الدمشقى أو البلدى يستقطر ماء الورد ، والدُّهن المسمّى عطر الورد .

بشوكته : للورد حوله أشواك ، والمراد بالشوكة : القوة .

نجم : برز وظهر ، كما يظهر النجم .

وإفراق صولته : الصّولة : السطوة فى الحرب ونحوها ، وإفراقها ما لها من أثر فى جعل من تمتد يده إليه يَفْرق ويخاف ويجزع من أن تصيبه شوكته فتدميه .

[٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أنا الوردُ مَلِكُ الرياحين ، والواردُ مُنْعِشاً للأرواح ومتاعاً لها إلى حين ، ونديمُ الخلفاء والسلاطين .

والمرفوعُ أبداً على الأَسِرَّة ، لا أجلسُ على تُرْبٍ ولا طين ، والظاهرُ لونى الأحمرُ على أزهارِ البساتين(٧) .

وقفة مع النص :

(٧) **الوارد** : المشرف على المكان دخله أو لم يدخله ، وشجرة واردة الأغصان : تدلّت أغصانها . فهو حين يَرِدُ (يَفِدُ) علينا يُنعش أرواحنا .

متاعاً لها إلى حين : اقتباس لطيف من القرآن الكريم من : [الآية رقم ٣٦ من سورة البقرة] : ﴿ ولكم فى الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين ﴾ وفيه إشارة إلى عمره القصير .

على الأسرّة : جمع سرير . وكما يطلق السرير على المضطَجع (مكان الاضطجاع) . يطلق أيضا على مايُجْلَس عليه فيقال : سرير العرش . ونحن لا نرى الورد إلا محمولا على قاعدة تعَدّ له وتناسبه .. أو فى زهرية ، أو فى عروة الملابس .. فلا يُرى إلا مرفوعاً .

[٨]

والأشرف من كل رَيْحانٍ فخراً بأنّى خُلقتُ من عَرَق المصطفى ﷺ وجبريلَ ، والبُراقِ لَيلةَ الإسْراءِ .

والمظَفّرُ بقوةِ الشّوكةِ والصّولةِ ، والمنصور على مَن ناوأنى ؛ لأنى صاحبُ الدّولة .

والعزيزُ عند الناس ، والمَوْدُودُ بين الجُلّاس للإيناس[٨] .

وقفة مع النص :

(٨) **خلقت من عرق المصطفى ﷺ** : قال الإمام النووى : لا يصح ، وقال الحافظ بن حجر : موضوع . وسبقه ابن عساكر .

ولكنه مذكور فى « **مسند الفردوس** » **للديلمى عن أنس** رفعه بلفظ : « الورد الأبيض خلق من عرق ليلة المعراج ، والورد الأحمر خلق من عرق جبريل ، والورد الأصفر خلق من عرق البُراق » **قال العجلونى** : وسنده فيه « الزنجانى » . وقد اتهمه الدارقطنى بالوضع . **ورواه أبو الفرج النهروانى** فى كتابه : « الجليس الصالح » عن أنس بلفظ : « لما عرج بى إلى السماء بكت الأرض من بعدى تحن فنبت اللّصَف من بكائها ، فلما رجعت قطر من عرقى على الأرض فنبت ورد أحمر ، ألا من أراد أن يَشَمّ رائحتى فليشم » .

وقال السيوطى ـ صاحب هذه المقامات ـ فى « حسن المحاضرة » : وروى فيه أحاديث كلها موضوعة . منها حديث على ، وحديث أنس . ثم قال : والحديثان أوردهما ابن الجوزى فى « الموضوعات » .

وقال النجم : والحديث بجميع طرقه لا يصح .أ.هـ .

نَاوَأَنى : فاخرنى وعادانى .

[٩]

فوائد الورد الوقائية والعلاجية

- والعادِلُ فى المِزاج ، والصالحُ فى العِلاج .
- أُسَكّن حرارةَ الصفراء ، وأقوّى الباطنَ من الأعضاء .
- وأطيّبُ رائحة البدن ، ومَن شمّ مائى وبه غَشْى أو صراع حارّ سكَن[٩] .

وقفة مع النص :

(٩) المِزاج ـ بكسر الجيم ـ : استعداد جسمى عقلىّ خاص . كان القدماء يعتقدون أنه ينشأ عن أن يتغلب فى الجسم أحد العناصر الأربعة وهى : الدم ، والصفراء ، والسوداء ، والبلغم .

ومن ثَمّ كانوا يقولون بأربعة أمزجة وهى : الدموى والصفراوى والسوداوى ، والبلغمى .

أما المحدثون من علماء النفس ، فيوافقون القدماء على أن الأمزجة ترجع إلى مؤثرات جثمانيّة، ولكنهم يخالفون فى عدد الأمزجة وأسمائها ؛ إذْ يعتدون بالإفرازات التى تفرزها الغدد الصُّمّ ، كالغدّة الدرقية ، والغدّة الكُلْويّة ، ويجعلونها المؤثرات الأساسية فى تكوين المِزاج . [المعجم الوسيط] .

الصفراء : مزاج من أمزجة البدن ، وسائل شديد المرارة ، يختزن فى كيس المرارة لونه أصفر ، يضرب للحمرة .

الغَشْى : ما يُلِمّ بالإنسان فيفقده الحِسَّ والحركة .

وجاء فى كتاب « عجائب المخلوقات » للقزوينى : « وماء الورد ينفع من الغَشْى إذا رُشَّ على وجه المغْشِىّ عليه .

[١٠]

- وأقوى المِعَد ، وأفْتح من الكبِدِ السّدَد .
- وأنفع الأحشاء ، وأقوّى الأعضاء أنا ومائى **ودُهنى** كيف شاء .
- وأبَرّدُ أنواع اللّهب الكائنة فى الرّاس ، ورُبّما أستخرجُها منه بالعُطاس .
- وأُثبِتُ اللحمَ فى القُروح العميقة ، وأقطع **الثآليلَ** كُلّها إذا استُعْمِلتُ أزْرارى . سَحِيقة(١٠)

وقفة مع النص :

(١٠) **السّدد** : السِّدادُ . وهو فى الطّب جُلْطَةٌ دموية ، أو كتلةٌ من البكتريا ، أو جسم غريب آخر يسدّ وعاء دمويّاً .

ودُهنى : الدُّهن فى النبات مادة دسمة جامدة فى درجة الحرارة العادية ، فإذا سالت

بقية الهامش رقم [١٠] :

كانت زيتا .

التآليل: جمع ثُؤلول : بثر صغير صُلْبٌ مستدير يظهر على الجلد كالحِمّصة أو دونها .

أزرارى : جمع زِرّ . برعم النبات . سحيقة : مسحوقة [أى مطحونة طحْناً ناعما] .

[١١]

●وأنفع من **القُلاع** والقروح ، وأنا بعِطْريّتى ملائم لجوْهرِ الرّوح .
●**وشَمّى** نافع من البُخَار ، مُسَكّن للصُّداع الحار .
●وبزْرى نافعٌ لِلَثَةِ الفَمِ ، **وأقماعى** تنفعُ الإسهال **ونَفْثَ الدّم** .
●ومائى يسكن عن المِعدَةِ حَرّا ، وينفَع من التهابِ **المِرَّةِ** الصفراء .
●وشرابى يُطْلق الطبيعةَ القَوِيّة ، وينفَعُ من الحميّاتِ الصفراوية(١١) .

وقفة مع النص :

(١١) **القُلاع** : مرض يصيب الصغار ــ ونادراً الكبار ــ ومظهره نقط بيض فى الفم والحلق . وسببه العدوى بفُطْرٍ خاص . للصُداع الحار : لمن هو حارّ الدماغ . كما ذكر جالينوس . وكما جاء فى قانون ابن سينا فى كلتا نسختيه : المصرية والأوربية .

أقماعى : جمع قِمع . وهو الأصل الأخضر الذى يبقى على الغصن بعد ذهاب أوراق الورد .

نَفْثَ الدم : يقال نَفَثَ الدّم : رمى به .

المِرّة : خلط من أخلاط البدن ، وهو المسـمّى : المزاج .

[١٢]

●وإذا شرِبَ مائى بالسكّر **الطَّبَرْزَذ** قطع العطش من المادّة ، ونفع أصحاب الحمّى الحادة .
●وإذا ضُمّدت العينُ بورق الطّرىّ نفع من انصباب الموادّ .

• ومطبوخى طرياً ويابساً ينفع من الرَّمَدِ بالضماد .
• ومطبوخ يابسى صالحٌ لغلظِ الجفون .
• ومسحوقه إذا ذرّ فى فراش **المجدور والمحصوب** نفع من العفُون .
• ومن تجرّع من مائى يسيراً نفعه من الغَشْىِ والخفقان كثيراً .
• ودُهنى شديدُ النفع للخُرّاجات ، وفيه مآربُ كثيرة لذوى الحاجات[12] .

وقفة مع النص :

(12) الطَّبَرْزَذ : السكر الأبيض الصلب الذى نحتت حوافه ، وهى كلمة فارسية .
المجدور : من أصيب بالجدَرى .
والمحصوب : من أصابته الحصبة .

[13]

مزايا ومناقب أُخرى :

وأنا مع ذلك جَلْدٌ صبّار ، أجرى مع الأقدار ، إذا صُليتُ بالنار .

وكفى بى رفعَة على الأقران أن لفظى مذكور فى القرآن فى « سورة الرحمن » فى قوله تعالى :

﴿ **فإذا انشقّت السماءُ فكانت وردةً كالدّهان** ﴾ [37/الرحمن]

وقد حمانى أمير المؤمنين **المتوكل** كما حمى « الشقائقَ » النعمانُ ؛ وهذا تقليد من الخلافةِ بالمُلكِ على سائرِ الريحان ، ولى من بينهم ابن يَخْلُفنى فى الحكم إذا غبت طول الزمان[13] .

وقفة مع النص :

(13) **جَلْد** : صابر على المكروه ، فكم تمتدّ الأيدى إليه ! وما أجمل قول الصنوبرى :

لو كنت أملك للرياض صيانةً ... يوماً لَمَا وَطِىءَ اللئامُ تُرَابَها !

صُليت بالنار : احترقت . والمراد ما يكون عند عملية استقطار مائه واستخراجه بغلى الماء للحصول على دهن الورد ومائه .

الأقدار : جمع قِدْر فحين يغلى عليه يجرى ويتحرك

بقية الهامش رقم [١٣] :

الأقران : جمع قِرْن . المماثل .
فكانت وردة : وصف ، أو المراد : كانت كوردة على التشبيه .
الدهان : الأديم الأحمر . أو ما يدهن به . أو جمع دُهن .
أمير المؤمنين المتوكل : الخليفة العباسي العاشر . وقد حمى الورد فكان لا يُرى إلا فى مجلسه . وكان يقول :
« أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين ، فكل منا أولى بصاحبه » .
كما حمى الشقائق النعمان : النعمان بن المنذر حمى أرضا فيها الشقائق وهو نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سود ، ويسمى الشَّقَّارى . ولى من بينهم ابن يخلفنى . وهو ماء الورد .

[١٤]

فلهذا رفعت من أغصانى الأشائر ، ودقت على داراتى البشائر ، وأعملت لى المشاعر ، وقال فىّ الشاعر :

للوردِ عندى مَحَلّ ... لأنه لا يُمَلّ
كلّ الرياحينِ جُنْدُ ... وهْوَ الأميرُ الأجَلّ
إن جاء عَزُّوا وتاهوا ... حتّى إذا غابَ ذَلُّوا

وقال الآخر :

مليكُ الوَرْدِ أقبلَ فى جُيُوشٍ ... من الأزهارِ فى حُلَلٍ بَهِيّه
فوافَتْه الأزهارُ طائعاتٍ ... لأنّ الوَرْدَ شوكَتُه قويّه[14]

وقفة مع النص :

(١٤) **الأشائر** : جمع إشارة ، وهى التلويح بشئ يفهم منه المراد . ودقت على داراتى : دقت : ظهرت . والدارات : جمع دارة ، وهى الدار وما أحاط بالشئ ، وكل أرض واسعة بين جبال . ودارات العرب : سهول بيض تنبت ما طاب ريحه من النبات ، وهى تُنِيفُ على مائة وعشر . منها دارة جُلْجل .. الخ .
وقال فىّ الشاعر : هو محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمى له ديوان شعر ، ويسمى « ابن سكّرة » وإليه نسب السيوطى هذه الأبيات فى حسن المحاضرة .

[١٥]

النرجس يتصـدى للـورد

فقام النرجسُ على ساق ، ورمى الوردَ منه **بالأحداق** ، وقال :

لقد تجاوزت الحدّ ياوردُ ، وزعمتَ أنك **جمع فى فَرْد** .

إن اعتقدتَ أن لك بحُمْرَتك فخرة ، فإنها منك **فجرة** !

قال النبى ﷺ :

« **إن الشيطان يحبُّ الحُمْرة ، فإياكم والحُمرة وكلّ ثوبٍ ذى شُهْرة** ! »[١٥]

وقفة مع النص :

(١٥) **النرجس** : نبت من الرياحين ، وزهرته تشبه بها الأعين ، واحدته نرجسة .

قام على ساق : كناية عن التأهب والتحفز والاستعداد لهذه المناظرة الكبرى !

رماه بالأحداق : جمع حدقة : نظر إليه مشدّداً النظر فى حذق ومهارة .

جمع فى فرد : واحد تجمعت فيك كل المزايا ، تغنى عن غيرك ، ولا يغنى غيرك عنك .

فجْرَة : يقال : ركب فلان فجرةَ بغير تنوين : كذب كذبة عظيمة .

قال النبى ﷺ : « **إن الشيطان يحب الحمرة** .. » الخ .

قال المناوى ـ فى شرح الجامع الصغير ـ : رواه الحاكم فى كتاب الكُنى ، وكذا ابن السكن ، وابن مَنْده ، وابن قانع فى معجم الصحابة . قال ابن حجر : وهو ضعيف . وقال الجوزقانى فى كتاب الأباطيل : هذا حديث باطل وإسناده منقطع . قال ابن حجر فى الإصابة : وهو مردود ؟ فإن أبا بكر الهذلىّ لم يوصف بالوضع . وقد وافقه سعيد بن بشير . وغايته أن المتن ضعيف . أما حكمه عليه بالوضع فمردود . أ. هـ .

والحمرة : لبس الشيطان ، ولذا يشارك من لبسها . وثوب الشهرة : المشهور بمزيد الزينة والنعومة ، أو مزيد الخشونة والرثاثة والخطاب للرجال .

[١٦]

وإن قُلتَ : إنك النافع في العلاج ، فكم لك في منهاج الطب من هاج !

ألستَ الضارّ للمزكوم ، المعطّسَ للمحرور الدماغ عند المشموم ؟! المضعف للباه ، النائم بلا انتباه ؟

أتغترُّ ببُرْدِك القشيب ، وأنت الجالبُ للمشيب ؟! فاحفظ — بالصّمتِ — حرمتك ، وإلا أكسر بقائم سيفي شوكتك ، ويكفيك قول ابن الرومي فيك :

يامادحَ الوردِ لاينفكُّ من غَلَطِه
ألستَ تُبصِره في كفِّ مُلتقطه ؟!
كأنه سُرْمُ بَغْلٍ حينَ يُخْرِجُه
عند البِرازِ وباقي الروثِ في وسطه

وقفة مع النص :

(١٦) من هاج : من ذامّ . وبين منهاج وهو المنهج والقانون ومن هاج أى ممن يهجونك — جناس .

الباه : النكاح .. النائم بلا انتباه : إشارة إلى قولهم : والنرجس الوسنان فكأنه في حالة نوم دائم . **والبُرْد** : ضربٌ من الثياب . والمراد أوراقه الملونة .

قائم السيف : مقبضه . **ابن الرومي** : شاعر عباسيّ ، واسمه عليّ توفى سنة ٢٨٣ هـ وكان متشائما .

[١٧]

ولكن أنا القائم لله في الدّياجي على ساق ، الساهر طول الليل في عبادة ربي فلا تطرف أحداقي .

وأنا مع ذلك المعد للحروب ، المدعو عند تزاحم الكروب ، ألا ترى وسطى لايزال مشددا ، وسيفي لايبرح مجردا ؟!

وأنا فريدُ الزّمانِ في المحاسنِ والإحسان ؛ ولهذا قال فِيّ كِسرى أنو شراوان :

« النرجس ياقوت أصفر ، بين دُرٍّ أبيض ، على زُمُرّد أخضر !(١٧) » .

وقفة مع النص :

(١٧) **الدياجى** : الظلمات .

لا تطرف أحداق : لاأنام . والأحداق جمع حدقة ، وهم يشبهون النرجس بالعين لوجود نقط سوداء وسط البياض .

كسرى أنو شروان : ملك ساسانى (٥٣١ ـ ٥٧٩) ابن قباذ . اشتهر بعدله .

[١٨]

وأنا المشبه به عيون المِلاح ، والمعروف فى مهمات **الأدواء** بالصلاح .

أنفع غاية النفع من **داء الثعلب** والصرع .

وقد روى فى حديث راويه غير مُقِلّ ولا مُفْلس :
« شموا النرجس ؛ فإن فى القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها إلا شم النرجس » .

● وفى أصلى قوةٌ تُلْحِم الجراحات العظيمة ، وتنفع ذكر **العِنّين** وتجيدُ **تَقْويمَه** .

وشـمِّى ينفع من وجع الرأس والزّكام البارد ، وفِىّ تحليل قوىّ لمن هو له قاصـد(١٨) .

وقفة مع النص :

(١٨) **الأدواء** :جمع داء ، ويطلق على الأمراض .

داء الثعلب : علة يتناثر منها الشعر .

« **شمو النرجس** » : يقول ابن القيم فى كتابه « المنار » .. ومن ذلك أحاديث فضائل الأزهار كحديث فضل « النرجس » و « الورد » و «المرزنجوش» و « البان » . كلها كذب .

العِنّين : الذى لا يقوى على الجماع لسبب خِلْقى أو طارئ .

تقويمه : إصلاحه واعتداله .

[١٩]

● ودهنى نافع لأوجاع العصب **والأرحام** ، وأوجاع المثانة والأذن والصُّلْب من الأورام .

ولولا اشتهارى بالنفع من **الجوى** ، ماأكثر النّحاةُ التمثيلَ بقولهم : « نرجسُ الدّوَا » .

ومن الدلائل على صلاحى أن أَبَا نُوَاسٍ غفر له بأبيات قالها فى امتداحى :

تأمّل فى ريـــاضِ الأرض وانظـــر إلى آثـــــار ماصنــــع المليـــكُ
عُيُـــونٌ مِنْ لُجَيْـــن ناظـــراتٌ بأحداقٍ كَمَا الـــذهب السبيـــكُ
على قُضُب الزّبَرْجَـدِ شاهــداتٌ بأن الله ليس له شـــــــريك[19]

وقفة مع النص :

(١٩) **الأرحام** : جمع رحم . مقر الجنين .

الصُّلب : فقار الظهر .

الجوى : مرض بالصدر وضيق به ، وتطاول المرض ، واشتداد الوجد من عشق أو حزن .

القضُب : جمع قضيب . وهو الغُصْن . **والزبرجد** : حجر كريم يشبه الزمرد ، وهو ذو ألوان كثيرة أشهرها : الأخضر المصرى . وهم يشبهون الأغصان الخضراء به .

[٢٠]

ولقد أحسن ابن الرومى حيث قال :

أيهـا المحْتَجُّ للـــوردِ بزُورٍ ومُحَـــال
ذهبَ النّرجِسُ بالفضـــل فأنْصِفْ فى المقال
لاتقاسُ الأعينُ النُّجلُ بأسرام البِغَـال

الياسـمين يتصـدى للنرجس :

فقام « **الياسَمين** » وقال : آمنت برب العالمين !

لقد **تجَبّسْتَ ياجِبْس** ، **وأكثرك** رِجْس نَجِس ! وأنت قليل الحرمة ، واسمك مشمولٌ بالعُجمة ، وكيف تطلب الملك وأنت بعدُ قائم مشذود الوسط فى الخدمة ؟!

رَأسُكَ لا يزال منكوس ، وأنت المهيج للقىء المصدع من المحرورين للرءوس .

تُسقـــــط الجنين ، ولا تَرثى للحـــــنين !

أصغرُ من غير عِلّه ، مكسُوّ أحقرَ حُلّه !

ويكفيك قول بعض واصفيك :

أرى النرجسَ الغَضَّ الزَّكِيّ مُشَمّراً
على ساقه فى خدمة الـورد قائم
وقد ذَلّ حتى أن من فوق رأسه
عمـــائم فيها لليهود علائم

وقفة مع النص :

(٢٠) *الأعين النُجْل :*

الواسعة الحسنة جمع نجلاء .

أسرام البغال :

جمع سرم ، موضع نزول وإخراج الروث . وننطقه بالصاد .

اليَاسَمين : بفتح السين ويقال فيه أيضا : الياسمون من الفصيلة الزيتونية ، والقبيلة الياسمينية . تزرع لزهرها ويستخرج دُهن اليَاسَمين من بعض أنواعها . حتى أن : فى بعض المراجع : حتى لف .

[٢١]

ولكن .. أنا زين الرّياض ، **والموسوم** فى الوجه بالبياض « والبياض شطر الحسن » كما ورد ، وأنا ألطف من جاء وَرَدّ .

وجاء ذِكرى فى حديث فاح بنشره :

« أن قارئ القرآن يؤتى بياسمين الجنة فى قبره » **فحديثى** أصدق من حديثك سندا ، ونشرك صباحا ونَدًى ، فأنا أحق بالملك منك مقصوراً ومؤيّداً .

الفوائد الطِّبِّية :

- وأنا النافع من أمراض العَصَب الباردة .
- والمَلَطِّف للرطوبات الجامدة .
- والصالح للمشايخ القاعدة .[٢١]

وقفة مع النص :

(٢١) **الموسوم** : المعلّم .

ردّ : ردّ كذا لم يقبله ، والمراد أنه ألطف من النرجس الذى قام بالرد على الورد .

فحديثى أصدق : من حديثك سندا ، يشير إلى حديث « شموا النرجس » وقد بينا رأى ابن القيم فيه .

ونشرى : رائحتى . **أعبق** : أشد ظهوراً .

الندى : بخار الماء يتكاثف فى طبقات الجو الباردة فى أثناء الليل ويسقط على الأرض قطرات صغيرة .

[٢٢]

- أنفع من « **اللَّقْوَة** » و « **الشقيقة** » و « **الزكام** » .
- ومن وجع الرأس البلغمى والسوداوى ، وأقطع نزف الأرحام .
- ودُهنى نافع من **الفالج** ووجع المفاصل ، ويحلل الإعياء ويجلب العرق الفاضل .

يقول لى لسان الحال :

لست الهزيل مقاماً يا ياسمين !

ويشهد لى لسان « الألثغ » إذا قال : ياثمين !

أنا الياسمين الذى لَطُفْتُ فِلتُ المنى
فريحى لمن قد نأى وعَيْنى إلى مَن قَدْ دنا
وقد شرُفَتْ خضرتى بصبرى على من جَنى (٢٢)

وقفة مع النص :

(٢٢) **اللقوة** : داء يعرض للوجه يعوج منه الشدق .

الشقيقة : ألم ينتشر فى نصف الوجه والرأس .

الزكام : التهاب حادّ بغشاء الأنف المخاطى يتميز غالبا بالعطاس والتدميع ، وإفرازات مخاطية مائية غزيرة من الأنف .

الفالج : شلل يُصيب أحد شقى الجسم طولا .

بقية الهامش رقم [٢٢] :
نأى : بعد ، ودنا : قرب ، فمن بعد يمنحه رائحته الفواحة ومن قرب يتمتع به لمسا وشما ومنظرا . جنى : قطف . وجنى : اعتدى .

[٢٣]

البانُ يتحدث عن نفسه:

فقـام **البان** ، وأبدى غاية الغضب **وأبان** وقال : لقد تعديت يا « ياسمين » طورَك ، وأبعدت فى المدى غورك .

وكونك أضعف الكون ، وكثرة شمّك تصفر اللون ، وإذا سُحق منك اليابس **ورُضّ** ، **وذُرّ** على الشعر الأسود ابْيَضّ .

وإذا قسم اسمك قسمين صار ما بين :

ياسٍ و مَيْن ا(٢٣)

وقفة مع النص :
(٢٣) **البان** : ضرب من الشجر سبط القَوام ، لين ورقه كورق الصفصاف ، ويشبه به الحسان فى الطول واللين ، واحدته بانة.
وأبان : أوضح وأظهر وكشف عما فى نفسه وأعرب .
كونك : تكوينك ، وطبيعتك .
رُضّ : جُرِشَ ، ودُق ، **ذُرّ** : رُشّ .
مابين ياسٍ ومَين : والياس مخففة اليأس ، والمين : الكذب .

[٢٤]

وإن ذكرْت نفعك فأنت كما قيل : « لا تُساوِى جمعَك ! »

ولقد صدق القائل من الأوائل :

لا مرحبـــا بالياســـميـــــن وإن غدا فى الـــروض زينـــا
صحّفتـــــه فوجدتـــــه متضمنــــاً يأساً ومَيْنـــاً

ولكن أنا **ذو الاسمين** ، والظافر من الأصل والفرع بالقسمين .

والقريب من **الباز** ، والمضروب بقَدّى المثَل فى الاهتزاز،أزهارى عالية ، وأدهانى غالية .

وقد ألبست خِلعة السّنجاب ، واتفق على فضلى الأنْجاب .

الفـــوائد الطبيـــة:

● أنفع بالشم مَن مِزاجه حار ، وأرطب دماغه ، وأسكن صُداعه الكائن عن البخار[٢٤] .

وقفة مع النص :

(٢٤) **ذو الاسمين** : فقد جاء فى السّفر الحادى عشر من كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » أن ذكره باسم الخِلاف ، وباسم البان .

الباز : ضرب من الصقور يستخدم فى الصيد .

قدّى : القوام و« العُود » .

السّنجاب : حيوان أكبر من الجُرَذ ، له ذنَب طويل ، كثيف الشعر ، يرفعه صُعُدًا يضرب به المثل فى خفة الصعود ، ولونه أزرق رمادى ؛ ومنه اللون السنجابى .

الأنجاب : جمع نجيب (ذكى) .

وقد قال فيه الشاعر :

والبـــان تحسبـــه سنانيرًا رَأَتْ بَعْضَ الكِلاب فـــفشت أذْنابهَـــا

والسنانير : جمع سِنّوْر : القط .

[٢٥]

● ودهنى نافع لموضع كل وجع بارد ، وتحت ذلك صور كثيرة الموارد : من الرأس ، والأذن والضِّرس وفَقَار المفلوج والمجدور .

والمِعدَة والكبد ، والطِّحال وكل عصبٍ بالصلابة مقصور . ويكفى فى وردى ، قولُ ابن الوَرْدى :

تُجَادِلُنا : أَمَــاءُ الزَّهــرِ أذكـــى أَمِ الخِلافُ ، أم وَرْدُ القِطــافِ ؟

وعُقْبَــى ذلك الجدلِ اصطلحنـــا وقـد وقـع الوِفـاق على الخِـلافِ[٢٥]

وقفة مع النص :

(٢٥) المجدور : من أصيب بالجُدَرى : وهو مرض جلدى مُعْدٍ يتميز بطفح حُلَيْمىّ يتقيح ويعْقبه قِشر .

والمفلوج : من أصيب بالفالج وهو الشلل الذى يصيب أحد شقى الجسم طولا .

ابن الوردى : هو عمر بن مظفر صاحب اللامية المشهورة توفى سنة ٧٤٩ هـ .

وقع الوفاق على الخِلاف : يتبادر إلى الذهن أنهم اتفقوا على ألا يتفقوا ، لكن المقصود بالخلاف شجر البان .

[٢٦]

« النِّسْرين » يَنْتَصِرُ لأخيه « الياسَمين » !

فقام النِّسرينُ بين القائمين منتصراً لأخيه الياسَمين وقال : أَتَتَعَدّى يابانُ على شقيقى ، وأين الفَرَا من المُذْهِبُ والدّبيقى ؟! وكيفَ يفاخِرُ البِلّوْرَ من هو مُشَبَّهٌ بذنَبِ السِّنَّوْر ؟ ألم يُعَرِّفْكَ الحالَ قولُ من قالْ :

لله بُسْتـــانٌ حَلَلْنـــا دَوْحَـــهُ ... فى جَنّـــةٍ قد فَتّــحتْ أبْوَابَهـــا

والبـــانُ تحسَبُـــه سنـــانيراً رأت ... بعضَ الكلابِ فنــفّشت أذنابَهـــا

ولكن أنا زينُ البُسْتان ، وفِىّ من الفِضةِ والذهبِ لونان .

الفــوائد الطبيـــة

- أنفعُ من أورام الحلقِ واللوزتين ووجع الأسنان .
- ومن بردِ العصب ، والدّوِىّ والطنين فى الآذان .
- وأفتح ما يُسَدّبه المنخران .
- وأقتل الديدان(٢٦) .

وقفة مع النص :

(٢٦)
النِّسرين : نَوْرٌ أبيض وردىّ يشبه شجره شجر الورد ، ونوارهُ كنواره ، وسماه بعض الناس وردا صينيا . وكلما بعد عن الماء قويت رائحته .

بقية الهامش رقم [٢٦] :

وأين الفرا من **المُذهب والديبقى** ؟ شتان مابينهما ، كما نقول : أين الثرى من الثريا ؟

والفَرَا : الحمار الوحشى ، **والمُذهب** : الفرس تعلو حمرته صُفْرة .

ويحتمل « أين الفرا » الفراء من الثياب المذهبة والديبقى : ثياب تنسب إلى دبيق [قرية بمصر] .

قول من قال : نسب السيوطى هذين البيتين فى حسن المحاضرة إلى أبى حلفك الشاعر ، قالهما فى هجاء شمس الدين بن خلكان وعجز البيت الثانى : قاضى القضاة فنفشت أذنابها .

[٢٧]

- وأسكّن القىء **والفُوَاق** .
- وأقوّى القلبَ والدّماغ على الإطلاق .
- وأحَلِّل الرياح من الصّدرِ والرأس .
- وأخرجهما منه بالعطاس .
- وينتفع بى أصحابُ **المِرّة** السوداء غايةَ الانتفاع .
- والبَرّىّ منى إذا لُطّخ به الجبهة سكن الصُّدَاع .
- وإذا تُدُلِّك — فى الحمّامِ — بِمَا مِنّى انْسَحق طيَّبَ رائحةَ البشرة والعرق .
- وإذا شُرِبَ من مُجَفَّفِى نصف مثقال منع إسراع الشيب على التوالى .
- ودُهنى يحلل أوجاع الأرحام الكائنة بردا[٢٧] .

وقفة مع النص :

(٢٧) **الفُواق** : بضم الفاء : تقلص فجائى للحجاب الحاجز يحدث شهقة قصيرة يقطعها تقلص المزمار .

المِرّة : خلط من أخلاط البدن ، وهو المسمّى : المِزاج : وقد سبق بيانها .

[٢٨]

- وينفع من **الشُّوصَة** العارضة من سوء المِزاج والبلغم والمِرّة السودا .

ويكفيك من المعانى قول مَن عنانى :

ما أحْسَنَ النسرينَ عندى وَمَا
أملحَه مُذ كان فى عينى
زَهْراً إذا ما أنا صحّفْتُه
وجدته بُشرى ، ويسرين[٢٨]

وقفة مع النص :

(٢٨) الشّوصَة : هى وجع فى البطن من ريح .

عنانى : قصدنى .

صحّفته : قرأته أو كتبته على غير صحته . وعندما كانت الحروف لا تنقط كثر « التصحيف » ؛ فتجد أنّ « نسرين » تقرأ : « بشرى » وتقرأ : « يُسْرين » . ومُصَحّفها كما ترى شىء جميل . بخلاف « بعل » إذا صحف فهو « بغل » أو « نعل » .

[٢٩]

« البَنَفْسَج » يتولّى الرّد على « النّسّرين »

فقام البنَفْسَج وقد التهب ، ولاحت عليه زرقة الغضب وقال :

أيُّها « النِّسرين » ! لست عندنا من المعدودين ، ولا فى العلاجِ من المحمودين ؛ لأنك حارٌ يابس ؛ إنما توافق المبرودين !

ولا تصلح إلا للمشايخ المبلغمين .

وأنت كثير الإذاعة فلست على حفظ الأسرار بأمين !

ويعجبنى فيك ما قاله بعض المتقدمين :

ولم أنسَ قولَ الوَرْدِ : لاتركنواإلى مُعَاهدة النِّسرين فهو .. يمين
ألا تنظروا منه بَنَاناً مُخَضَّباً وليس مخضوب البنانِ يمين ؟![٢٩]

وقفة مع النص :

(٢٩) البنفسج : نبات زهرى من جنس « فيولا » من الفصيلة البنفسجية يزرع للزينة ولزهوره ، عَطِرُ الرائحة .

إلى معاهدة النسرين : ما يبديه لكم من حسن والتزام أن يكون فى خدمتكم ، فهو يمين : يكذب ولايفى .

بنانا مخضبا : يشير إلى لونه ، وفى العبارة تورية لطيفة ، فالبنان المخضب يكون للنساء ، وبنى على ذلك ما يقال : ليس لمخضوب البنان يمين ، وهو قياس شعرى لطيف .

المنافع والفوائد الطبية : [٣٠]

ولكن أنا اللطيف الذات ، البديع الصفات . المشَبّه بزُرقِ اليواقيت ، وأعناق الفواخِت

ومزاجى رِطبٌ بارد ، ومنافعى كثيرة الموارد :

- أوَلّد دماً فى غاية الاعتدال .
- وأنفع الحارّ من الرّمد والسُّعال .
- وأسكن الصُّداع الصفراوىّ والدموىّ لمن شم أو ضمد .
- وألين الصدرَ وأنفع من التهاب المعد .
- وأنفع من ورم العين ومن كل ورم حار .
- ومن نُتُوّ المقعَدة إذا تُضُمِّد بى على التكرار .
- وشرابى لِذَاتِ الجنب والرئة والكُلى ، وللسُّعال ، والشُّوصة ، ويُدِرُّ البولَ مُحَلّلا .
- ويابسى يستعمل للصفراء فيسهل غاية الإسهال .
- والمرَبّى منى بالسُّكر يُلينُ الحَلْق والبطن وينفع من السعال .
- وورقى طلاء جَيّد للجرب الصفراوىّ والدموىّ .
- وزَهْرى ينفع من النزلات الصدرية والزكام القوى .
- وإذا شرُب بالماء نفع من « أم الصبيان » وهو الخُناق .

● أو سَفّهُ من به إطلاق صفراوىٌّ لذّاعٌ أحدر بقية الخلط وقطع الإطلاق[٣٠] .

وقفة مع النص :

(٣٠) **الفواخيت** : جمع فاختة : ضرب من الحمام المطوق إذا مشى توسع فى مشيه ، وباعد بين جناحيه وإبطه ، وتمايل . وجمع فاختة فواخت .

ومن نُتوّ المقعدة : بروزها . نتوئها « البواسير » .

ذات الجنب : « الجُناب » وهى — كما زعم بعض أطباء العرب —: قَرْحةٌ تصيب الإنسان فى داخل جنبه .

وفى الطب الحديث : التهاب فى الغشاء المحيط بالرئة .

الخناق : كل داء يمتنع معه نفوذ النفس إلى الرئة .

إطلاق : إسهال .

أحدر : أنزل .

[٣١]

● وكفانى شرفا بين الإخوان **ما روى** عن سيد ولد عدنان : أن دُهْنِى سيد الأدهان .

بارد فى الصيف ، حارٌّ فى الشتاء فهو صالح فى كل الأزمان ؛ وذلك لأنه :

● يُسكّن القلق .

● ويُنوّم أصحاب الأرق .

● ويَنفع مع **المصطكى** من الورم الصفراوى بين أصابع الإنسان .

● ويَجذب الصداع من الرأس إذا دُهن به الرِّجلان .

● وَيُلين صلابةَ المفاصل والعصَب .

● وهو طِلاء جيد للجرب .

● ويُعَدّل الحرارة التى لم تتعدّل .

● ويُسَهّل حركة المفاصل فتَتَسَهّل .

● وينفع سَعُوطا من الصداع الحار .

● ويحفظ طلاء صحة الأظفار .
● وينفع من الحرارة والحرقة التى تكون فى الجسد .
● ويُصلح من الشعر المنتثر دُهْناً ما فسد[٣١] .

وقفة مع النص :

(٣١) يقول ابن القيم فى المنار : ومن علامة عدم صحة الحديث : سماجته وكونه مِمّا يسخر منه مثل : حديث « فضل دهن البنفسج على الأدهان كفضل أهل البيت على سائر الخلق » .

المصطكى : بفتح الميم وضمها شجر له ثمر يميل طعمه إلى المرارة يستخرج منه صمغ يضاف إلى الحساء فيجعل له نكهة طيبة محببة .

السعوط : مسحوق يوضع فى الأنف استنشاقا فيثير الأغشية فيكون منه عُطاس يُخرج الأبخرة ويُريح الدماغ .

[٣٢]

● وإذا قُطّر فى **الإحليل** سكن حرقته وحرقة المثانة .
● وينفع من يُبْس الخياشيم ؛ فجلّ الخالق البارى سبحانه .
● وإذا تُحُسِّىَ منه فى الحمام وزنُ درهمين نفع من ضيق النفس على الريق **بلاَمَيْن** .
● وإذا حُلّ فيه شمع مقصور أبيض ، ودُهن به صدور الأطفال نفعهم منفعة قوية من السُّعال[٣٢] .

وقفة مع النص :

(٣٢) الإحليل : مخرج البول من الرجل .

تَحَسِّىَ : شرب جرعة بعد جرعة ــ كما يشرب حساء الدجاج .

بلاَمَين : بلا كذب .

[٣٣]

● وروى ابن **أبى حاتم** وغيره عن **الإمام الشافعى** صاحب المذْهب المذَهّب أنه قال :
« لم أر للوباء أنفع من البَنَفْسَج يُدْهَن به ويُشرب » .

ومنافعى لا تُحصى ، وما أودعه خَالِقى فىّ لا يُسْتَقْصَى . وبى تُعطّر الجُيُوب .

ويشبه عِذارُ المحبوب .

وأنا مع ذلك حسن الفال ، بديع الجمال .

من رآنى آذن بالانشراح ، وتفاءل بالانفساح[٣٣] .

وقفة مع النص :

(٣٣) ابن أبى حاتم : حافظ الرى محمد بن إدريس بن المنذر له مسند ، وله علل الحديث والمراسيل ، وآداب الشافعى ومناقبه .

الشافعى : هو محمد بن إدريس أحد الأئمة الأربعة له كتاب الأم ، وله ديوان شعر أصدرته مكتبة القرآن محقّقاً .

الجيوب : جمع جيب . الفتحة فى الثوب ، مطلة على العنق أو الإبطين أو غيرهما .

عذار المحبوب : شعره المتدلى فى موضع العِذار . وعذار الغلام : جانب لحيته . ويقال : خلع عِذاره : لم يَستَحِ .

الفال : ما يتفاءل به ويسر .

الانفساح : السّعَة والخير وانفراج الأزمات .

[٣٤]

أما سمعت قول من باخ وصاح :

يا مُهديـا لى بنفسَجـاً أَرِجـاً ... يرتـاحُ صَدْرى له ويـنشرحُ

بشرنى عاجـلاً مُصَحّفـه ... بأنّ ضيـقَ الأمـور يَنْـفَسِخ

« النّيْلُوفر » يُبدى رأيه

فقام « **النّيْلُوفَر** » على ساق ، وحشد الجيوش وساق وأنشد بعد إطراق :

بنـفسَجُ الـرّوضِ تاه عَجَبـاً ... وقـال : طِيبـى لِلْجـوِّ ضَمّـخ

فأقبـل الزهـرُ فى احتفـالٍ والبـانُ من غيظـه تنفـخ

ثم قال :

أيها البَنَفْسَج ؛ بأى شىء تَدّعى الإمارة ؟

وتطاوع نفسَك ، والنفسُ أمّارة !

وأكثر ما عندك أنك تُشَبه بالعِذار ، وبالنار فى الكبريت ، وحاصل هذين يرجع إلى أشنع صيت .

وما من نفع ذكرته عنك إلا وأنا أفعل مثله وأكثر ! وأنا أحرى بسلامة العاقبة منك وأجدر !

أما فوائدك الطبية أيها البنفسج :

- من شرب اليابس منك ولّده قبضاً على القلب ، وربما فى معدته وأمعائه وأحدث له الكرب .
- والمحلالك يطفىء المادة لا سيما لمن به حُمّى حادة .
- ومُرَبّاك يسقط الشهوة ، ويُرخى المعدة عن القوة .
- وقد كفانا الورد مئونة الرد عليك ، وحذرنا من القرب منك والإصغاء إليك ، فقال :

أعَلَىّ يفخرُ البَنَفْسجُ جاهـلاً وإلىّ يُعْزَى كلّ فَضْلٍ يَبْهَرُ ؟!
وأنـا المحبّبُ للقلـوبِ زمانُـه وبمَقْدَمى أهلُ المسَرّةِ تَفْخَرُ[٣٤] .

وقفة مع النص :

(٣٤) **باح وصاح** : هذان البيتان ذكرهما السيوطى فى حسن المحاضرة وهما لعبيد الله الميكالى أمير من أهل خراسان .

إذا قرأت كلمة بنفسج مُصَحّفة : تصبح « ينفسح » ومن يجد ضيقا فى حياة فإن مُصَحّفه يحمل إليه البشرى بانفساح بعد ضيق. **النَيْلُوفَر**، والنَّيْنُوفر : جنس نباتات مائية من الفصيلة النّيلوفرية ، فيه أنواع تنبت فى الأنهار والمناقع ، وأنواع تزرع فى الأحواض لورقها وزهرها ، ومن أنواعه : اللوطُس أى عرائس النيل ، وتسمى البشنين .

— بقية الهامش رقم [٣٤] :

ضمَّخ : عطّر ، وملأ الأرجاء .
والنفس أمارة : اقتباس جميل من القرآن الكريم . العِذار : الشَّعر النابت على جانبى اللحية .
الصِّيت : بالكسر – الذِّكْر الجميل الذى ينتشر فى الناس دون القبيح . يقال : ذهب صِيتُه فى الناس وربما قالوا : انتشر (صوته) فى الناس بمعنى صِيتُه .

[٣٥]

وقال الحاكى عن الورد الباكى :

عايـنتُ وردَ الـروضِ يَلْطِـمُ خدَّه	ويقولُ ـ وهو على البَنَفْسَجِ مُحْنَق :
لا تقربـــــوه ، وإن تضَوّع نشرُه	ما بَينَكُم ؛ فهـو العـدُوّ الأزرق ![٣٥]

— وقفة مع النص :

(٣٥) مُحْنَق : مَغيظ .
تضَوّع : فاح . نشره : عطره ورائحته .
والبيتان وردا فى « نزهة الأنام فى محاسن الشام » وهما منسوبان إلى محمد بن تميم .
إطباق : إحاطة ، تنويل : عطاء جم .

[٣٦]

أما أنا :

ولكن أنا اللطيف الغَوّاص ، الكثير الخَواصّ :
- أسكِّن الصدعَ الحار .
- وأذهب بالأرق والأسهار .
- وشرابى شديد الإطفاء .
- بعيد عن الاستحالة إلى الصفراء .
- صالح لأصحاب الحميات الحادة .
- نافع من السعال والشُّوصة ويبس المادة .

● وبزرى وأصلى نافعان لوجع المثانة .

● وأنا أَشَدُّ من البنفسج ترطيبا .

● وأبعد عن ضرره بالمعدة وأدنى إليها طيبا .

● وما أحسَن ما قال فىّ بعض وَاصِفِىّ :

يرتاحُ للنَّيْلُوفر القلبُ الذى لا يَسْتفيق من الغرامِ وجُهده
والوردُ أصبحَ فى الروائح عَبْدهُ والنرجسُ المِسْكىُّ خادمُ عبدِه
ياحُسْنَه فى بِرْكةٍ قد أصبَحتْ مَحْشُوَّةً مِسْكاً يُشَابُ بنَدِّه

ومِنّى صِنْف يقال له : « البَشْنِين »، يشابهنى فى التكوين لافى التلوين .

يحدث عند إطباق النيل ، وله فى منافع الطب تنويل[٣٦] .

وقفة مع النص :

(٣٦) **الأسهار** : جمع سهر ، وهو الأرق .

الإطفاء : يطفىء حرارة الجسم المحرور .

يُشاب : يخلط .

بندّه : النَّدّ نوع من النبات يتبخر بعوده .

إطباق : فيضان وإحاطة .

تنويل : إعطاء .

[٣٧]

فوائد البَشْنين :

● دُهنهُ محمود فى البرسام ، إذا تَسَعّطَ به ذوو الأسقام .

● وأصله « البيارون » يزيد فى الباه الكثير .

● ويسخن المعدة ، ويقويها ، ويقطع الزحير .

وقد أنشد فيه من أراد أن يوصله حقه ويوفّيه :

وبِرْكةٍ بغديرِ الماءِ قد طَفَحت بها عُيونٌ من البشنين قد فُتِحت
كأنها وهى تزهو فى جوانبها مثل السماء وفيها أنجم سَبَحتْ[٣٧] .

وقفة مع النص :

(٣٧) **البرسام** : ذات الجنب ، وهو التهاب فى الغشاء المحيط بالرئة . ومن الجدير بالذكر أن نُشير إلى الفارق بين : « البرسام » و « السرسام » :

فقد قيل فى فوائد القرع مع دهن الورد إنه نافع من « السّرسام » وهو غير « البِرسام » فالسرسام لفظ فارسى يراد به ذلك الورم فى حجاب الدماغ الذى تحدث عنه حمى دائمة ، وتتبعها أعراض رديئة كالسهر واختلاط الذهن ، وغير ذلك .. وهو مركب من « سر » بمعنى « رأس » و « سام » بمعنى « ورم » واختلف فى ضبطه أهو بكسر السين أم بفتحها . فالمعجم الفارسى الانجليزى يفتحها وأقرب الموارد بكسرها . الزحير : إخراج النفس والصوت بأنين من عمل أو شدة .

« الآس » يُبدى رأيه ، ويرد على « النيلوفر » :

[٣٨]

فقام « الآس » وقد استعد ، وقال :

لقد تجاوزت يا « نيلوفر » الحد !

ألست المضْعِفَ للباه ، الجالب للإنسان صفة الشيخوخة فى صِباه ؟!

تُرخِى الذّكَر ، وتُجمّد المنّى ، وتُبغّض على المتزوجين عيشهم الهَنِىّ !

ولقد عَرَفَك من قال حين وصفك :

ونيلوفـرٍ أبـدى لنـا باطنـاً له — مع الظّاهِرِ الخضَرّ حُمـرةُ عَنـدَمِ

فشبهتُـه لما قصدتُ هِجـاءَه — بكاساتِ حجّامٍ بها لُوثَةُ الـدّمِ !

حجتُه على أحقيته بالملك :

ولكن أنا أحقُّ بالمُلك بالحجة المبينة ؛ فقد أخرج ابن أبى حاتم **وابن السُّنى عن ابن عباس** :

« أولُ شيءٍ غَرسَ نوحٌ « الآسَ » حين خرج من السفينة »[٣٨] .

وقفة مع النص :

(٣٨) الآس : شجر دائم الخضرة ، بيضىّ الورق ، أبيض الزهر أو وردية ، عِطرىّ ،

بقية الهامش رقم [٣٨] :

وثماره لُبَيّة سود تؤكل غضة ، وتجفّفُ فتكون من التوابل ، وهو من فصيلة الآسيات . ويضرب به المثل فى دوام المودة ، وذلك لدوام خضرته .

القائل : هو ابن الذروى كما جاء فى حسن المحاضرة وهذان البيتان فى وصف النيلوفر له .

عندم : دم الأخوين أو البقّم : وهو خشب شجره عظام ، وورقه كورق اللوز ، وساقه أحمر يصبغ بطبيخه .

لوثة : أى لوث به ، ولُطّخ .

أبدى لنا : أى كشف ظاهرَه وباطنَة حمرةُ عندم . وحمرة فاعل مؤخر أى هى التى تكشف لنا ظاهره وباطنه .

وقد يكون باطن فاعلا . وحمرة مفعولا به أى أبدى باطنه مع ظاهره لنا حمرةَ العندم . فنرى فيهما صورة دم الأخوين .

ابن السنى : أبو بكر أحمد بن محمد الدينورى توفى سنة ٣٦٣ له كتاب الطب النبوى .

أبو نعيم : هو الحافظ بن عبد الله الأصبهانى صاحب الحلية . المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

ابن عباس : هو عبد الله بن عباس الصحابى الجليل له فى الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثا توفى بالطائف سنة ٦٨ هـ .

[٣٩]

وهذه حجة على الاستحقاق قوية ، لأن **الأولية** نوع من **الأولوية** .

ثم يعتضد هذا القياس ، بما أخرجه ابن السنى وأبو نُعَيْم عن ابن عباس قال :

« أهبط آدم من الجنة بسيدة ريحان الدنيا « الآس »

وهذا نصٌّ فى المراد قاطع للالتباس .

من فوائده الطبيعية :

● وأنا المقوّى للأبدان ، الحابسُ للإسهال والعرق وكل سيلان .

• المنشف للرطوبات المانع من الصّنان .

• المسكن للأورام ، والحُمرة ، **والشرى** ، والصداع ، والسعال ، والخفقان .

• إذا دُقّ ورق الغَضّ ، وضُرِب بالخلّ ، ووضع على الرأس قطع الرّعاف .

• وحَبِّى يقطع العطس والقىء ، وينفع إذا تدخنت به المرأة من **الأنزاف** .

• ورمادى يدخل فى أدوية **الظُّفَرة**(٣٩) .

وقفة مع النص :

(٣٩) **الأولية** : السبق .

الأولوية : الأحقية .

يعتضد : يعضد ويدعم ويقوى .

الشرى : داء يأخذ فى الجلد أحمر كهيئة الدراهم ؛ وقيل هو بثور صِغار حكاكة مؤلمة تشتد بالليل فى البدن .

الغض : الطرى .

الرُّعَاف : الدم السائل من الأنف .

الأنزاف : جمع نزف ، وهو النزيف الدّموى . سيلان الدم .

الظُّفَرَة : جليدة تغشى العين من الجانب الذى يلى الأنف .

[٤٠]

• ودهنى لحرق النار ، وشقاق المعدة **والبثرة** .

• وليس فى الأشربة **ما يَعْقِل** وينفع السّعال والرئة غير شرابى .

• وإذا اتخذ من قُضبانى حَلْقة وأدخل فيها الخِنصر سكنت ورم **الأرابى** .

• وأنا الباقى على طول الزمان ، وقد قال فىّ بعض الأعيان :

الآس سيـــد أنــوار الريـــاحين .·. فى كل وقت وحين فى الـــبساتين

يبقى على الدهرِ لا تَبْلَى نضارتُـه .·. من المصيف ، ولامن برد كانـون

وقال آخر :

للآسِ فضلُ بقائــه ووفائـــه .·. ودوام منظـــره على الأوقـــاتِ

قامت على أغصانـــه ورقاتُـــه .·. كنُصُولِ نَبْلٍ جئــن مُؤتلفــاتِ(٤٠)

وقفة مع النص :

(٤٠) البثرة : خراج صغير .

يعقل : يحبس .

شِقاق البرد : تشقق يعرض من البرد يصيب الدواب فى أرساغها ، ويصيب الإنسان كثيرا فى أطرافه ، وفى وجهه وشفتيه ومقعدته .

الأرابى : الآراب : الأعضاء ، ومفرده « إِرْب » . والأُربيّة أصل الفخذ . وجمعها أرابى .

وقال آخر : للآسى الخ .. البيتان منسوبان إلى الأخيطل الأهوازى كما فى حسن المحاضرة وهو شاعر عباسى .

وقد ورد البيتان فى نيل الأرب مع اختلاف : نضرته بدلا من منظره ، وجِدّ بدلا من جئن .

[٤١]

الريحانَ يتولى بَيَانَ حجته :

فقام الريحان ، وقال :

يا آسُ ! لأَجْرَحَنَّك جُرْحاً ماله من آسٍ !

ألم يرد فيك من طُرُق الأئمة الأعلام عن النبى عليه أفضل الصلاة والسلام : « **أنه نهى عن التخلل بك والاستياك** »؛ لأنك تسقى وتحرك عروق الجذامِ؟!

إذا قالت حَذامِ فصَدِّقوهــــــا
فإن القَـــــــوْلَ ما قالت حَذَامِ

● وأنا الوارد فىّ :

« **عليكم بالمرْز نجوش ؛ فشموه ؛ فإنه جَيِّدٌ للخُشام** » .

● والمؤْذِن لأصحاب الأرق بالمنام .

● والنافع من « الماليخوليا » ، واللَّقْوَة ، وسيّلان اللُّعاب ، وبرد الأحشاء ومن عسر البول والمغْص ، وابتداء **الاستسقاء** .

● ومن الأوجاع العارضة من البردِ والرطوبة ، وأجفف رطوبة المعِدة والأمعاء .

● وأحلل النضخ وأفتح السدد[41] .

وقفة مع النص :

(41) **الآسى** : المداوى والمعالج . نهى عن التخلل بك :
ذكره السيوطى فى مختصر الطب النبوى .
وساق حديثه عن عائشة رضى الله عنها :
« نهى رسول الله ﷺ أن يستاك بعود الآس وعود الرمان فإنهما يحركان عرق الجذام » رواه أبو يعلى وابن السكن .
وحذامِ امرأة يضرب بها المثل فى الصدق . والمثل لايغير سواء قصد الريحان نفسه ، أو كان السيوطى يقصد حديث عائشة رضى الله عنها .
المرزنجوش : قال ابن القيم : ورد فيه حديث لا نعلم صحته « عليكم بالمرزنجوش فإنه جيد للخُشام » والخُشام : الزكام . وقد أخرجه ابن السنى وأبو نعيم فى الطب عن أنس ، ورمز له السيوطى بالضعف .
والمرزنجوش : نبات كثير الأغْصَان ينبسط على الأرض فى نباته ، وله ورق مستدير عليه زغب ، وهو طيب الرائحة جدا .
ويُسَمىّ المردقوش : وله فوائد طبية إلى جانب رائحته العطرية الجميلة .
الماليخوليا : ضعف العقل .
الاستسقاء : مرض ينشأ عن تجمع سوائل فى تجاويف الجسد أو فى خلاياه .

[٤٢]

● وأدرّ **الطمث** ، وأنفع من لسعة العقرب لمن بالخل ضمد .
● ودهنى لما يعرض فى الرحم من الاختناق والانضمام والانقلاب .
● ويدخل فى ضمادات الفالج ، وفى تشنج الأعصاب .
● ويسكن وجع الظهر والأُربيَّة .
● ويخرج المشيمة وناهيك بها تبرئة .

ومع هذا ، فأنا المنوّه باسمى فى القرآن ، فى قوله تعالى : ﴿ **فروحٌ وريحان** ﴾ [٨٩/ الواقعة] .

وإن كان الجنس فى الآية هو المراد ، فقد قصر هذا الاسم عَلَى العُرف قصْرَ إفراد .

وقد ورد فى الصحيحين عن سيد بنى كنانة :

« مثلُ الفاجرِ الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة » :

وحسبُك مِنّى فى التشبيهِ قول من قال على البديه :

أمـا ترى الـريحانَ أَهْـدَى لنـا حَمَاجِمـاً منـه فأحْيَانـا
تحسبُـه فى طَلّـه والنَّـدَى زُمُـرّداً يحمـل مَرجانـا

الآس يتصدى له :

فعطف عليه الآس وقال :

يا رَيْحانُ ! تريد أن تَسُود ؟! وأنت مُشَبَّه بهاماتِ العبيد السود !![42]

وقفة مع النص :

(٤٢) الطمث : الحيض .

الفالج : شلل يصيب أحد شقى الجسم .

الأُرْبِيَّة : أصل الفخذ ، مما يلى البطن ، أو لحمة فيه .

ناهيك بها : أى أن إخراج المشيمة وحدها كأنه ينهاك عن أن تبحث عن مزايا أخرى .

المنَوّه : المشار إليه ، والمشاد به .

الجنس : فى اصطلاح المنطقيين : ما يدل على كثيرين مختلفين بالأنواع ، فهو أعم من النوع ، فالريحان جنس من النبات طيب الريح من الفصيلة الشفوية ، وكل نبت طيب الرائحة .

العُرف : ما تعارف عليه الناس فى عاداتهم ومعاملاتهم .

قصر إفراد : هو عند البلاغيين تخصيص أمر بأمر دون آخر ، ويخاطب به من يعتقد الشركة :

والمراد أن العرف حين يذكر الريحان يريد به « المرزنجوش » ويقصره عليه وحده دون بقية الأنواع .

كمثل الريحانة : ورد فى البخارى فى كتاب الأطعمة : مثل المنافق الذى يقرأ القرآن ..الخ

بقية الهامش رقم [٤٢] :

على البديه : دون إعداد سابق ؛ أو إعمال فكر .
الحماحم والحماحمة : الحبق البستانى العريض الورق ؛ والريحان هو الحبق .
الهامات : جمع هامة . والهامة : الرأس .

[٤٣]

ألم يغنك عن مقصورى قول الشهاب المنصورى :

أهــــلاً وسهـــــلاً برياحيننـــــا كأنها هامـــــات تُكـــــرورى

وقول الآخر :

وريحانٍ تميسُ به غُصُونٌ يَطـيبُ بشَمِّـه لَثْـم الكُئـوسِ
كسودانٍ لبسنَ ثِيـــابَ خزٍّ وقد قاموا مكاشيـفَ الـرءوسِ

الاتفاق على التحكيم !

قال الراوى :

فلما أبدى كلٌّ ما لديه ، وقال ورُدّ عليه ، اتفق رأى الناظرين ، وأهل الحلّ والعقد من الحاضرين على أن يجعلوا بينهم حكَماً عادلا ، يكون لقطع النزاع بينهم فاصلاً ، فقصدوا رجلا عالما بالأصول والفرُوع الموقوف منها والمرفوع ، عارفا بالأنساب ، مميّزاً بين الأسماء والألقاب ، والأتباع والأصحاب ، مديدَ الباع ، بسيط اليدين فى معرفة الخِلاف والإجماع ، خبيراً بمباحث الجدل ، بصيرا باستخراج مسالك العلل ، مُتَبَحِّراً فى علوم اللغة والإعراب ، متضلعا بعلوم البلاغة والخِطاب محيطا بفنون البديع ، حافظا للشواهد الشعرية التى هى أبهى من زهر الربيع ، شديدَ الرّمية ، سديدَ الإصابة ، إذا فَوّق لفنِيّ الشعر والكتابة .

الشعر والنظم صوغ بيانه ، والنثر والإنشاء طوع بنانه ، والتاريخ الذى هو فضيلةُ غيرِهِ فَضْلَةُ ديوانه..

مثولها بين يدى المحَكم للنظر فى القضية :

فلما مثلوا بين يديه ، ووقعت عينهم عليه ، قالوا : يا فريدَ الأرض ، يا عالم البسيطة ما بين طولها والعرض ! إنّا أخْصَام بغى بعضنا على بعض ، فانظر فى حالنا ليكون ذلك ذخيرةً يوم العرض ، واحكم بيننا بالحق ، واقضِ لأينا بالملك أحق !

فقال : أيُّها الأزهار ، إنى لست كالذى تحاكم إليه العنبُ والرّطَب ، ولا الذى تقاضى إليه المشمش والتوت ، ولا التين والعنب(٤٣) .

وقفة مع النص :

(٤٣) تُكرورى : منسوب إلى تكرور شعب من الزنج ، يقيم فى السنغال ، وغينيا .
وقال آخر : وريحان .. إلخ ، البيتان منسوبان إلى ابن عبد ربه كما فى نهاية الأرب .
أهل الحل والعَقد : من يملكون حق الفتوى ، أو من بيدهم الأمر أو من يملكون الكلمة .

[٤٤]

إنى لا أقبلُ الرُّشا ، ولا أطوى على الغِلّ الحَشَا ، ولا أميلُ مع صاحب رِشوة ، ولا أستحلّ من المال المسلمين حَسْوة إنما أحكم بما ثبت فى السنة ، ولا أسلك إلا طريقا موصلا إلى الجنة .

فقُصّوا علىّ الخبر ؛ لأعرف من فجرَ منكم ومَن بَرّ !

فلما قصَّ عليه كلٌّ قوله ، وأبدى هيّنه وهَوْله قال :

ليس أحد منكم مستحقا عندى للمُلك ، ولا صالحاً للانخراط فى هذا السِّلك ، ولكن الملك الأكبر ، والسيد الأبَرّ وصاحب المنبر ، ذو النشر الأعطر ، والقدر الأخطر ، السيد الأيّد ، الصالح الجيّد ، من شاع فضله وانتشر ، وكان أحبّ الرياحين إلى سيد البشر ، واشتمل على ما فى الرياحين من الحسنى وزيادة ، وحكم له النبى ﷺ بالسيادة ، وشهد له بها وناهيك منه بالشهادة .

فقالوا : أيها الإمام ، أوضح لنا هذا الكلام ، وارو لنا ما ورد عن النبى عليه السلام ؛ لنبلُغَ من اتّباعِه غايةَ المَرام ، ويَنْقَطِعَ المَلام !

وقفة مع النص :

(٤٤) الرُّشا : جمع رِشوة .
الغِل : الحقد ، وسوء الطوية .

بقية الهامش رقم [٤٤] :

الحشا : داخل الإنسان ، وما يضم أسراره .
حسوة : مَرَّة من الحَسْو وهو الشرب ، أى : جرعة . والمراد : لا أستحل شيئا مهما صغر وقلّ .

[٤٥]

روى **الطبرانىّ** ، **والبيهقى** ، وابن السُّنّى ، وأبو نُعَيْم وغيرهم بالأسانيد العالية من حديث **بُرَيدة** عن النبى ﷺ صلاة متتالية أنه قال :

« **سيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية** » وروى الطبرانىّ من حديث **عبد الله ابن عُمر** مرفوعاً :

« **سيدُ ريحانِ أهل الجنة الفاغية** » وكفى بذلك سُطُوعاً .

وروى البيهقى فى شُعَبِ الإيمان عن أنس بن مالك قال :

« **كام أحبُّ الرياحين إلى رسول الله ﷺ الفاغية** » وناهيك بذلك(٤٥) .

وقفة مع النص :

(٤٥) الطبرانى : أحد أئمة الحديث وصاحب تصانيف كثيرة توفى سنة ٣٦٠ هـ .
والبيهقى : هو أبو بكر أحمد بن الحسين صاحب السنن توفى سنة ٤٥٧ هـ . وسننه منها الصغرى والكبرى .
بريدة بن الحصيب بن عبد الله من أكابر الصحابة توفى سنة ٦٣ هـ .
الفاغية : نَوْر الحناء خاصة وهو : « تمر الحِنّا » فى لغة العامة .
عبد الله بن عمر بن الخطّاب صحابى شهد فتح مكة وتوفى سنة ٧٣هـ . بها . له فى كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثا .
أنس بن مالك : هو أبو ثمامة أو أبو حمزة صاحب الرسول ﷺ وخادمه وروى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثا . توفى بالبصرة سنة ٩٣هـ .
وحديث « **سيد الرياحين فى الدنيا الفاغية** » ذكره أيضا الهيثمى فى مجمع الزوائد ، وسنده ضعيف جدا ، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

بقية الهامش رقم [٤٥] :

وقد جاء فى الجامع الصغير للسيوطى عدد من الأحاديث تتناول الحناء بالذكر منها « **الحناء سيد ريحان أهل الجنة** » و « **الحناء يفصل مابين الكفر والإيمان** » وهو حديث ضعيف ، « **وعليكم بالحناء فإنه ينور رءوسكم** .. الخ » وهو حديث منكر . ولكن جاء فى مسند الإمام أحمد « **أن رسول الله ﷺ : كانت تعجبه الفاغية** » .

[٤٦]

منافعه العلاجية :

- هذا وفيه منافع للمعالج :

من أوجاع العصب ، **والتمدد** ، والفالج .
- ومن الصُّداع وأوجاع الجنب والطِّحال .
- وإذا جعل فى ثياب الصوف منع السوس من فسادها بكل حال .
- ودهنه يلين العصَب ، ويحلل الإعياء والنصَب .
- ويوافق الخناق وكسر العظام ، والشوصة وأوجاع الأرحام ، وما يعرض فى الأربية من حار الأورام .
- ويقوى الشعور ويزينها ، ويكسبها حُمْرةً وطيبا ويحسّنها .
- وحِنّاؤه المسحوق ينفع من الأورام الحارة والبلغم ، ويفتح أفواه العروق[٤٦] .

وقفة مع النص :

(٤٦) **التمدد** : اتساع تجويف أو قناةٍ ، أو فتحة اتساعاً مرضيًّا .

[٤٧]

- وينفع من القروح والقلاع ، ومواضع حرق النار .
- ومن شرب ماء نقعت فيه حسن **ما تعفن** منه من الأظفار .

● ونفعه من ابتداء الجذام إذا أدمنه بالادهان ، وإذا خضب بها رجل المجدور حصل لها منه الأمان .

● وإذا ضمّد بها الجبهة والصُّدغ منع انصبابَ الموادّ إلى العين .

● وإذا شُرِبَ بزرُها بمثقالٍ من العسل نفع الدماغ بلارين[٤٧] .

وقفة مع النص :

(٤٧) القلاع : مايكون على جلد الأجرب مما يشبه القشر .
تعفّن : أصيب بعفونة . أو تغضّن : أى كانت الأظفار غير منبسطة .
إذا أدمنه بالادهان : أى داوم على دهنه به .
رين : يقال : رانت النفس رينا : خبثت وغثت .

[٤٨]

وقد روى الترمذى وأبو نعيم عن سَلْمى قالت :

« ماكان برسول الله ﷺ قُرْحَةٌ ولانُكتة إلا أمرنى أن أضع عليها الحِنّاء »

وروى البزار وابن السنى عن أبى هريرة قال : « **كان رسولُ الله ﷺ إذا نزل عليه الوحى صدع ، فيغلف رأسه بالحِنّاء** » .

وروى البزار « **اختضبوا بالحِنّاء ، فإنه يزيد فى شبابكم ونكاحكم** » (يعنى الوقاع) .

وروى ابن السُّنى حديث :

« **عليكم بسيد الخضاب : الحِناء يطيب البشرة ؛ ويزيد فى الجماع** » والأحاديث فى الحث على صبغ الشعر به كثيرة ، وعلى خضاب أيدى النساء به شهيرة .

وأنا القائل فيه ؛ لأوصّله حَقَّه وأوفّيه :

كأنما دَوْحــةُ الحِنّــاءِ إذ فُتِّــحتْ أنوارُهـا وبَـدَتْ فِى عَيْـنِ مُرْتـقبِ
عَروسُ حُسْنٍ تجلّت فى غَلائِلِهَا خُضراً وقَدْ حُلِّيَتْ باللؤلؤ الرطْبِ[٤٨]

وقفة مع النص :

(٤٨) سَلْمىَ : جاء فى كتاب الإصابة أن سَلْمى خادم النبى ﷺ وهى أم رافع زوج أبى رافع . والحديث رواه ابن ماجه فى كتاب الطب .

بقية الهامش رقم [٤٨] :

البزّار : هو الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البصرى توفى سنة ٢٩٢ هـ له مسندان: كبير وصغير .

أبو هريرة : هو عبد الله أو عبد الرحمن الأزدى . أسلم يوم خيبر سنة ٧ هـ كان أعلم الناس بالحديث .

والأحاديث فى الحث على صبغ الشعر كثيرة :

خبر « خضب شعر الرسول ﷺ بالحناء والكتم » رواه الترمذى فى كتاب اللباس . والنسائى فى كتاب الزينة ، وابن ماجه فى كتاب اللباس .

[٤٩]

قال الراوى :

قال : فلما سمعت الرياحين هذه الأحاديث فى فضله أطرقوا رءوسهم خاشعين وظلت أعناقهم لها خاضعين ودخلوا تحت أمره سامعين طائعين .

ومدوا أيديهم له مبايعين بالإمرة ومتابعين .

وقالوا : لقد كنا فى غفلةٍ من هذا إنا كنا ظالمين

وتواصَوْا على إشاعة ما فضّله الله به وقالوا :

لا نكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين

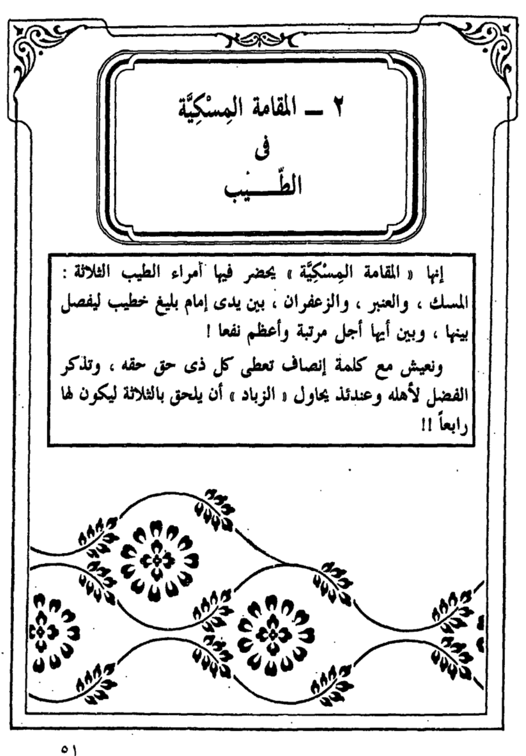
وقضى بينهم بالحق وقيل :

الحمد لله رب العالمين(٤٩)

وقفة مع النص :

(٤٩) وظلت أعناقهم : اقتباس جميل من القرآن الكريم ﴿ فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴾ [٤/الشعراء]

لقد كنا فى غفلة : اقتباس لطيف من سورة الأنبياء الآية/ ٩٦ ﴿ ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴾ ﴿ ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين ﴾ [المائدة/ ١٠٦] ﴿ وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ [الزمر/ ٧٥] .



٢ ـ المقامة المِسْكِيَّة
فى
الطّـيـب

إنها « المقامة المِسْكِيَّة » يحضر فيها أمراء الطيب الثلاثة : المسك ، والعنبر ، والزعفران ، بين يدى إمام بليغ خطيب ليفصل بينها ، وبين أيها أجل مرتبة وأعظم نفعا !

ونعيش مع كلمة إنصاف تعطى كل ذى حق حقه ، وتذكر الفضل لأهله وعندئذ يحاول « الزباد » أن يلحق بالثلاثة ليكون لها رابعاً !!

المَقَامَة المِسْكِية فى أنواع الطِّيب

[١]

أمراء الطيب بين يدى إمام فى البلاغة خطيب :

مدخل المقامة :

حَضَر أُمَرَاءُ **الطِّيب** بين يَدىْ إمامٍ فى البلاغة خطيب ؛ فقالوا : **أَيَّدَ اللهُ مَوْلانَا** وتولّاه ، وأَمَدّه بالمكارم وولّاه . وأولاه من نعمه ، وما أَجَدَره بذلك وأولاه ! وحرسَه من المكاره ووقّاه ، وأَصْعَده إلى ذِروة المجد ورقّاه . إنّا معشرَ إخوانٌ ، وعلى الخير أعوان . نرصد للخير ، ونقصد لدفع الأذى والضَّيْرِ .

لا يُرى منا مكروه ، وإذا قصدنا عارفٍ لم **يَرُعه** منّا ما يسوءه ، ولم يسؤه منا ما يعروه(١) .

المقامة المسكية فى أنواع الطيب

هوامش وتعليقات

وقفة مع النص :

(١) **الطِّيب** : ما يُتَطَيَّب به من عِطْر ونحوه ، **والمسك** الذى نُسبت إليه المقامة ضربٌ من الطِّيب يتخذ من ضرب من الغزلان كما أشار إلى ذلك أحد الشعراء بقوله :

* **فإن المسك بعضُ دَمِ الغزال** *

أَيّد الله مولانا : قواه . **وتولّاه** : نصره . **والمكارم** : جمع مكرُمة : فعل الخير . **وولّاه** : جعله واليا . **وأولاه** : أعطاه وصنع معه معروفا . **وما أجدره وأولاه** : أى ما أحقه . **ذروة المجد** : بكسر الذال وضمها : أعلاه . **ورقّاه** : رفعه وصعّده ويقال : رقاك الله أعلى المناصب .

إنا معشرَ : إخوان : المعشر الجماعة من الناس أمرهم واحد . والجمع معاشر .

نرصدُ الخير : نرقبه ونبحث عنه . **والضّير** :ما يَضُرّ بالإنسان .

قصدنا عافٍ : العافى : الضيف وكل طالب معروف فهو عافٍ .

يَرُعْهُ : **يفزعه** . **مايعروه** : ما يُلمّ به ويُصيبه .

[٢]

تعرضها لوقوع نزاع :

كل خبرٍ خيرٍ عنَّا شاعَ وذاعَ ، وكم ربحٍ ربحنا إذا ريُحنا ضاعَ ! وقد كاد يحصلُ بيننا نزاع ، أينا أجلّ فى المرتبة الطيبيّة وأحل فى مواطن الانتفاع ؟!

فنادانا المنادى فى النادى :

يأيها الملأ إنى نصيحكم :

﴿ **وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ﴾ [٤٦/الأنفال] .

تواصيها على حسن السير :

فتواصينا على حسن السير ، وتواطأنا على الصّلح ــ والصلح خير ــ واصطلحنا على ترك الجِدال والجِلاد ، وضربنا إليك أكباد الإبل من أقصى البلاد(٢) .

وقفة مع النص :

(٢) **وكم ربح ربحنا** : كَمْ خبرية تفيد التكثير . أى ما أكثر ما ربحنا .

إذا رِيحُنا ضَاع : ليس المراد ضياع الريح وحُصول الخسارة وإنما المراد بكلمة « ضاع » فاح وطابت رائحته وانتشرت .

المرتبة : المنزلة بين أصناف الطيب . وبين أجلّ وأحلّ جناس ناقص موسيقاه تؤثر فى النفس. **وأحل المكان** : نزل به . وفى التنزيل : ﴿ **الذى أحلّنا دار المقامة من فضله** ﴾ .

والنادى : مجلس القوم ومتحدّثهم وهو المنتدىَ أيضا ؛ ومكان مهيأ لجلوس القوم فيه . والغالب أن يتفقوا فى صناعة أو طبقة . والملأ : الجماعة ، وأشراف القوم وسَرَاتهم .

إنى نصيحكم : النصيح : الناصح **جمعه : نصحاء** .

وتنازعوا : أصلها تتنازعوا فحذفت إحدى التاءين : أى **تختلفوا** : وتفشلوا : تجبنوا وتضعفوا .

وتذهب ريحكم : أى تمضى وتزول . كناية عن ضعف القوى وخمود الحال .

تواطأنا : توافقنا . ﴿ **الصلح خير** ﴾ اقتباس جميل من [الآية ١٢٨/النساء] .

بقية الهامش رقم [٢] :

والجدال : المخاصمة والمناقشة . **والجلاد** : الضرب .

قصدها إليه ليفصل بينها :

وضربنا إليك أكبادَ الإبل من أقصى البلاد ! وقطعنا إليك كل بحر وواد ، وقصدناك ونحن أكرم رُوّاد ووُرّاد .

ولجأنا إلى حماك الذى هو للعُفاة مَلَاذ ، ووردنا منهلَك العذبَ الذى هو كافل لأنواع الملاذّ .

متشوفين إلى عظيم إنصافك ، متشوقين إلى كريم اتصافك . لتنشر من أوصافنا ما خَفَى ، وتُظهِرَ من خَفِىّ أسرارنا ما صَفَا . وتلبسنا من خِلع الملاحة ما ضَفَا ، وتعفو عما صدر منا من جفا ، وتأخذ من أخلاقنا ما عَفَى ، وتنعم لنا من دُرّ ألفاظك التى هى شِفَا لمن كان على شَفَا[٣] .

وقفة مع النص :

(٣) **ضربنا إليك أكبادَ الإبل** : رحلنا إليك فى طلب العلم. كل بر ووادٍ : **الوادى** : كلّ منفرج بين الجبال والتلال والآكام ، سمى بذلك لسيلانه يكون مسلكا للسّيْل ومنفذاً جمعه : أوداء وأودية ووديان .

روّاد ووراد : جمع رائد ووارد . **والرائد** : يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث ، وفى المثل : « الرائد لا يكذب أهله » **والرائد** : أيضا الذى لا يكذب إذا حدّث .. **والوارد** : السابق : وفى التنزيل العزيز . ﴿ **فأرسلوا واردهم** ﴾ .

والعفاة : جمع عافٍ : الرائد ، والوارد الماء ، والضيف ، وكل طالب معروف . **وملاذ** : ملجأ . **والمنهل** : المورد . أى الموضع الذى فيه المشرب .

والمَلَاذّ : **جمع مَلَذّ** : **موضع اللذة** . **متشوفين** : متطلعين .

والخِلع : جمع خلعة : ما يخلع من الثياب ونحوها . ويقال : خلع عليه خلعةً : أعطاه أو ألبسه إياها ، ويقصد أوصاف الجمال والحسن .

ماضفا : يقال : ضفا الثوب : سبغ .

بقية الهامش رقم [٣] :

جفا : جفَا فلان : ساء خلقه ، وجفا فلاناً : أعرض عنه وقاطعه .

وعفى : خفى .

وشَفَا : طرف وحرف . أما الشفاء فهو البُرء من المرض . ودواء النفس .

[٤]

سر توجهها إليه :

وذلك لما طرَق مسامِعنا من « مقامة الرياحين » التى أنشأتها والآية الكبرى التى **نسختها** وما **أنشأتها** ، وما أودعته فيها من بديع وصفك ، وبليغ رصفك ، وما أبرزت من منافعها ، وأطلعت من لوامعها ، وسفرت من **براقعها** ، ونشرت من محاسنها ، وأظهرت من مكامنها ، وجلوت من محياها ، وأخرجت خباياها من زواياها .

فإن رأيت أن تجعل لنا منها حظًّا ، وتحبّر لنا من **نظامك** لفظًا ، وتضرب لنا مع أولئك بسهم ، وتجعلَ لنا لسان صدقٍ يتناقَلُه عنك أو لو العِلْم والفهم ![٤] .

وقفة مع النص :

(٤) **نسختها** : كتبتها حرفا حرفا .

وما نسأتها : وما أخرتها .

لوامعها : بوارقها المضيئة .

سَفَرْت من براقعها : كشفت المغطى وأبرزت محاسنها الخافية .

مكامنها : جمع مكمن . وهو ما كان متواريا ، والعبارات كلها من التوكيد المعنوى الذى تترادف فيه الجمل على معنى .

تحَبّر : تكتب وتسجل ، وتصوغ ، وتؤلف .

من نظامك : من منظوم كلامك ، وهو ما حسن رصفه وتأليفه .

[٥]

إمام البلاغة يخطب فى أمراء الطِّيب !

فأجابهم على الفور :

مرحباً بالكرام الزّوْر ، أعيذكم بالله من الجوْر ، ومن الحَوْر بعد الكور ، وأقامكم فى أحسن طور ، وقطع عنكم التسلسل والدّوْر .

مثلكم من إذا سأل يجاب ، وإذا دَعَا فله يستجاب ، ثناؤكم المستطاب ، ونشركم يملأ الوِطَاب ، وبكم تتجمّل الخُطّاب ، وسآتيكم بالحكمة وفصل الخطاب(٥) .

وقفة مع النص :

(٥) **الزَّوْر** : الزائرين . مصدر زاره ، ويوصف به على لفظه ، فيقال : هو زور ، وهى زور ، وهم زور .

الجَوْر : الظلم ، والافتئات على الحق .

الحَوْر بعد الكور : يقال : أعوذ بالله من الحور بعد الكور : من النقصان بعد الزيادة .
« **وكان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الحور بعد الكور** » من النقصان بعد الزيادة .

من التسلسل بعد الدور : يقال : دارت المسألة : كلما تعلقت بمحل توقف ثبوت الحكم على غيره فينتقل إليه ، ثم يتوقف على الأول ، وهكذا .

نشركم : **رائحتكم الذكية .**

الوطاب : الأوعية . ويقال : صَفِرت وطابه : مات أو قُتِلَ ، وامتلاء الأوطاب دليل الحياة .. فنشرها ينعش ويبعث فى الوجود وجودا .

[٦]

ثم صعد على منبر مُتَضَمّخاً بمسكه وعنبره ، وأقبل على الناس ، **واستنصت** الجُلّاس .

وقال :

الحمدُ لله الذى كرَّم أنواعَ الطِّيب ، ونَشَر العبيرَ من محاسنها على لسان كلّ خطيب .

وأشاع من نشرها ما هو أضوَعُ من **المندل** الرطيب ، ورفعها على الأسرة والأرائك ، وحبّبها إلى الأنبياء والمرسلين والملائك ، وقرنها بالسنن المطلوبة فى الجمعة والعيدين وحَسُن أولئك[٦] .

وقفة مع النص :

(٦) **مُتَضَمِّخاً** : واضعا على جسده الكثير من الطِّيب .

استنصت : طلب من الجالسين أن ينصتوا إليه .

المندل : العود الطيب الرائحة .

[٧]

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله جعل الخير **بحذافيره** فى الجنة ، وأنزل فى الدنيا من آثارها أنموذجا يستدل به على ما فيها من عظيم المِنّة .

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذى جاء بأطهر شريعة ، وأظهر سنة إلى الحق سريعة ، وأقوى مِلّةٍ إلى الله **ذريعة** .

الطيب خَلْقاً وخُلُقاً ، الذى كان يقطر منه ما هو أطيب من المسك إذا ارفَضّ عرَقا[٧] .

وقفة مع النص :

(٧) **بحذافيره** : بأسره ، أو بجوانبه ونواحيه جمع حذفار ، وحُذفور : الجانب .

ذريعة : وسيلة وسبب موصل .

ارفَضّ : سال وترشش ، وفى حديث البراق « أنه **استصعب** على النبى ﷺ ثم ارفض عرقاً وقَرّ » .

[٨]

صلى الله عليه وعلى آلِه وصحبِه ما نُصِبت أعوادُ مِنْبر ، وجلبت من بـرِّيت **نوافج** المسك ، ومن شاطىء البحر **نوافح** العنبر .

أما بعـد .. أيهـا النـاس :

فإن الله أتى أنواعَ الطِّيبِ شرفا عَميماً ، وجعل لها فى الدنيا والآخرةِ والبرْزَخ فضلا عظيما .

وحبّبَها إلى رسُلِه وأنبيائه ، وإلى ملائكته وخواصِّ أصفيائه .

وقفة مع النص :

(٨) **النافجة** : وعاء المسك . وجمعها نوافج « مُعَرّب » .

النوافح : الرياح التى تحمل رائحة العنبر .

بِرّيت : موضعان بالبصرة .

البرزخ : فترة القبر حتى البعث .

[٩]

ويكفى فيما شرّف به الطيبَ وأولاه ، ما رواه الحاكم فى المستدرك ، وصححه إذ رواه ، عن أنسٍ بن مالكٍ خادمِ المصطفى ومولاه قال :

قال رسول الله ﷺ ، وشرّف ، وكرّم وزادَ عُلاه[٨] .

« حُبّبَ إلىَّ مِنْ دنْياكُمْ النّساءُ والطِّيبُ ، وجُعِلتْ قرّةُ عينى فى الصلاة » .

وفى حديث آخر رويناه فى الصّحاح :

« أرْبَعٌ من سُنَن المرسلين : السِّواك ، والتعطُّر ، والحِنّاء والنكاح » .

وفى الحديث :

« من عُرِض عليه طِيبٌ فلا يردَّه ؛ فإنه خفيفُ المحمَل طيبُ الريح » .

وعن أنس « إن الرسول ﷺ كان لايردُّ الطِّيب » . رواه البخارى فى الصحيح[٩] .

وقفة مع النص :

(٩) « حُبب إلى .. إلخ » رواه السيوطى فى الجامع الصغير ، والطبرانى فى الأوسط والصغير ، والنسائى فى السنن ، والحاكم فى المستدرك .

أربع من سن المرسلين .. إلخ رواه الترمذى فى باب النكاح ، ورواه أحمد بلفظ «أربع

بقية الهامش رقم [٩] :

من سنن المرسلين : التعطر ، والنكاح ، والسواك والحناء » .

من عُرض عليه طيب .. رواه مسلم ، وأبو داود .

[١٠]

وروى البزار فى مُسنده حديثا فى رتبة الأنافة :

« **إن اللهَ طيّب يحبّ الطِّيب ، نظيف يحب النظافة** » . وقد ورد الأمرُ بالطيب فى غيرِ مَا مَوْطن ، من شرائع الإسلام : كالجمعة ، والعيدين ، والكسوفين ، والاستسقاء ، وعند الإحرامِ .

وشرع **مطلقاً** لكل حى ، ولميت كل قبيلة وحَىّ . وقال أبو ياسر البَغْدادى : الطِّيبُ من أعظمِ لذاتِ البشر ، وأقوى لدواعى الوطء وقضاء الوطَر(١٠) .

وقفة مع النص :

(١٠) « **إن الله طيب** ..إلخ » رواه السيوطى فى الجامع الصغير ، ورواه الترمذى .

الكسوفين : كسوف الشمس ، وخسوف القمر ، وإطلاق الكسوف عليهما من باب التغليب .

مطلقا : دون تخصيص .

الوطر : الحاجة فيها مأرب وهمة .. وجمعه أوطار .

[١١]

وورد فى الحديث الصحيح :

« **أن طيبَ الرجال** : « **ما ظهر ريحه ، وخفِى لونُه** » يعنى : كالزعفران ؛ ولهذا حُرّم على الرجال المزعفَر .

ثم إنكم أيها الأمراء الثلاثة :

المسك ، والعنبر ، والزعفران . ثلاثتكم فى السيادة والرئاسة أقران ، ولهذا أقام

فيكم دليل الاقتران فى السُّنَّة التى هى تالية للقرآن(١١) .

وقفة مع النص :

(١١) « **طيب الرجال** .. إلخ » رواه النسائى فى كتاب الزينة .

المزعفر : المصبوغ بالزعفران . وهو نبات من الفصيلة **السوسنية** ، منه أنواع برية ، ونوع صيغىّ طبىّ مشهور .

أقران : نُظَراء .

الاقتران : التلازم فى الذِّكر فما ذكر أحدها إلا ذكر الآخر .

[١٢]

روى ابن أبى الدنيا من حديث أنس عن أعظم نبى صعد المنبر :

« **خلق الله الجنةَ مِلاطُها المِسك ، وحشيشتها الزعفران ، وحَصْبَاؤها اللؤلؤ ، وترابُها العنبر** » .

فضل المسك ومزيته :

ولكن للمِسْك من بينكم الخصوصيّة وله عليكم الفضل والمزيّة ؛ حيث جاء ذِكْرُهُ فى التنزيل ، وذلك غاية التشريف والتبجيل .

قال تعالى : فيما تلاه الدارسون : ﴿ **يُسْقَوْن من رحيق مختوم ختامُه مسك وفى ذلك فلْيتنافَس المتنافسون** ﴾[المطففين /٢٥ ــ ٢٦](١٢) .

وقفة مع النص :

(١٢) ابن أبى الدنيا : الحافظ صاحب المؤلفات الكثيرة فى الزهد والتصوف . قال : حدثنا محمد بن المثنى البزار : حدثنا محمد بن زياد الكلبى حدثنا نفيس بن حنين عن سعيد ابن أبى عروبة عن قتادة عن أنس وذكره ابن كثير .

وقد ذكر السيوطى فى الجامع الصغير حديثا مماثلا لهذا الحديث « **الجنة بناؤها لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت ، لاتبلى ثيابهم ، ولايفنى**

بقية الهامش رقم [١٢] :

شبابهم » رواه أحمد فى مسنده والترمذى فى سننه .

المِلاط : هو الطين الذى يُجعل بين الأحجار فى البناء ليجتمع بعضها إلى بعض .

[١٣]

وقال فيه الصادق المصدوق ــ وهو مُنْبيء عن فضله ومُعْلِم :

« **أطيبُ الطيبِ المِسْكُ** » رواه أبو سعيدٍ الخُدْرىّ وخرّجه عنه مُسلم .

ومن كلام العرب المأثور فى القديم : « ليس الطيبُ إلا المسكُ » .

بالرفع على لغة تميم .

وقد طُيِّبَ به الرسول ﷺ فى « حَنوطه » عند وفاته وفضلت منه فضلة فأوصى علىّ أن يُحَنّطَ بها تبركا بفضله وفضلاته[١٣] .

وقفة مع النص :

(١٣) على لغة تميم . فهو يجعلونه بدلا حتى فى المنقطع وأشار إلى ذلك ابن مالك فى باب الاستثناء حيث قال فى وقوع المستثنى بعد نفى أو شبهه .

* **وعن تميم إبدال وقع** * كالمتصل . مع أن لغة العرب فى المنقطع النصب سوى تميم .

الحَنوط : كل ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة من مسك وذريرة وصندل وعنبر وكافور ، وغير ذلك .

[١٤]

وأوصى سلمانُ الفارسى عند احتضاره أن يُرَشَّ به البيت فى أثر صحيح .

وقال : إنه يحضرنى ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ، ولكنهم يجدون الريح .

وكم روينا حديثاً صحيحاً ، جاء فيه ذكر المسك صريحاً :

من ذلك : **أنه** شبه به دمَ الشهيد

وخلوف فم الصائم وجعل له عليه المزيد .

وأن أنهارَ الجنة تَفَجّرُ من تحتَها جباله .
وأن فى الجنة مَراغاً من مسك نتمرغ فيه كما يتفرغ بهيم الدنيا فى رماله .
وشبه بحامله الجلس الصالح : إما أن يُحذيك ، أو تجد منه ريحا طيبة ؛ فأنت فى الحالين رابح رَابح

فوائده الطبية ومنافعه :

وقدّمه على سائر أنواع الطيب لحكمة عُلِمت وما جُهِلت ، وذلك أنه فى الدرجة الثانية من الحرارة إذا اشتعلت وما اعتدلت ، فهو يسرع إلى العُلوق ؛ فإذا أَلَمّ بها الزوج حبلت .

ومن منافعه الطبية ، ومحاسنه الطيبة أنه يطيب العرق ويسخّن الأعضاء .

وينفع من الرياح الغليظة المتولدة فى الأمعاء ، ويُقَوّى القلب ويشجع أصحاب المِرّة السوداء(١٤) .

وقفة مع النص :

(١٤) **دم الشهيد** : فقد روى السيوطى فى الجامع الصغير « **زملوهم بدمائهم ؛ فإنه ليس من كلم يكلم فى الله إلا وهو يأتى يوم القيامة وجرحه يشخب دما لون الدم وريحه ريح المسك** » .

وخَلُوف فم الصائم : الخلوف الرائحة . وقد جاء فى صحيح البخارى : « **والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك** » .

[١٥]

وفيه مِنَ التوحش تفريج ، ومن السّدَد تفتيح .

ويُصْلح الأفكار ، ويذهب بحديث النفس ومافيه من الاستنكار .

ويقوى الأعضاء الظاهرة وضعا ، والباطنة شربا ، وناهيك بذلك نفعاً .

ويُعين على الباه ، وينفع من باردِ الصداع ، وإذا طُلِى به مع دهن **الْخِيرِىّ** رأس

الإحليل أعان على سرعة الإنزال وكثرة الجماع .

ويقوى الدماغ وينفع من علله البارِدة ، ويُبطل عمل السموم ونهشَ الأفاعى ، فيالها من فائدة(١٥) !

وقفة مع النص :

(١٥) **الخِيرِىّ** : نبات له زهر ، وغلب على أصفره ؛ لأنه الذى يستخرج دُهنه ، ويدخل فى الأدوية .

ويقال للخُزَامَى : خِيرِىّ البَرّ ؛ لأنه أزكى نبات البادية .

الإحليل : مخرج البول من الرجل .

[١٦]

وهو جيد للغشى ، وسقوط القوة والخفقان ، وللرياح التى تعرض فى العين ، وفى سائر جسم الإنسان .

ويجلو البياض الرقيق من العين ، ويقويها وينشف رطوبتها من غير شين .

ويعقد البطنَ ، ويُزيل من الوجه الاصفرار ، وينفع من أوجاع **البواسير** الظاهرة طِلاءً عليها بالتكرار .

وإذا استعمل للحرارة الغريزية قوّاها ، وفى أدوية الحواسّ الأربع كلها زَكَّاها ، وإذا تُخلط بالأدوية المسهلة كان أبلغ فى إنقاها(١٦)

وقفة مع النص :

(١٦) **الغشى** : الإغماء .

يعقل البطن : يمسكها .

البواسير : جمع باسور . طية سميكة من الغشاء المخاطى فى أسفل شقٍّ شرجى . وتطلق على مرض يحدث فيه تمدد وريدى دوالىّ فى الشرج على الأشهر تحت الغشاء المخاطى .

وينفع من إضعاف الأدوية المسهلات [١٧]

● وإذا حُلَّ فى دُهن البانِ وطَلِىَ به الرأس منع من النزلات

● وإذا سُعِط به المفلوج ، وصاحب السكتة الباردة نَبّهَه .

● وإذا حُلّ فى الأدهان المسخنة وطُلى بها فقارُ الظَّهر نفع من **الخدَر والفالج** وما أشبهه .

● وأكثر نفعه للمشايخ والمرطوبين وخصوصا فى الأزمنة والبلاد القارة .

● ويصدع الشباب والمحرورين ولاسيما فى البلاد والأزمنة الحارة .

ولِعِظَم شأنه ، وعُلُوّ مكانه حَبَتْه الشعراء بالتنْزِيه .

ولم يشبهوه بشىء ؛ بل جعلوه أصلا للتشبيه :

فشبهوا به لون المحبوب والخال ، وكل ما استُطيبَ ريحُه شبه به فى الحال .

قال فى اللون بعض من قال :

أشبهكِ المسك وأشبهته ... فى لونه قائمة قاعدة
لا شك - إذْ لونُكما واحد - ... أنكما من طِينةٍ واحده

وقال فى الخال ، صاحبٌ شغل الحال :

بدا فى خدّه المُخمَّرِ خالٌ ... تَحَيَّرُ فيه أَلْبابُ الرِّجال
فقلت : أليسَ ذَا ظَبْياً أنيقاً ... وذاك المسكُ بعض دم الغزال ؟![١٧]

وقفة مع النص :

(١٧) **البان** : ضرب من الشجر ، سبط القوام ، لين ، ورقه كورق **الصفصاف** ، ويشبه به الحسان فى الطول واللين ، واحدته بتاء « بانة » .

سُعط به : جُعل سعوطا يستنشق « نشوق » .

الخدَر : فقد الإحساس ، عامًّا كان أو موضعيًّا ، وقد يكون نتيجة لحالة نفسية أو عضوية .

الفالج : الشلل الذى يصيب أحد شِقَّي الجسم طولا .

القارة : الباردة . **الخال** : شامة أو نكتة سَوداء فى البدن .

[١٨]

وأبدع أبو الطيِّب فى تشبيهه حيث قال فى تعظيم ممدوحه ، وتنويهه :

رأيتك فى الذين أرى ملوكاً كأنك مستقيم فى محالِ
فإن تَفُقِ الأنامَ وأنتَ مِنْهُم فإنّ المسك بعضُ دمِ الغزالِ

وقال السُّروجىّ :

فى الجانب الأيمنِ من خدِّها نُقْطةُ مسْكٍ أشتهى لَثْمها
حَسِبْتُه لمّا بدا خالَها وجدته مِنْ حُسنِه عَمَّها

وقال ابن عبد الظاهر :

عنبرىٌّ يروقنى العجز منه ولَكَمْ راقَ عاشقاً تفريكُه
كُلّما قلت : خالُه المسك قال المسك : حاشاه ؛ إننى مملوكُه(١٨)

وقفة مع النص :

(١٨) **تفريك** : تكسّر فى الكلام والمِشية .

[١٩]

وقال آخر :

لا عجب ؛ إنْ مَالَ من نَشْوةٍ فريقُه صَهْبَاءُ سَلْسَالُ
وكيف لا تُنسَبُ أنفاسُه للطيبِ ؛ والمسك له خالُ

ثم رأيت بعض الشعراء شبهه بالشباب ؛ وذاك يدل على تميزه عند أولى الألباب .

قال وجيه الدين أبو الحسن عبد الكريم المناوى :

المسكُ أنْفَسُ طِيبٍ مِثْلُ الشبابِ وزينهِ

حكـــــاهُ ظَرْفـــــاً وحُسْنـــــاً   وفى شذاه ولونـــــــــــــــه
إن كان للطِّـــــيبِ عَيْـــــنٌ   فالـــــمِسْكُ إنسانُ عيْنِـــــه[19]

وقفة مع النص :

(١٩) إنسان العين : ناظرها .

[٢٠]

وقال :

للـــــمسكِ فضلٌ علَى الطِّـــــيـــــب إن أراد احتكامَـــــــــا
يكفيـــــه إن راح فى الخُلْـــــــــــدِ للرحيـــــق خِتامَـــــا

منزلة العنبر :

وأما أنت أيها « العنبر » فثانى المسك فى الفضيلة ، وتالى رتبته فى المِزاج ؛ فإن الحرارة فى العنبر عديلة .

ولكونه أشرف من سائر ما بقى ؛ قال **ابن البيطار** :

العنبر سيد الطِّيب !

وإن كان لا يُسَلَّم له ذلك فى المسك ؛ لأنه مقدم بقول الصادق الحبيب .

وقد صحت أحاديث فى السّنة أن :

« العنبر تراب الجنة »[20] .

وقفة مع النص :

(٢٠) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ **ختامه مسك** ﴾ [٢١/المطففين]

العنبر : مادة صُلْبة لا طعم بها ولا ريح إلا إذا سحقت أو أحرقت . يقال : إنه روث دابّة بحرية .

ابن البيطار : عالم نبات مسلم ، عاش منذ ثمانمائة عام . غرس النباتات النادرة فى

بقية الهامش رقم [٢٠] :

الحدائق ، وساح فى أرجاء الأندلس والمغرب الكبير وآسيا الصغرى واليونان والشام لمعرفة عالم النبات ، ووصف ألفا وأربعمائة نبات من اكتشافه ، وسار رئيسا للصيادلة بمصر والشام .

وألف كتابين فى العلاجات النباتية والمعدنية والحيوانية ، وصارت كتبه من بعده مرجعا للصيادلة والأطباء وعلماء النبات .

[٢١]

وروى البخارى فى تاريخه عن عائشة أنها سئلت : **أكان النبى ﷺ يتعطر ؟ قالت : « نعم . بِذِكَارَة العطر : المسك والعنبر »** .

وسئل ابن عباس عن « زكاة العنبر » ؛ فقال :

« إنما هو شئ **دَسَره** البحر ، وإن كان ففيه الخمس » .

وفيه منافع أودعها الله لعباده ، وقد استخرجها كل طيب نَدُس .

منها :

- أنه يفيد القلبَ والحواسَّ والدماغَ قوّة .
- وينفع **شمه** من أمراض البلغم الغليظ ، والفالج ، واللَّقْوَة .

وطلاؤه من الأوجاع الباردة فى المعد ، ومن الرياح الغليظة العارضة فى المعَى ، والمفاصل ، والدماغ ، ومن السّدَد .

- وينفع من الشقيقة ، والنزلات الباردة ، والصّداع الكائن عن الأخلاط **بَخُوراً** .
- ومن جميع أنواع العصب والخَدَر إذا حُلّ فى دهن « البان » ودهن به فقار الظهر كثيرا .
- ويقوى « فم المعدة » إذا غمستْ فيه قطنة ووضع عليها يسيرا .
- وينفع أكله المغدة تقديرا[٢١] .

وقفة مع النص :

(٢١) **ذكورة الطيب** : ما ليس له ردع . والردع : الزعفران أو لطخ منه ، وأثر

بقية الهامش رقم [٢١] :

الطيب فى الجسد .

وروى النسائى فى سننه عن عائشة « سئلت عائشة : أكان رسول الله ﷺ يتطيب ؟ **قالت : نعم . بذكارة الطيب : المسك والعنبر »** .

دسره البحر : دفعه موج البحر وألقاه إلى الشاطئ .

ندس : الخبير الفطن الذى يدقق النظر فى الأمور .

[٢٢]

● وهو مُقَوٍّ لجوهر كل روح فى الأعضاء الرئيسية ومكثّر له تكثيرا .

وقد نزهه الشعراء عن التشبيه ، وشبهوا به من قصدوا لقدرِهِ **التنويه** !

وسمراء باهَى طَلعةَ البدرِ وَجْهُهَا
إذا لاح فى ليل من الشَّعْرِ الْجَعْدِ
محببةٌ من حَبَّةِ القَلْبِ لونُها
وطِينَتُها للمِسْكِ والعنبرِ الوردى

وقال البدرُ بن الصاحب :

لعَنْبَـــرِ خالِـــه عَبَـــق على وردٍ من الخدّ
فيـــالله طيب شَذاً بذاك العـــنبر الـــوردى(٢٢)

وقفة مع النص :

(٢٢) **التنويه** : الإشارة ، وحسن الذكر .

التمويه : مَوّه الحديث : زخرفه .

عبق : يقال : عبق به الطيب عبَقاً إذا لزق وظهرت فيه رائحته ، وعبق الشئ بقلبى وعبق بالمكان أقام فيه .

[٢٣]

وقال أبو الحسين الجوهرى يصف الفيل :

مَتْناً كبُنيـــان الخـــوَرْ نَقِ ما يُلاقِ الدهــــــرَ كَدّا
رِدْفـــاً كَدِكّـــة عَنْبَـــرٍ متمايـــل الأوراك نَهْـــدا

منزلة « *الزعفران* » :

وأمّا أنت أيها الزعفران :

فقد صحت الأحاديث « بأنك حشيش الجنة وترابها » وناهيك بها مَنْقَبةً جليلاً نِصَابُها .

وروى فى خبرٍ مأثور :

« **أن الله خلق منك الحور** » :

فأنت ثالث المراتب ، ثابت المناقب ، حبيب لكل صاحب ، لذيل الفضل ساحب(٢٣) .

وقفة مع النص :

(٢٣) **متناً** : المتن : الظهر . والرِّدف : الكفل والعجز والمؤخرة .

الخورْنق : موضع فى العراق قرب النجف . سكنه بنو إياد ، عمّر فيه النعمان اللخمىّ قصراً . وسّعه العباسيون ، وخرب فيما بعد . أشاد بذكره شعراء الجاهلية . وناهيك بها : أى هى تنهاك عن البحث عن غيرها من الصفات والمناقب ، والمزايا لأن فيها الكفاية !

« **خلق منك الحور** » : قال ابن قيم الجوزية فى حادى الأرواح ــ عند ذكر المادة التى خلق منها الحور العين ــ روى البيهقى من حديث الحارث بن خليفة عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ : « **الحور العين خلقن من الزعفران** » قال البيهقى : وهذا منكر بهذا الإسناد ، ولايصح عن ابن عليةّ . قلت : ولكنه حدث به شعبة . وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن رشدين . وذكر سند الحديث ــ عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال : « **خلق الحور العين من الزعفران** » قلت : وقد رواه : إسحاق بن راهويه عن عائشة مرفوعا . وهو أشبه بالصواب. لذيل الفضل ساحب . كناية عن تحليه به واتصافه بالفضل .

الزعفران : قال فى نهاية الأرب : والزعفران يسمى الجادى بالدالين المهملة والمعجمة ، والجِساد ، والرَّيْهُقَان ، والكُرْكُم .

بقية الهامش رقم [٢٣] :

لذيل الفضل ساحب : يَجُرّه خيلاء ويمشى تبخترا .

[٢٤]

غير أنه ليس للرجال فى التطيب بك مجال ، ولا بينك وبينهم فى المودة إسجال ، ولا فى **الموردة** سجال .

حرمت عليهم تحريما شديداً ، وهُدّدُوا على **التخلّق** بذلك تهديدا ، وأوعدوا على ذلك فى القيامة وعيدا ، وأكد عليهم التغليظ فى ذلك تأكيدا .

ولك مع أخويك الاشتراك فى اليبس والحرارة ، ومن الزعفران منافع عليها دليل **وأمارة** . من ذلك :

- أنه يحسّن اللون ، ويكسبه نضارة .
- ويُصْلح العفونة ، ويقوى الأحشاء .
- ويُهيجُ الباه ، ويقوى الأعضاء .
- ويجلو البصر ، ويمنع النوازل إليه ويحلل الأورام(٢٤) .

وقفة مع النص :

(٢٤) **إسجال** : أسجل الكلام إسجالاً أطلقه وأباحه . أى ليس بينه وبينهم تفاهم .

سجال : جمع سَجْل : وهو النصيب من الشيء والدلو العظيمة . والموردة الطريق إلى الماء ، ومأتاة الماء .

والجادّة : أى ليس لك نصيب معهم . ولا تشاركهم حياتهم

التخلق : التطيب ، والخِلاق : ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران .

أمارة : علامة .

[٢٥]

- وينفع الطّحالَ وأوجاع المقعدة والأرحام .
- ويسكن **الحمرة** ، ويُدِرّ البولَ ، ويهضم الطعام .

● وينفع مما فى الرحم من الصلابة والانضمام والقروح .

● وله خاصية عجيبة شديدة عظيمة فى تقوية القلب ، وجوهر الروح .

● وفيه بسط وتفريح إذا زاد لا يُحتَمل ؛ بحيث إنه إذا شرب منه ثلاثة مثاقيل قتل .

● ويشمّم لصاحب البِرسام ، ولصاحب الشوصة لينام .

● ويسهل النفس ويقوى آلاته جدا[٢٥] .

وقفة مع النص :

(٢٥) **الحُمْرة** : مرض جلدى مُعْدٍ يحمرّ فيه موضع الإصابة تصحبه حُمّى عالية .

البرسام : ذات الجنب ، وهو التهاب فى الغشاء المحيط بالرئة .

الشوْصة : وجع فى البطن من ريح . وتنطق أيضا بضم الشين المشددة : وقال ابن سينا قد تعرض فى الحجب والصفاقات والعضل التى فى الصدر والأضلاع ونواحيها أورام مؤذية موجعة جدا تسمى شوصة وبرساما وذات الجنب .

آلاته : أى الجهاز التنفسى .

[٢٦]

● ويفتح من العروق والكبد ما يسدّ سدّاً .

● ويُسْقَى يسيرُه للطّلْق المتطاول فتلد ! وهى منفعة جسيمة !

● وإذا عجن منه قدر الجوزة وعلقت على الزوجة والفرس بعد الولادة أخرجت المشيمة .

● ومن خواصّه أنه لا يغيرّ خلطاً أَلبتّةَ بل يحفظ الأخلاط بالسوية .

● وأن « سامّ أبرصَ » لا يدخل بيتا هو فيه ، وناهيك بها خصوصية[٢٦]

وقفة مع النص :

(٢٦) **المشيمة** : الغشاء الذى كان يضم المولود داخل الرحم .

سام أبرص : ضرب من الوزغ . دون سوام . « البُرْص » .

[٢٧]

ويكتحل به للزرقة المكتسبة من الأمراض .

وليحذر من الإكثار منه ، والإدمان عليه ؛ فإنه ردىء الأعراض .

ومن جيد التشبيه ، قول الخُوَارزمى فيه :

أما ترى الزَّعْفَرانَ الغضَّ تحسَبُه
حجراً بَدَا فى رَمادِ الفَحْمِ مضطرما

كأنــــه بين أوراقٍ تُحَــفُّ به
طرائقُ الدَّمِ فى خدّين قد لُطِمَا

دَمٌ عِيانــاً ومِسْكٌ نَشْرَ رائحــةٍ
فى طِيبِه وكذاك المسكُ كان دَمَا(٢٧)

وقفة مع النص :

(٢٧) **الخُوارزمى** : (أبو بكر) ٩٢٨ ــ ٩٩٣م شاعر عالم من أئمة الكتاب ثقة فى اللغة ومعرفة الأنساب . ولد فى خوارزم،رحل إلى دمشق وحلب واستقر فى نيسابور وتوفى بها ، اتصل بالصاحب بن عباد ، له : « الرسائل » المعروفة برسائل الخوارزمى ، و« ديوان شعر » ومنه هذه الأبيات .

[٢٨]

الزباد :

وأما أنت أيها « **الزباد** » وإن اشتهرت فى كل ناد ، بين كل حاضر وباد ؛ فلست تُعَدّ مع هؤلاء من الأقران ؛ لأنه لم يرد ذكرك فى آية من القرآن ، ولا فى حديث عن سيد ولد عدنان :

لافى الصِّحاح ، ولا فى الضعاف ، ولا فى الحِسان ، ولا فى أثر عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان !

فلا تتعَدّ طورَك ، ولا **تبعد غورك** .

ومتى ادعيت أنك رابعهم ! قيل لك : « اخسَا » .

ومتى جاريتهم فى ميدان السبق **فكَبْواً لك وتعْسًا !**

وقفة مع النص :

(٢٨) **الزّباد** : مادة عطرية تتخذ من حيوان من فصيلة الزباديات يسمى سنور الزباد تحت استه جيب تتجمع فيه هذه المادة العطرة .

لا تبعد غورك : لا تدخل فى غير مدخل . ويقال : غُرْتَ فى غير مَغَار أى دخلت فى غير مدخل .

اخسا : هى اخسأ مخففة الهمزة . دُعَاء عليه بالطرد !

كبْواً وتعساً : دُعَاء بالسقوط ، وسوء المنقلب .

[٢٩]

وأخرى أنبهك بها :

من الفقهاء من قرر نجاستك ..؛ وذلك مما يُسقط فى سوق الطيب نفاستك !

وقُصَارى أمرك أنك « عَرَق » هِرٌّبَرّى ، أو « لبن » سِنَّور بحرى .

فلا نسب لك ، ولا حَسَب ، ولا سلف ، ولا خلف . وأنت أقلّ شرفاً ، وأذلّ سلفاً .

ومتى انْتُتِفَ مِنْك من شعر أصلك ما يجاوز حد العفو ، فعليك العفا .

غير أنا نَجْبُرُ كسرك ، ونُغنى فقرك ![٢٩] .

وقفة مع النص :

(٢٩) **يُسْقِطُ نفاستك** : يقلل من قيمتك وشأنك .

سنور : من فصيلة القطط .

الحسب : ما يعدّه المرء من مناقبه أو شرف آبائه .

النسب : القرابة . ويقال : نسبه فى بنى فلان : هو منهم .

بقية الهامش رقم [٢٩] :

السّلَف : جمع سالف . كل من تقدم الرجل من آبائه وذوى قرابته فى السن أو الفضل .

الخلف : الولد الصالح .

[٣٠]

فقد رزقك الله أنواعاً من المنفعة ، وجعل فيك أسراراً مودَعة :

- إذا شمّك المزكوم نفعته من الزُّكام ...
- وإذا ضُمّخ بك الدماميلُ خفَّفت عنها الآلام .
- وإذا سقى منك درهم مع مثله زعفران فى مرقة دجاجة سمينة سهلت ولادة المرأة ، وحفظت الدرة الثمينة .
- وفيك رطوبة معتدلة لمن أراد المثافنة والمنافثة[٣٠] .

وقفة مع النص :

(٣٠) المثافنة : المخالطة ، وكذا المنافثة .

[٣١]

ثم رأيت فى خبر مرسل عن أم حبيبة زوج خير مُرْسِل : أن نسوة النجاشى أهدين لها « الزبّاد » الكثير ، وأنها قدمت به على النبى ﷺ البشير النذير .

فإذن حصل للزباد الشرف ، وارتقى إلى طبقة عالية الغرف .

وصار فى أنواع الطيب رائعا ، وللأمراء الثلاثة رابعا .

وأستغفر الله مما وقع من تنقيعه ،وأَستَعْفِيه من الجهل بتمييزه وتخصيصه[٣١] .

وقفة مع النص :

(٣١) **أم حبيب** : رملة بنت أبى سفيان أخت معاوية وأم المؤمنين تزوجها أولا عبد الله ابن جحش ، وهاجرت معه إلى الحبشة ، ولكنه ارتد هناك فبقيت على إسلامها معرضة عنه إلى أن مات ، فبعث الرسول ﷺ يخطبها وقام النجاشى بالعقد .

الخبر : أجدر من « السنة » أن يرادف الحديث ، فالتحديث إلى الإخبار ، وما حديث النبى ﷺ إلا الخبر المروى عنه ، المرفوع إليه .

غير أن إطلاق اسم « الإخبارى » على من يشتغل بالتواريخ ونحوها حمل بعض العلماء على : تخصيص المشتغل بالسنة بلقب المحدّث لتمييزه من « الإخبارى » .

وعلى تسمية ما جاء عنه ﷺ « حديثا » لتمييزه من الخبر الذى يجىء عن غيره .

وهذا يفسر قولهم : « بين الحديث والخبر عموم وخصوص مطلق ؛ فكل حديث خبرٌ ، وليس كل خبر حديثا . ومن المحدثين من يرى الترادف نظرا لأن الرواية قد شملت ما جاء على لسان النبى ﷺ وغيره فهى أخبار هنا وهناك ، ولذلك فلا ضَيْرَ فى تسمية الحديث خبرا ، والخبر حديثا .

والمرسل : هو الذى سقط من سلسلة رواته الصحابى ، ورفعه التابعى إلى الرسول ﷺ رأسا .

جعلنا الله ممن أناب إلى الحق ورجع ، وأصغى إلى الصدق ، وخشع ، وأعاذنا برحمته من كل شرك
وجنبنا كل زور وكذب وإفك
وجعلنا مع عباده الأبرار والمقربين
فى سلك
وجعلنا من الذين يُسْقَوْن
من رحيق مختوم
ختامه مسْك .



٣ ـ المقامة التفاحية
فى
أنــواع الفواكــه

أنشأها فى الفواكه الرطبة التى هى :

الرمان والأُترج ، والسفرجل والتفاح ، والكمثرى ، والنبق والخوخ .

عرّف فيها بطبائعها وذكر منافعها فى الطب والغذاء .

سؤال وإجابة :

[١]

سألت طائفة فاقهة ، عن مناقب . الفاكهة ، وصفاتها المشاكِهَة ، وما ضُرِب لها من الأمثال والمشابَهَة ، وما قاله فيها كل طبيب أريب ، وكل شاعر أديب .

واختارت منها سبعة زُهَراً ، وبضعة جهرَ الزمانُ بحُسْنِها جهرا ، فأجبناها لما طلبت ، وسالت قناة القلم بالبلاغة فيها لمَّا سالت ورَغبت .

وبدأنا بالألطف فالألطف فى الذات ، والأشرف فالأشرف فى الصفات .

الرُّمان

الرُّمان وما أدراك ما الرمان ؟!

مُصَرحٌ بذكره فى القرآن ، فى قوله تعالى فى سورة الرحمن : ﴿ **فيها فاكهة ونخل ورُمّان** ﴾ [الآية : ٦٨] .

وفى الحديث :

« ليس فى الأرض رُمّانةٌ تَلَقَّحُ إلا بحبة من حب الجنان »(١) .

وقفة مع النص :

(١) **فاقهة** : الفِقه (بكسر الفاء) : الفهم . وقد فقِه الرجل فهو فاقِه .

مناقب : جمع مَنْقبة ضد المَثْلبة . المزايا والصفات الحسنة .

المشاكِهَة : المقاربة ، والمشابهة .

أريب : ماهر .

سبعة زُهَراً : الزُّهر : ثلاث ليالٍ من أول الشهر كالغُرَر والمراد أنهن سبعة صفا لونها وبدا رونقها وحسنها .

سالت قناة القلم : فتح الله علينا بالإجابة فتدفّقت البلاغة فى الإجابة .

بقية الهامش رقم [١] :

سالت : أى سألت مخففة الهمزة . وبين سالت وسالت جناس الأولى من السيل والسيولة والثانية من السؤال .

ونخل ورمان : قال ابن كثير : وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما .

مع الرُّمّان

ليس فى الأرض .. إلخ ، يذكر ابن عباس ــ موقوفا ومرفوعا ــ مامن رمّان من رمّانكم هذا إلا وهو مُلَقّحٌ بحبة من رُمّان الجنة . قال ابن القيم فى الطب النبوى : والموقوف أشبه .

وقال الشوكانى فى الفوائد المجموعة : فى إسناد الحديث وضّاع . وقال الذهبى : هذا من أباطيل محمد بن الوليد بن أبان .

ويقول ابن القيم فى المنار مما يعرف به وضع الحديث سماجته وكونه مما يسخر منه كحديث : « مامن رمان إلا ويلقح بحبة من رمان الجنة » .

[٢]

منافع وحكم :

وقال على بن أبى طالب ــ فيما رواه البيهقىّ وأسنده :

« كُلُوا الرُّمّانَ بشحمِه ؛ فإنه دِباغ المَعِدة » .

قال الأطباء :

- الحلو منه بارد فى الأولى رطب بها ، يدبغ المعدة من غير أن يَضُرّ بعصبها .
- **ويحدر** منها الرطوبات المرّية العَفِنَة ، ويبرىء من وَصَبها .
- ويحط الطعام إذا مُصّ بعده عن فمها .
- وينفع من حميات **الغِبّ** المتطاولة وألمها .
- ومن الجَرب والحِكّةِ **والخفقان** . .
- وإذا أديم مَصُّهُ مع الطعام **أخصب** الأبدان .

● ويقوى الصدر ويجلو الفؤاد .

● وإذا أكل بالخبز منعه من الفساد .

● جيد **الكيموس** قليل الغذا .

● صالح للمحرورين دافع للأذى .

● **ويُنْعِظُ** لما يحدثه من قليل الرياح[٢] .

وقفة مع النص :

(٢) **البيهقى** : من أئمة الحديث وصاحب السنن الكبرى نسبة إلى بيهق من نواحى نيسابور .

شحمه : المراد : القشرة الرقيقة الصفراء التى تتخلل حبّه .

دباغ : يقال دَبَغ دباغاً الجلدَ : لينه وأزال ما به من رطوبة ونتن . والقشرة الصفراء تفعل بالمعدة ما يفعله الدباغ بالجلد .

فى الأولى : عبارة ابن سينا : بارد إلى الأولى رطب فيها .

القانون : ج ١ ص ٤٣١ طبع بولاق .

يحدر : ينزلها من علو إلى أسفل .

المّرية : المرّىّ : إدام كالكامخ يؤتدم . وهو يخلصها من الرطوبات الناشئة عنه والمتعفنة . والوصَب : التعب والألم والوجع أو الناشئة عن المرارة ، أو المرىء .

حُمّى الغِبّ : التى تنوب المحموم يوما بعد يوم .

الخفقان : زيادة مؤقتة فى سرعة نبضات القلب ، لانفعال ، أو إجهاد أو مرض .

أخصب الأبدان : زادها خصبا ونماء .

الكيموس : الخلاصة الغذائية . وهى مادة لبنية بيضاء صالحة للامتصاص تستمدها الأمعاء من المواد الغذائية فى أثناء مرورها بها : معرب خيموس : اليونانية .

الإنعاظ : تحرك الشهوة ، وتحرك العضو .

[٣]

ولكون نفخه سريع التفشى لا يحتاج إلى إصلاح .

● وفيه قبض لطيف ، ويسيرُ تجفيف ، وحَبّه أشد فى ذلك ثم قِشر ه ، ثم جنبذه الذى

يسقط عن الشجر إذا سقط زهره .

● وإذا وضع فى شمس حارّة ماؤه المعتصر ، واكتحل به بعد غلظه أحَدّ البصر ، وكلما عتق كان أجود وأبرّ .

● وإذا طُبخ ماؤه فى إناء نحاس نفع من القروح والعَفَن ، والروائح المُنتنة فى الأنف والأُذن .

● وحامضه أنفع للمعدة الملتهبة ، وأكثر للبول إدراراً ، وأقوى فى تسكين الأبخرة الحارّة مقدارا ، وأشدّ تبريدا للكبد ، ولا سيمّا أنها أولى إدمانا وإكثارا .

● ويُطفىءُ ناريّة الصفراء ، والدم .

● ويقطع القىء ويقطع من المعدة البلغم .

● وإذا عصر النوعان مع شحمهما وشرب منه نصف رطل مع سكر عشرين درهما أسهل المرة الصفرا ، وقوى المعدة وأذهب عنها ضرا[3] .

وقفة مع النص :

(٣) الجنبذ : ما استدار منه وارتفع . عتق : قدم العهد به .

[٤]

● وإن شُرِبَ عشرُ أواقٍ مع عَشرةِ دراهم سُكّر ؛ فإن هذا يقارب **الإهليلج** الأصفر .

● وفى **الشراب** المتخذ منهما خاصية فى منع أخلاط البدن من التعفين ، **والرُّب** المتخذ من الرمّان يقوى المعدة الحارة ، ويقطع العطس والقىء والغثيان .

● وإذا عُصِير الرمانتان بشحمهما ، وتمضمض بمائهما نفع القُلاع المتولد فى أفواه الصبيان .

● وإذا طبخ فى إناء نحاس ماؤه المعتصر ، واكتحل بهما أذهب الحِكة والجرب ، والسّلاق ، وقوى البصر .

والأوْلى أن يمتصَّ المحموم من الرمان بعد غذائه ليمنع صعودَ البُخار ، ولا يقدمه فيصرفَ الموادّ عن الانحدار .

● وإذا شُوِيت الرّمانة الحُلْوة وضُمّد بها سكن وجع العين الرمدة .

● وزهر الرمان يقطع القيء الذريع المفْرط إذا ضمدت بعد المعدة[٤] .

وقفة مع النص :

(٤) **الإهليلج** : كما فى تذكرة داود جزء أول أربعة أصناف قيل إنها شجرة واحدة ، وثمرتها كالنخلة .

الرُّبّ : عصارة التمر المطبوخة . وما يطبخ من التمر والعنب . ورُبّ السمن والزيت : ثُفْله .

القُلاع : مرض يصيب الصغار ، ونادراً الكبار ، ومظهره نقط بيض فى الفم والحلق . وسببه العدوى بفُطْرٍ خاص .

السّلاق : بثر يخرج فى أصل اللسان ، وتقشّر فى أصول الأسنان .

استرسال البول : نزوله . وهو مايسمى : سلس البول . والأَوْلى .. الخ فهو يمنع القيء، ولهذا يؤخذ بعد الغذاء ، وقد صنع منه شراب لمنع القيء ، وتقوية المعدة ، وهو موجود بالصيدليات . وجاء فى نهاية الأرب : ويمصه المحموم بعد غذائه ، فإنه يمنع صعود البخار .

ولايقدّمه : لأنه قابض فيسبب إمساكا ويمنع المواد عن النزول فهو يؤخذ بعد الأكل لا قبله .

[٥]

● وإذا فرغت رمانة من حبها ، وملئت بدهن وَرْدٍ عن لبها ، وفترت على نار هادئة تفتيرا ، سكن وجع الأذن تقطيرا ، ومع دهن بنفسَج ينفع للسعال اليابس كثيرا .

● وحب الرمان الحامض إذا جفّف فى الشمس ودق **للإنعام** وذُرّ أو طبخ مع الطعام منع الفضول أن تسيل على المعدة أو الأمعاء .

● وإذا نُقِعَ فى ماء المُزْن وشرب نفع من نفث الدم نفعا .

● وقشر الرمان إذا سُحِق وسُفّ منه عَشْرة دراهم أخرج الدود .

● وإذا عُجن بعسل ، وطُلى به آثار الجُدَرِيّ وغيرها أياما متوالية أذهبها وحصل المقصود .

● وإذا طُبِخَ فى ماء وتُمضمضَ به قوّى لثة الفم ، وإن شربه أمسك **استرسال**

البول ، وإسهال البطن وانضم .

● وإن استنجى به قوى المعدة ، وقطع ما انبعث من أفواه البواسير من الدّم .

● وإن جلس فيه النساء نفع من النزف وسدّده ، أو الأطفال نفعهم من خروج المقعدة[٥] .

> ***وقفة مع النص :***
>
> (٥) **للإنعام** : لدرجة النعومة .
>
> **المزن** : المطر .

[٦]

● **وجُلّنارُه** يشُدّ اللّثاث ، ويلزق الجراحات ، ويتمضمض بطبيخه للثة التى تدمى كثيرا ، والأسنان المتحركات .

● وزعم قوم أولو عَدَد وعُدَد أن :

من ابتلع منه ثلاث حبات صغار لم يعرض له تلك السنة رمد .

● وأصل شجر الرمان إذا شرب طبيخه بنار موهجة قتل حب القرع وأخرجه .

فسبحان من أوجده من العدم ، وأودعه هذه المنافع والحكم وصوّرَه كرةً للاعب ، أو نهداً **لكاعب** ، وملأه بحبات العقيق والياقوت ، وجعله لما شاء من طعام وشراب وتفكه ودواء وقوت .

وذكرنا به رمان **الجنان** ، الذى كل رمانة منه قدر المقتب من **البُعرآن** ، كما ورد عن سيد بنى عدنان .

بعض ما قاله الشعراء فيه :

وقد أكثر الشعراء فيه من التشبيه ، وأجادوا فى **التطلبة** والتمويه[٦] .

> ***وقفة مع النص :***
>
> (٦) **وجلناره** : زهره .
>
> **اللثاث** : جمع لثة .

بقية الهامش رقم [٦] :

الكاعب : هى الفتاة التى كعب ثدياها وبرزا .

البُعران : جمع بعير وقد ذكر ابن كثير الحديث الذى أشار إليه الإمام السيوطى — عن أبى حاتم عن أبيه قال : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد هو ابن سلمة عن أبى هارون عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « نظرت إلى الجنة ، فإذا الرمانة من رمانها كالبعير المقتب » .

البعير المقتب : الذى عليه قتب ، والقتب : الرّحل الصغير على قدر سنام البعير .

ويقال فى كاهل الفرس تقتيب : أى انحناء فهو مقتب ، ورجل مقتب الكاهل : مُنْحنيه =

التطلية : أو التحلية مقصود بها الزخارف البديعية .

[٧]

فقال شاعر :

رُمّانةٌ مثلَ نَهْدِ الكاعِبِ الرِّيمِ ... تُزْهَى، بشكلٍ ولَوْنٍ غيرِ مَلْمُومِ

كَأَنَّهَا حُقَّةٌ مِن عَسْجَدٍ مُلِئَت ... مِنَ اليواقيتِ نَثْراً غير مَنْظُومِ

وقال آخر :

رُمّانةٌ صَبَغَ الزّمَانُ أديمَها ... فتَبَسَّمتْ فى ناضرِ الأغصانِ

فكأنمّا هى حُقَّةٌ مِن عَسْجَدٍ ... قد أُودِعَت خَرَزاً مِن المَرجانِ

وقال آخر :

خذوا صِفَةَ الرُّمّانِ مِنّى فإن لى ... لساناً عن الأوصافِ غيرُ قصيرِ

حِقاقٌ كأمثالِ العَقِيقِ تَضَمّنَت ... فُصُوصَ بَلَخْشٍ فى غِشاءِ حريرِ

وقال آخر :

طعمُ الوِصالِ يصونُه طعم النّوى ... سُبْحانَ خالقِ ذا وَذا من عود

فكأنها والخُضْرَ مِن أوراقِها ... خضرُ الثّيابِ على نهود الغِيدِ

وقال آخر :

وأشجـار رُمّـانٍ كأنّ ثمارَهـا ثُدِيُّ عَذارَى فى ملابسهـا الخضر
إذا فُضّ عنـه قشره فكأنـه فصوصُ عقيقٍ فى حِقاقٍ من الدُّرِّ
فدُرّ ولكـن لم يُدنّسْهُ عَارِضٌ وماءٌ ولكن فى مَخازِنَ من جَمْرِ(٧)

وقفة مع النص :

(٧) **البيتان للشاعر** : أبى القاسم بن القطاع الصِّقِلّى على بن جعفر كما جاء فى كتاب (غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات) .

الكاعب : التى بدأ ثديُها للنهود .

الرّيم : **الظبى** . أى التى تشبه الظبى .

تُزهى : تختال ، ويتملكها العجب بشكلها فهى مَزْهُوّة . أديمها : جلدها .

حُقّة من عسجد : العسجد : الذهب والحُقّة : الوعاء .

=**ناضر الأغصان** : فى نهاية الأرب . « فى ناضر من الخ » .

صندل : فى نهاية الأرب « عسجد » . والصندل : شجر طيب الرائحة .

من المرجان : فى مباهج الفكر « من العِقيان » . والعِقيان : الذهب الخالص .

حِقاق : جمع حق . وعاء .

العقيق : ضرب من الفصوص . وفى نهاية الأرب كأمثال الكراة .

بلَخْش : البلَخْشُ جوهر يجلب من بلخشان . والعجم تقول : بذخشان . وبذخشان هذه ولاية بين خراسان وهندستان فيها معادن الذهب والأحجار الكريمة (الألفاظ الفارسية المعربة ص ٢٦ طبعة بيروت ، ونقل صاحب صبح الأعشى ج ٢ ص ٩٩ عن مسالك الأبصار أن هذا المعدن يسمى « اللعل » وهو : أحمر معقرب ، وأخضر زبرجدى ، وأصفر ، والأحمر أجوده . أهـ. نهاية الأرب .

طعم الوِصال : يريد بهذا الشطر أن حب الرمان الذى يشبه طعم الوصال فى حلاوته يصونه قشر كطعن النوى فى مرارته . والنوى : الفراق والبعد .

الغيد : جمع غيداء : الفتاة الجميلة الرقيقة الناعمة .

وقال آخر :

ولاحَ رُمّانُنــــــا فأبْهَجَنــــــا بين صَحِيــحٍ وبَيْــنَ مَفْتُــوتِ
من كُلِّ مصْفَــرَّةٍ مُزَعفــرةٍ تفــوقُ فى الحسنِ كُلَّ منعُــوتِ
كأنها حُقّــةٌ فإن فتــحت فصُرّةٌ من فُصُوصٍ ياقــوتِ

وقال آخر فى جُلّناره :

وجُلّنـــارٍ مُشْرِفٍ على أعـــالى الشَّجَــرَة
....
قراضة من ذهبٍ فى خرقــة مُعَصْفَــرَة

وقال آخر :

وجُلّنـــارٍ بَهِــىّ ضِــرامه يتوقَّــد
بدا لنـــا فى غُصــونٍ خُضرٍ من السِّرى مَيّــد
يحكى فصُوصَ عقيــق فى قبــة من زبرجــد

الأُتْرُجّ

الأُتْرُجّ : وما أدراك ما الأترج ؟

مذكور فى التنزيل ، ممدوح فى الحديث منوّه له فيه بالتفضيل . قال تعالى : ﴿ وأعتدت لهن مُتّكأً ﴾ [٣١/ يوسف] .

فسر بالأترج عمن روى ورأى[٨] .

وقفة مع النص :

(٨) **الشاعر** : هو كشاجم الرملى .

مفتوت : غير صحيح .

منعوت : موصوف .

ياقوت : من أسرة معادن القورند . وذكر التيفاشى : أنه أربعة أنواع : أحمر ،

بقية الهامش رقم [٨] :

وأصفر ، واسما نجونى (أزرق أو بنفسجى) وأبيض .

الجلّنار : زهر الرمان ، وهو فارسى معرب ، وأصله : كلنار بالكاف الممزوجَة بالقاف .

معصفر : مصبوغة بلون العُصفُر . وهو أصفر والبيتان لأبى فراس كما جاء فى نهاية الأرب السفر الحادى عشر وفى وسطهما بيت لم يذكره السيوطى : كأن فى أغصانه .. أحمره وأصفره .

ضِرامه : اشتعاله وتوقده .

الرِّى : النضارة والإمتلاء والحيوية .

مُيّد : تميد ، وتميل ، وتميس .

والأبياتِ منسوبة إلى ابن وكيع فى « نزهة الأنام » .

[٩]

وفى الحديث الصحيح ، وهو الوابل الصّيّب :

« **مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترُجّة طعمها طيب وريحها طيب** » .

وفى حديث آخر استخرجه الحفاظ من اللّج :

« **أنه ﷺ كان يعجبه النظرُ إلى الأُترُجّ** » .

منافعه وخواصه :

- بارد رطب فى الأولى ، يصلح غذاء ودواء مشموماً ومأكولا .
- يبرد عن الكبد حرا ، ويزيد فى شهوة الطعام **دَسْراً** ويقمع حدة المِرّة الصـفرا ، ويُزيل الغَمّ العاوض منها ويبدله بشرا .
- ويسكن العطش ، وينفع اللّقوة جَهْراً ، ويقطع القىء والإسهال المزمنين دهرا .
- وحِماضُه يقوى القلب الشديد حَرّا[٩] .

وقفة مع النص :

(٩) **مثل المؤمن** .. إلخ رواه البخارى فى صحيحه .

بقية الهامش رقم [٩] :

وذكر ابن القيم فى الطب النبوى فوائده وقال : وفى الأترج منافع كثيرة : وهو مركب من أربعة أشياء : قشر ، ولحم ، وحَمض وبزر ، ولكل واحد منها مزاج يخصه : فقشره حار يابس ، ولحمه حار رطب ، وحَمْضُه بارد يابس ، وبزره حار يابس .

والأترج : ثمر كالليمون ، ذهبى اللون ، ذكى الرائحة ، حامض الماء يحتوى على زيت طيار ، وهو لذلك هاضم طارد للأرياح . وحقيق بشئ هذه منافعه أن يشبه به خلاصة الذى يقرأ القرآن ، وكان بعض السلف يحب النظر إليه لمافى منظره من التفريح ا.هـ .

دَسْرا : قوة .

كان يحب النظر .. الخ ، قال ابن القيم فى المنار المنيف : فى ذكر جوامع وضوابط كلية فيما لا يصح : تحت رقم : ١٩٨ .

وحديث : « كان يحب النظر إلى الخضرة والأترج والحمام الأحمر » .

[١٠]

● وينفع الماليخوليا المتولدة من احتراق الصفراء .

● ويقمع البخار الحار والصفراء والقيء والخفقان .

● وينفع شربا وطلاء من لسعة العقربان ، واكتحالا من الرمد واليرقان ، وطِلاء من القُوبَاء والكلف ويجلو الألوان .

● ويحبس ما يتحلب من الكبد إلى المعدة والأمعا .

● وكم له فى الإسهال العارض من قبل الكبد نفعا .

● وإذا نقع فى ماء ورد وقطر فى العين نفع الرمد المزمن وأبرأه من الشَّين ، ورُبّه دابغ للمعدة من الرّين .

● والمرَبّى جيد للحلق والرئة من الغين .

● وطبيخه مسمن ونافع من الحُمّى يزيل وهجها .

● ولبه إذا طبخ بالخل وشُرِبَ قتل العلق المبلوعة وأخرجها .

● وعصارته تسكن غُلْمَةَ النساء(١٠) .

وقفة مع النص :

(١٠) **اليرقان** : الصفراء . مرض فسيولجى يصيب النبات فيصفر . والمراد هنا : حالة مرضية تمنع الصفراء من بلوغ المِعَى بسهولة ، فتختلط بالدم فتصفر بذلك أنسجة الجسم .

القُوباء : داء فى الجسم يتقشر منه الجلد ، وينجرد منه الشعر .

الكلف : نمش يعلو الوجه كالسمسم ، وحمرة كَدِرَةٌ تعلو الوجه ، والبهق .

الشّين : العيب .

الرُّبّ : عصارة التمر المطبوخة ، وما يطبخ من **التمر والعنب** ، وربّ السمن والزيت ثُفْلُه الأسود .

الرين : يقال رانت نفسه : أى خبثتْ وغثت .

الغين : العطش .

العلق : دود أسود يمتص الدم يكون فى الماء الآسن إذا شربته الدّابّة علق بحلقها . واحدته علقة .

الغُلمة : شدة الشهوة والجماع .

[١١]

● وقشره فى الثالثة حرارة ويُبْساً ، يقوى المعدة منه اليسير ، وينفع أكله من البواسير .

● وإمساكه فى الفم يُطَيِّب النَّكْهَة المشمومة ، وفى الثوب يمنع السوس أن يحومه .

● وعصارته إذا شربت تنفع من نهش الأفاعى ، والأدوية المسمومة .

● **وحُرَاقَتُه** طلاء جيد **للبَرص** معلومة .

● ورائحةُ الأُتْرُجّ تُصلح فسادَ الهواء والوبَا .

● وحَبُّه ينفع من لدغ العقارب مدقوقا طِلاءً ومُقَشّرا مَشْربا .

● وبزره يقوى اللثة ويحلل الأورام .

● وورقه مقوّ للمعدة والأحشاء ، هاضم من الأكل ماشاء ، للمعدة مسخن ، وللنّفخ مُسكّن ، وللتّفَسِ مُوَسّع ، وللسّدَدِ البَلْغَمية مُفَتّح .

● ودهنه: نافع للمعالج من استرخاء العصب والفالج .[11]

وقفة مع النص :

(۱۱) **التّكهة** : الرائحة الخاصة بالفم . يقال : هو طيّب النكهة ونونها مشددة مفتوحة .

الحُراقة : ما تقع فيه النار عند القدح من حرقة ونحوها .

البَرَص : بياض يقع فى الجسد لعلة .

المشْرَب : المشروب نفسه .

[١٢]

قول طائفة من الحكماء فى محاسنه :

قالت طائفة من الحكماء : جمع أنواعا من المحاسن والإحسان

قشره مشموم ، وشحمه فاكهة ، وحُمّاضُه إدام ، وبزره دهان .

ما قاله الشعراء والأدباء فيه :

وقد أكثر فيه الشعراء ونظم فيه الأدباء ..

قال شاعر :

انظــر إلى صنعــة المليــك ومــا ... أظهــر فى الأرض من أعاجــيبِ

جسمٌ لجيــــنٌ قمـــيصُه ذهبٌ ... رُكّبَ فى الحسنِ أىّ تركـــيبِ

فيــــه لمن شمّـــه وأبصره ... لونُ مُحِبٍّ وريـــحُ مَحْبُــوبِ

وقال آخر :

كأنّ أُتْرُجّنَــا النضيــرَ وقــد ... زان جنّاتنــا تَصَبّغُــــه

أيْـــدٍ من التّبْــرِ أبصرَت بدراً ... من جوهــرٍ فانثــنت تجمّعــه

وقال آخر :

حيّــاك مَن تَهْــوى بأترجّــةٍ ... ناعمـــةٍ مقـــدودةٍ غضّة

فجلْدهـــا من ذَهبٍ سائـــلٍ ... وجسمُهـــا النّاعِـــمُ من فِضّة

وقال آخر :

يا حَبّـــــذا أُتْرُجّـــــة تُحْدِثُ فى النفس الطرَبْ
كأنها كافـــــــورة لها غشاء من ذهبْ

وقفة مع النص :

(١٢) شحمه فاكهة : يقال شَحِمت الرمانة : غلظت الرقائق التى تفصل بين حباتها .
وحُمّاضُه : قال فى القاموس : يقال لما فى جوف الأترج « حُمّاض.» وفى المنهج أن حماض الأترج والليمون هو ماؤهما .
لُجَيْن : فضة .

[١٣]

وقال آخر :

انظـر إلى الأُترجّ وهـو مُصَبّـع إن كنت للتشبيـه أىّ مُحَقّـــقِ
فكأنــــه كفٌ يضم أنامـــــلا منها ليدخـل فى إنـــاءٍ ضَيّـــقِ

وقال آخر :

أَيَا حُسْنَ أُتْرُجٍّ يلـوح لناظـرى عليه من الأوراقِ خُضْرُ الغلائِـلِ
حَكَى مُسْتَهاماً غيَّرَ البَيْنُ حالَـهُ وقَدْ عَدّ أيـامَ النّـوى بالأنامِـلِ

وقال آخر :

أمْسَيْتُ أرْحَـمُ أُتْرُجّـا وأحْسَبُـه فى صُفْرَةِ اللونِ مِن بعضِ المساكينِ
عَجِبْت مِنه فما أدرى أَصُفْرَتُـه مِن فُرْقَةِ الغُصنِ أم خَوْفِ السكاكين ؟!

وقال آخر :

وصَفْرا مِنَ الأُترجِّ فى وسطِ مجلسٍ يُحَاكِى وُجُوهَ العاشقين اصفرارُها
تُشِيـرُ إذا لاحـظتها بأصابـعٍ كأيدى جَوَارِى التُّركِ لولا احمرارُها

وقال آخر :

لله بل للـــحُسنِ أُتْرُجّـــةٌ تُذَكّـرُ النـاس بأمْـرِ النـعيم
كأنها قد جَمَـعَتْ نفسَهـا مِن هيبة القاضل عبد الـرحيم(١٣)

وقفة مع النص :

(١٣) لله بل للحسن .. إلخ . نسب السيوطى هذين البيتين فى حسن المحاضرة إلى الأسعد بن مماتى وكان ناظر الدواوين فى مصر . وله ديوان شعر والفاضل عبد الرحيم : هو القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى صاحب المدرسة الرابعة من مدارس النثر .

« السّفرجل »

[١٤]

وما أدراك ما السفرجل ؟!

ورد فى حديث عن طلحةَ صحيح الإسناد :

أن النبى ﷺ دفع إليه سفرجلة وقال :

« **دونَكَها فإنها تُجِمّ الفؤادِ** » .

ومن رواية أخرجها إمام عالى القدر : « **فإنها تشدّ القلب ، وتطيب النفس ، وتذهب بطُخاوة الصدر** » .

وفى حديث له رُواةٌ وبَريق :

« **كلوا السفرجل على الريق** » .

وفى حديث رواه من أسندَ واستند .

« **كلوا السفرجل فإنه يجم الفؤاد ، ويشجع القلب ، ويحسن الولد** » .

منافعه وخواصه :

- بارد فى آخر الأولى ، يابس فى أول الثانية .

فيه منافع ، وقبض ، وتقوية :

- يقوى المعدة القابلة للفضول ، والشهوة الساقطة جدا للمأكول .
- ويسكن العطش والقىء ويُدِرّ(١٤) .

وقفة مع النص :

(١٤) **السفرجل** : شجر مثمر من الفصيلة الوردية يشبه الكُمّثرى مع ميله إلى التكوير والاستدارة .

(١٤) طلحة بن عبيد الله لقبّه رسول الله ﷺ بطلحة الخير والفياض والجود والصبيح المليح الفصيح . قتل يوم الجمل .

والحديث الأول رواه ابن ماجه فى سننه . وقال فى الزوائد فى إسناده عبد الملك الزبيرى مجهول . ابن ماجه ٢ ــ ١١١٨ . إمام عالى القدر : يقصد النسائى فقد رواه من طريق آخر عن أبى ذر .

وبعد أن ذكر ابن القيم فى الطب النبوى هذين الحديثين فى السفرجل قال : وقد روى فى السفرجل أحاديث أُخر هذه أمثلها . ولا تصح .

بطخاوة القلب : مايحل به من وجع وضيق وكزب وثقل : « كلوا السفرجل على الريق » رواه ابن السنى وأبو نعيم فى الطب والديلمى فى مسند الفردوس .

من أسند واستند : ذكر الحديث بسنَدِه وهو الديلمى فى مسند الفردوس وقال العزيزى عنه : هو ضعيف .

[١٥]

- وينفع من الدوسنطاريا ويقر .
- ويحبس النزف والعرق .
- وإذا دخل البطن على الطعام انطلق .
- وعُصارته نافعة من الربو **وانْتِصَاب** النفس .
- وإذا قطرت فى **الإحليل** نفعت من حُرقة البول الذى انحبس .
- ولعابه يرطب مافى قصبة الرئة من اليبس .
- وحبه مليّن لاقبض فيه لمن شاء ، وهو يمنع سيلان الفُضول إلى الأحشاء .
- وينفع الحلق من الخشونة ، ويحدث فى قصة الرئة ليونة .
- ودهنه نافع من « **النَّملة** » و « **الشُّقاق** » ، ومن القروح الجربة على الإطلاق .
- ومن وجع الكُلى والمثانة ، وما فى البول من الإحراق .
- ومشويُّه يوضع على العين للحارّ من الأورام .

● ويحقن بطبيخه لنتوّ المقعدة والأرحام[١٥] .

وقفة مع النص :

(١٥) **الدوسنطاريا** : مرض يصيب الجهاز الهضمى من أعراضه الإسهال الدامى المصحوب بالزحير . وفى الشذور الذهبية نقلا عن الأوربيين أن هذا اللفظ يونانى معناه : ثقل الأمعاء .

وانتصاب النفس : مرض يجعل صاحبه لا يقدر على النفس إلا بعد أن ينتصب ويمد عنقه إلى فوق ، فينفتح المجرى بسبب ذلك ، فيخرج النفس ، وهو المعبر عنه ، بالنفس الانتصابى .

الإحليل : عضو الرجل الذى منه يبول .

ولعابه : يقصد لبه كما يفيده كلام داود فى التذكرة .

النّمِلة : قروح فى الجنب تنتشر انتشار النمل .

الشُّقاق : مايصيب اليدين والرجلين من تشقق وهو بصفة عامة يصيب أطراف الإنسان ووجهه وشفتيه ومقعدته .

نتوّ : بروز ، وظهور ، وخروج .

[١٦]

● وإذا أدمنت الحاملُ أكله كان ولدُها حَسَنَ الصورة .

● وإذا وضع مطبوخه على الثّدى الوارم من انعقاد اللبن أزال منه الضّرورة .

وكم له من منافع وخواصّ مذكورة .

وفيه أشعار كثيرة مشهورة :

ما قيل فيه من أشعار مشهورة :

قال شاعر :

سَفَرْجَلَـــةٌ جَمَـــعَتْ أربعَـــا ... نَظَمْنَ لَهــا كُلَّ مَعْنَــى عَجِــيب

صفــاءَ الــنُّضار وطعــمَ العُقــار ... ولــونَ المحِبِّ وريــحَ الحبــيب

وقال آخر :

حَازَ السّفَرْجَلُ لذاتِ الورى وغدا على الفواكِهِ بالتفصيلِ مشهورا
كالراحِ طعماً ونشرِ المسك رائحةً والتِّبرِ لوناً وشَكْلِ البدر تدويرا

وقال آخر :

سفرجلةٌ صفراء تحكى بِلَوْنِهَا مُحِبًّا شَجَاهُ للحبيبِ فِراقُ
إذا شَمّها المشْتَاقُ شَبَّهَ رِيحَها بريحِ حَبِيبٍ: لَذَّمِنْهُ عِناقُ[16]

وقفة مع النص :

(١٦) مذكورة : تجدها فى السفر الحادى عشر من نهاية الأرب ، ص ١٦٨ وفى قاموس الأطباء ، وفى مفردات ابن البيطار .

[١٧]

وقال آخر :

سفرجلٌ كأنَّهُ مِثْلُ ثُدِىِّ النُّهَّدِ
يحكى اصفرارُ لونِهِ صبغةَ لونِ العَسْجَدِ

وقال آخر :

مُكَمْكَماتٌ مِن كُراتِ التِّبرِ مُقَنّعاتٌ برقاقٍ خُضرِ
بنَكْهَةِ العِطْرِ وفوق العِطْرِ أطيب من نَشْقِ سُلَافِ الخمرِ

« التّفّاح »

وما أدراك ما التفاح ؟!

منافعه وخواصه :

- بارد رطب فى الأولى ، مُقَوّ لفم المعدة إذا صادف فيها خلطا غليظا أحْدَره فضولا .
- طيب فى المذكورين ، موافق قلّ أن يضُرّ المحرورين .

● له خاصية عظيمة فى تفريح القلب وتقويته..
● ذو عطرية يُعَدّ من أغذية الروح وأدويته .
● من أنفع الأشياء للموسوسين والمذبولين أكلا وشمًّا .
● ويقوى الدماغ وينفع هو وعصارته وورقه سُمّا[17] .

وقفة مع النص :

(١٧) **مُكَمْكمات** : كمكم الشيء غطاه . ويدل عليه مقنعات بعدها . أى لابسات أقنعة وهى غطاء الوجه .

مع التفاح

سُمّا : قال فى نهاية الأرب : والتفاح نافع من السّموم ، وكذا عصارة ورقه .
ومن يتتبع نهاية الأرب يجد السيوطى قداعتمد عليه فى صياغة مقاماته ، وعلى ما جاء فى مفردات ابن البيطار .

[١٨]

● ويضمد به العين الرمدة إذا شوى شيًّا .
● والمشوى منه فى العجين ينفع قلة الشهوة والدود والدوسنطاريا .
● ومن خاصته فيما ذكر الأطباء توليد النسيان .
● وروى فيه أثر إلا أنه فى غاية النُّكران !
● وشرابه يعقل الطبيعة ، ويَقْمَعُ حرا .
● ويصلح للغشى والقىء الكائنين من المرّة الصفرا .
● وعصارته لرِجْل المنقرس طِلاً .
● وهو يسر النفس ، ويحسن الخلق شمّا ومأكلا .
● والحذر من فاكهة لم تنضج على شجرها ؛ فإنها عليلة .
● ومَنْ أكثرَ من أكلها أورثه ذلك حُمّى طويلة . وقد جعل ابن البيطار

« السفرجلَ » نوعا من أنواع التفاح ، وجعل منها غالب ما أوردناه فى هذا المَرَاح . فسمى « الأُترج » بالتّفاح الماهى نسبة إلى بلاد ماه . و« الخوخ » بالتفاح الفارسى سماه[18] .

وقفة مع النص :

(١٨) ماه : قال الفيروزابادى : وماهُ : قصبة البلد . والماهان : الدينَور ، ونُهاوند : إحداهما ـــ ماهُ الكوفة ، والأخرى ماهُ البصرة . وماهُ ، وماهُ دينار : بلدان .

[١٩]

و« المشمش » بالتفاح الأرمينى دعاه .

وهذا يدل على شرف التفاح لمن وعاه .

ومن محاسنه الأدبية :

أنه اجتمع فيه الصّفرةُ الدّرّية ، والبياض الفِضّى والحمْرة الذهبية ، وأنه يُلَذِّذُ من خواس ثلاثة بجرمه .

العين بحُسْنه ، والأنف بعَرفه ، والفم بطَعمه .

وكم قال فيه من شاعر ماهر ، وأديب باهر .

قال شاعر :

وتفّاحـــــــةٍ فيها احمرارٌ وخضرةٌ مُضَمَّخَةٌ بالطِّـــيب من كل جانبِ
تكامَل فيها الـحُسْنُ حتى كأنّهـــا تورّدُ خَدٍّ فوقَ خُضْرةِ شارب

وقال آخر :

كأنما التّفّـــــــــــاح لما بدا يَرْفُـــــلُ فى أثوابِـــــه الحُمْـــــر
شَهْـــدٌ بماء الـــــوردمُستَوْدَعٌ فى أُكَـــرٍ من جامـــد الخَمْـــرِ
كأننـــــا حين نُحَيَّـــــا به نستــنشقُ النَّـــدَّ من الجَمْـــرِ[19]

وقفة مع النص :

(١٩) العَرْف : الرائحة مطلقا وأكثر ما يستعمل فى الطيبة منها .

بقية الهامش رقم [١٩] :

وتفاحة .. إلى آخر البيتين : نسبا إلى ابن حبيب الحلبي .
نُحيًّا به : يُقَدّم لتحيتنا .
النّد : ضرب من النبات يتبخر بعوده .

[٢٠]

وقال آخر :

تفاحَــةٌ جمعت بين لونين خِلتُهــــا خدّى حبيبٍ ومَحْبوبٍ قد اعتنقَا
تعانَقَــا فَبَدا الــواشى فراعهمــا فاحمرّ ذَا خجلاً ، واصفر ذا فرَقَا

وقال آخر :

وتفاحةٍ من كفّ ظبــي أخذتُهـــا جناها من الغُصْنِ الـذى مِثْلُ قَدِّه
بها لينُ عِطْفَيْـــه وطــيبُ نسيمِـــه وطعـــمُ لَمَـــاه ، ثم حمرةُ خدِّهِ

وقال آخر :

الخمـــرُ تفّـــاحٌ جَرى ذائبَـــا كذلك التفـــاح خمْرٌ جَمَـــد

« الكُـمَّثْرَى »

وما أدراك ما الكُمّثْرى ؟!
بارد فى الثانية ، رطب فى الأولى .
يُشَاكِل التفاحَ فى طبيعته ، ولكن التفاح خير منه وأولى .

فوائده وخواصه :

- يقوى القلب والمعدة من الاعتلال[٢٠] .

وقفة مع النص :

(٢٠) وتفاحةٍ من كف ظبى ، **البيتان لابن رشيق القيروانى .**
عِطفيه : جانبيه .

بقية الهامش رقم [٢٠] :

الّلَمَى : سمرة فى الشفاه مستحسنة .
الفرق : الخوف .
يشاكل : يشابه .

مع الكمثرى

[٢١]

- ويقطع العطش والقىء والإسهال .
- ومن اشتدت حرارة مَعِدته والتهبت ، وارتقت عن درجة المبرودين وذهبت حصل له به نجاح ، ولم يحتج منه إلى إصلاح .
- وقال بعضهم : إن الكُمَّثْرى أسرع انهضاما من التفاح .

ومايتولد منها فى البدن أحمد منه وأقرب إلى الصلاح .
- وقال قوم : إن أكلها على الريق يضر بآكله ، ويسىء بفاعله .

وخصه ابن البيطار بمن أكل على سبيل اللذة والغذاء ، لا على سبيل الحاجة والدواء ، فأما للدواء فهو على الريق أفضل وأجدر ؛ لأنه بعد الطعام مطلق وزائد فى ضعف المعدة وأوقر .
- والحامض من الكمثرى دابغ للمعدة ، زائد فى الشدة ، مُشَهٍّ للأكل ، مدرّ للبول .
- وشرابها ورُبّها للمعدة يشدان ، وللإسهال الصفراوى يقطعان ويسدان[٢١] .

وقفة مع النص :

(٢١) وأوقر : وأشد ثقلا ، وإضعافا ممتد الأثر .

[٢٢]

بم شبهه الشعراء ؟

وقد شبهه الشعراء بالنّهْد والسرة ، وناهيك بحسن هذا التشبيه فى المسرة .

قال شاعر :

وكُمّثْرى تراه حين يبدو ... على الأغصان مخضرَّ الثياب
كثدي مليحةٍ أبدته تيهاً ... لهُ طعمٌ ألذُّ من الشراب

وقال آخر :

حيّا بكُمّثْراءةٍ لونها ... لونُ مُحِبٍّ زائد الصُّفْره
تُشْبِه نهد البِنْتِ إن أقْعِدت ... وهِيَ لَهَا إنْ قُلِبَتْ سُرّه

وقال آخر :

وكُمّثْرَى سَبَانى منه طَعْم ... كطعم المِسكِ شيبَ بماء وردِ
لذيذ خِلْتهُ لما أتانا ... نهودَ السُّمْر فى معنىً وقدّ

وقال آخر :

وكُمّثراء بُستانٍ ... شَهِىٌّ الطّعْمِ والمنظرْ
كأثداءِ الدُّمى جاءت ... عليها السندسُ الأخضرْ
لها طعمٌ إذا ذِيقَ ... كماء الوردِ والسكّرْ[٢٢]

وقفة مع النص :

(٢٢) **وكمثرى تراه** .. إلخ البيتين نسبا لعبد الله بن برغش كما جاء فى نزهة الأنام .
حيا .. إلخ البيتان لشاعر بغدادى اسمه على بن الحسن .

[٢٣]

« النّبق »

وما أدراك ما النبق ؟!

قال الملك المعبود : ﴿ **وسِدْرٍ مخضود** ﴾ [الواقعة/٢٨]

وفى الحديث عن سيد البشر :

« **رأيت سدرة المنتهى فإذا نَبِقها كقلالِ هجر** » والسّدْرة مذكورة فى القرآن ،

وفى عدةٍ من الأحاديث الصحاح والحسان .

خواصه ومنافعه :

● بارد يابس فى وسط الدرجة الأولى .

● نافع للمعدة يَحْدِرُ عنها فُضولا .

● يُسَهِّل المِرَّة الصفراء المجتمعة فى المعدة والأمعاء .

● وهو للحرارة قميع ، وينفع من الإسهال الذريع .

فهو مُطَلِّقٌ وعاقل كالإهليلج الذى هو بالبرد والعُفونة فاعل فسبحان خالق الأضداد ، المنزّه عن الأشباه والأنداد .

● ويقوى المعدة من الضعف ، وينفع من قروح الأمعاء والنَّزْف .

● وهو يمنع تساقط الشعر ويقويه ويطوّله .

● وورقه يلين الورم الحار ويحلله .

● ويصلح أمراض الرئة وللربو يزيله ويعدّلُه .

● وطبيخ السدر لسيلان الرحم يُبْطِلُه .

● وصَمْغه يُذهب الأبرئة والحزاز إذا به يغسله(٢٣) .

وقفة مع النص :

(٢٣) رأيت سِدْرة المنتهى .. الخ متفق على صحته ورواه البخارى .

والنبق : ثمر شجرة السِّدْر . وقِلال هجر : شبيهة بالجِباب جمع جُبّ : الخابية .

وفى عدة من الأحاديث ذكر أبو نعيم ـــ فى كتابه الطب النبوى مرفوعا أن آدم لما هبط إلى الأرض كان أول شئ أكل من ثمارها النّبق .

يحدر عنها فضولا : يعمل على إخراج الزائد مما لاحاجة فيه للجسم .

قميع : يقهرها ويذللها ويخفض منها .

الأبرية : مايرى من الرأس عند تمشيطها من قشر .

الحزَازُ : قشر كالنخالة فى الرأس يحز فيه .

ما فيه من شعر يصفه ويفضّله :

وكم فيه من شعر يصفه ويُفَضّله ؛ قال شاعر :

وسِدرةٍ كلّ يوم من حُسنِها فى فُنـــونِ
كأنّمـــا النّبـــقُ فيها وقـــدْ بدا للعيـــونِ
جَلَاجِـــلٌ مِن نُضَارٍ قد عُلّـــقت فى الـــغصونِ

وقال آخر :

انْظُرْ إلى النّبقِ فى الأغصانِ مُنتَظِماً
والشمسُ قد أخذت تجلوه فى القُضُبِ
كأنّ صُفْرَتَـــهُ للناظريـــن غَدَتْ
تحكى جَلاجلَ قد صيغت مِنَ الذهبِ

وقال آخر :

انظُـــر إلى النبـــقِ الـــذى فيـــه الشّفَـــاءُ لكُـــلِّ ذائـــق
فكأنّـــــه فى دَوْحِـــــه والليـــلُ مَمْـــدُودُ السُّرَادق
ذهبٌ تُبَهْرِجُـــه الصَّيَـــا رِفُ صارَ حَبًّـا للمجَانِـــق

وقال آخر :

تفـــاءلت لكـــى تبقـــى فأهـــديت لك النّبقـــا
ولازالت ولازلـــــــا وفى النعمـــة لا تَشقـــى[٢٤]

وقفة مع النص :

(٢٤) الدوْح : جمع دوحة : الشجرة الكبيرة العظيمة .
ممدود السُّرادق : ينشر ظلامه ويغطى ما تحته .
الصيارف : من يشتغلون فى سوق المال ويبيعون ويشترون العملات.
تبهرجه : البهرج الباطل ، والردىء من الشيء يقال درهم بهرج .
المجانق : جمع منجنيق ، وهو آلة للرمى . وحب المجانق مايُرمى به كالقنبلة ونحوها . وهو البندقية .

[٢٥]

« الخَوْخ »

وما أدراك ما الخَوْخ ؟!

منافعه وخواصّه :

- بارد فى آخر الأولى .
- رطب فى مبدأ الثانية .
- ينفع الأبدانَ اليابسةَ الحارّة الواهية .
- جيّد للمعدة الحارّة ، يقطع اللهب والعطش ومضارّه . ويُشَهّى الطعامَ ، وتزيد فى الباهِ والاغتلام .
- ويطفىء الحرارة المطلِقة ، وينفع المحموم وقت صعود الحُمّى الحارّة إذا كانت غِبًّا خالصة أو محرقة .
- وورقه إذا دُقّ وعُصِرَ وشُرِبَ مرّاتٍ متواليات أسهل حب القرع والحبّات .
- وإذا ضمّد به السّرة قتل ما فى البطن من الديدان .
- وإذا دلك به بعد الطلاء بالنورة طيب الأبدان .
- ودهنه ينفع من الشقيقة وأوجاع الآذان .

ما جاء فيه للشعراء من تشبيهات حسان :

- وكم فيه للشعراء من تشبيهات حسان ؛ قال شاعر :

وخوْخةٍ بُسْتانٍ ذَكِىّ نسيمُها ... مِنَ المسكِ والكافورِ قد كَسَبت نَشْرا
مُلَبَّسَةٍ ثَوْباً من التّبْرِ نصفها ... مصاغ وباقيها كياقوته حمرا

وقال آخر :

وخَوْخةٍ جمعَت طَعْماً ورائحةً ... ومنظراً يالَه من منظرٍ حَسَنِ
فيها مِن الطّعْمِ أصنافٌ مضاعفةٌ ... طَعْمُ الفواكِهِ مَجْنِيًّا من الغُصْنِ
فى وَسطِها عجوة تشْفِى إذا عصرت ... مِنْ كُلّ داءٍ جَرى فى الرأسِ والبدنِ
أضْحَتْ شفاءً وريحَاناً وفاكهةً ... زينُ الفواكهِ فى الأمصارِ والمدُنِ

وقال آخر :

كأنما الخـــوخُ على دَوْحِــهِ ... وقــد بَدَا أحْمَـــرُه العَنْدَمـــى
بَنَـــادِقُ من ذهبٍ أصفـــــر ... قد خضبت أنصافهـــا بالـــدّمِ

وقال آخر :

وخوْخـةٍ يحكــى لنـا نصفُهـــا ... وَجْنَـــةَ معشوقٍ رآه الرقـــيب
ونصفُهـــــا الآخر شبهُتـــــه ... بلونِ صَبٌّ غاب عنه الحبــيب !

وقال آخر :

يا حبــــذا الخوخُ وياحبـــــذا ... محمَــرُّه المغمــوسُ فى الابــيضاض
كأنــــــه خَدُّ رشاً لم يزل ... يُبْصَر فيــه أثَـــرٌ للـــعضاض

وقال آخر :

يا حَبّــذا الخوْخـــةُ والذائـــق ... وحسنُهـــا المسْتكْمَـــل الفائـــق
كأنما توريـــــدُ حافاتِهـــــا ... توريـــــدُ خدٍّ مَصَّه عاشق[٢٥]

وقفة مع النص :

(٢٥) الحمى الغبّ : التى تعاوده مرة بعد أُخرى .

---

[٢٦]

ونختم هذه المعانى بقول ابن شرف القيروانى :

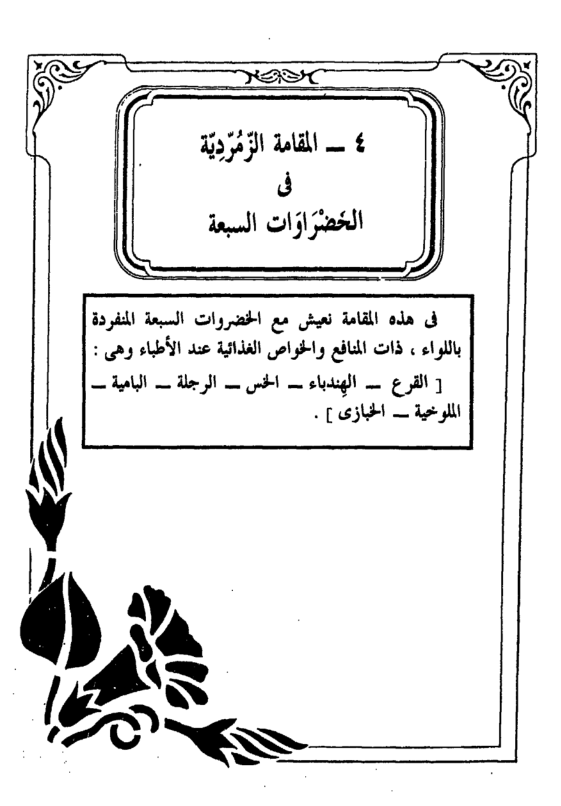
سَقَى اللهُ عيشى تحت ريانَ يافــع ... مغــد بأنــــداء وبــــرد ظِلالِ
كأنى إذا امتدّتْ عَلــىَّ ظِلالُــه ... مَسَحْتُ عَلــى بُرْدىَ رَدْعَ غوالى
كأن على أوراقــه أدمــع الحيــا ... نظـــام لآلٍ أو نجوم ليـــــالى
كأن على أعنابـــه سُنْدسيـــــةً ... سواتِـــــرَ من حرّ الهجير كوالى
كأن مديـــداتِ العـــرائس فوقنــا ... هوابـــطُ خلجـــان تلين عوالى
كأن جنـــى المقطـــوفِ من ثمراتها ... جنى النحـــلِ ممزوجـــاً بماء زُلالِ
كأن سنا النـــارنج فوق غصونـــه ... سنى الجمـر يذكى بالاكوة صالى
كأن مبـــادى الجلنـــار أنامِـــلٌ ... مطرفـــة من داميَـــات نبـــال

كأن ذرى الرمـــان غيـــدٌ نواهـــدٌ | جلاهــــــن فى أعلى المنصةِ جالى
كأن ثمارَ النبـــق أنجم عَسْجــــــدٍ | بغير سنــــا شمس ونـــــور هلال
كأن ثمار الخوخ يُبْـدى جنـــوبها | خدود من التخميش ذات بلالِ
كأن جنـــى ورد به جُمِعَا مَعــاً | عقيــــــق ودُرٌّ فى ترائِبَ حالى
كأن ذكِـــىّ اليـــاسمين وحُسْنَه | جميــل ثنــاء عن جزيـــل نوال
فياحبـــذا حالى إذا رحت خاليـــا | بهذا وذا لَوَانّ سِرّىَ خالى[٢٦]

وقفة مع النص :

(٢٦) ابن شرف القيروانى صاحب « رسائل الانتقاد » وأبكار الأفكار ولد حوالى سنة ٣٩٠ هـ وتوفى بأشبيلية سنة ٤٦٠ هجرية .





٤ ـــ المقامة الزّمُرّدِيّة
فى
الخَضْرَاوَات السبعة

فى هذه المقامة نعيش مع الخضروات السبعة المنفردة باللواء ، ذات المنافع والخواص الغذائية عند الأطباء وهى :
[القرع ـــ الهِندباء ـــ الخس ـــ الرجلة ـــ البامية ـــ الملوخية ـــ الخبازى] .

سأل سائل ..؟!

[١]

سأل سائل من أهل الوسائل من يقصد فى المسائل ، ويرصد لديوان الرسائل عن الخَضْرَوات السبعة المنفردة باللواء والُّلمْعَة ، وما أجدى منها نفعه ، وأجدر وقعه ، وأسرع وضعه ، وأوضع سرعه ، وأنصع فى فن الطب شرعه ، فقال :

على الخَبيرِ سقطتم ، ومن البحر لقطتم ، ولقد أقسطتم فى سؤالكم وما قسطتم ، وسأنبئكم بما يفوق حكمة بقراط من غير تغليط ولا إفراط(١) .

وقفة مع النص :

(١) الوسائل : جمع واسلة : المنزلة عند الملك .

من يقصد فى المسائل : يعنى نفسه ، والمراد : المرجع فى العلم والفُتيا ، والمسائل : جمل مسألة ، وهى ما يُسأل عنه .

ديوان الرسائل : ديوان الإنشاء الذى يتولى أمر رسائل السلطان ، ومن يرصدله : من أوتوا نصيبا من العلم والفهم والفصاحة والبلاغة كالقاضى الفاضل وغيره .

اللواء : العلم ، والمنفردة باللواءِ : صاحبة القيادة والتقدم على غيرها .

اللُّمْعَة : الجماعة من الناس . ومن الجسد : نعمته وبريق لونه .

وقعه : أى تأثيره فى النفس والجسم . أى يقع منها موقعا حسنا .

وأسرع وضعه : أى هضمه ، ويقال : وضع يده فى الطعام : إذا جعل يأكله .

أوضع سرعة : السَّرع كل قضيب رطب .

أنصع : أصفى : شرعه : تناوله .

الحَبر بفتح الحاء وكسرها : العالم .

أقسط : عدل . وقسط : ظلمْ .

بقراط : أعظم أطباء زمانه . وانحصر فضله فى تخليص الطب من الشعوذة ، والاعتقاد بالأرواح الشريرة . وأعتماده على الطب الوقائى ـــ وهو يونانى ـــ

تغليط : تقصير . إفراط : زيادة . فالإجابة وسط وخير الأمور الوسط .

« القرع »

[٢]

وما القرع ؟!

ذو الفضل الذى انتشر ، والذى كان يحبه سيد البشر ! كم فيه من حديث ورد !،
وخبر مقبول لم يرد ؛ ففى الصحيح « أنه ﷺ كان يتتبعه من حوالى الصحفة » .

وروى النسائى عن أنس قال :

« كان رسول الله ﷺ يحب القرع » وكفى بذلك تحفة(٢) .

وقفة مع النص :

(٢) الصحفة : الإناء ، وقد ذكر ابن القيم فى الطب النبوى ــ أنه ثبت فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك أن خياطا دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه ، فذهب مع رسول الله ﷺ ، فقرب إلى خبزا من شعير ومرقا فيه دُبّاء : (قرع) وقديد : (لحم) . قال أنس ، فرأيت رسول الله ﷺ يتتبع الدّباء من حوالى الصفحة ، فلم أزل أحب الدباء من ذلك اليوم . .

[٣]

وفى حديث رواه الحُفاظ من المتقِنِينَ المبرّزين :

« إذا طبختم قدراً فأكثروا فيها من الدّباء ، فإنه يشد قلب الحزين » .

وفى حديث رواه أئمة البلاغ :

« عليكم بالقرع فإنه يزيد فى الدّماغ »(٣)

وقفة مع النص :

(٣) **الحفّاظ** : جمع حافظ ، وهو لقب للمحدث الذى عرف شيوخه ، وشيوخ شيوخه طبقة بعد طبقة بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقة أكثر مما يجهله مثل الإمام أحمد كان يحفظ سبعمائة وخمسين ألف حديث . والبخارى ثلثمائة ألف حديث ، وكذلك مسلم .

بقية الهامش رقم [٣] :

المبرّزين : الذى يفوقون أصحابهم فضلا ويسبقونهم .

وفى الغَيْلانيات — من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها جاء هذا الحديث : « **ياعائشة إذا طبختم .. إلخ** » ولقد أورده المناوى استشهادا فى التعليق على الخبر الضعيف .

ونسبه القزوينى فى عجائب المخلوقات إلى على بلفظ « إذا طبختم فأكثروا فيه المرق ، فإنه يسلى القلب الحزين .

[٤]

خواصه ومنافعه :

- بارد رطب فى الدرجة الثالثة .
- دواء نافع من الأدواء العائثة العابثة ، وهو أقل الثمار الصيفية كلّها مَضَرّة ، وأيسرها فى المعدة لابثة ، مذكور فى المشهورين ، ومشهور فى المذكورين .
- وهو من طعام المحرورين .
- جيد لأصحاب الصفراء ، ولأصحاب الكبد الحارة أصلح وأحرى .
- لم يُدَاوَ المبرسمون والمحرورون بمثله صُنعا ، ولا أعجل منه نفعا ، ولا أعظم منه وقعا .
- يبدّد ويُطفِى ، ويُلين البطن ، **ويُغْفِى** ، ويسكن العطش واللهيب ، وله فى نفع الحميات نصيب[٤] .

وقفة مع النص :

(٤) الأدواء : جمع داء .

العائثة : التى تعيث فى الجسم فسادا ، والعابثة : التى تعبث بصحة الإنسان .

المبرسَمون : جمع مبرسَم ، وهو من أصابه البِرسام : ذات الجنب ، وهو التهاب فى الغشاء المحيط بالرئة .

يُغْفِى : من الإغفاء وهو النوم .

[٥]

● ومرقة الفَرّوج المطبوخ فيه منعشة من الغشيات، الناشئة من حدّة الأخلاط الصفراوية فى الحميات .

● وإذا ضُمّدَ بشىء منه الأورام الحارة بردها وأطفاها ، وسواء فى ذلك الدماغ والعين والنّقرس وما سواها .

● وماؤه إذا شرب ، أو غُسِل به الرأس سكن الصّداع .

● وينوم من ييس دماغه من مرض المؤم تقطيرا فى الأنف بلا نزاع .

● وإذا لطخ بعجين ، وشوى واستخرج ماؤه سكن حرارة الحمى الملتهبة ، وقطع العطس ، وحسن غذاؤه .

● وإن شرب شُرباً ، بخيار شنبر وبنفسج مُرَبّى أحدر صفراء محضة وأزال كربا(٥) .

وقفة مع النص :

(٥) **النّقرس** : مرض مؤلم يحدث فى مفاصل القدم ، وفى إبهامها أكثر ، وهو ما كان يسمى : داء الملوك .

خيار شنبر : ويسمى البكتر الهندى . وهو شجر فى حجم الخرنوب الشامى ولا ينجب إلا فى البلاد الحارة ، وله زهر أصفر عجيب إلى بياض مبهج ، ويزداد بياضه عند سقوطه ، ويخلف قرونا خضرا تطول نحو نصف ذراع ، داخلها رطوبة سوداء ، وحب كحب الخرنوب ، والجزء الأخير من هذا اللفظ معرب [أنظر الألفاظ الفارسية المعربة] .

[٦]

● وإن كحل ــ بمائه المذكور ــ العينان أذهب منها صفرة **اليرقان** .

● **وجُرَادَةُ** القرع إذا لطخ بها الرأس سكن الحار من الصداع ، أو ضمدت بها العين من الرمد الحار سكن منها الأوجاع ، أو الحمرة حصل لمادتها الإرداع(٦) .

وقفة مع النص :

(٦) **اليرقان** : مرض فسيولجى يصيب النبات فيصفر ، وليس هو المراد ، وإنما المراد

بقية الهامش رقم [٦] :

به : حالة مرضية تمنع الصفراء من بلوغ المعى بسهولة ، فتختلط بالدم ، فتصفر بسبب ذلك أنسجة الحيوان .

جُرَادة : قشر . وجاء فى الطب النبوى لابن القيم ، وإذا عُصِيرت جُرَادته وخلط ماؤها بدهن الورد ، وقطر منها فى الأذن — نفعت من الأورام الحادة .

[٧]

● وأما قشر القرع فإنه إذا استعط به نفع من وجع الأسنان ، أو قطر مع دهن ورد نفع الوجع الحار فى الآذان .

● وإذا طبخ القرع بالخل نقص من غلظه وانهضم ، وكان أشد تطفئة للصفراء والدم .

● وسويقه نافع من السعار ووجع الحلق والصدر الصادرين حرا ، ومن الكرب الحادث من الصفرا .

● ودهن القرع نحو دهن البنفسج **والنيلوفر** :

● جيد للحر والسّهر .

● وهو من أجل الأدوية لتنويم المحمومين والمسلولين كيفما استعمله البشر .

● وإذا اكتحل بماء زهره ، أذهب الرمد الحار وأقلعه .

● وقشر القرع اليابس إذا أحرق وذُرّ على الدم المنبعث قطعَه .

● وإذا عجن — والحالة هذه — بِخَلٍّ وطُلِي على البَرصِ نفعه ، وتنفع من قروح الذكر والأعضاء اليابسة المزاج .

● وهى جيدة لتطهير الصبيان ، ولحرق النار معجونا بسمن النعاج[٧] .

وقفة مع النص :

(٧) **استعط به** : استنشق واستخدم سعوطا (نشوقا) .

السويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير ، سمى بذلك لانسياقه مع الحلق . وفى نهاية الأرب : الكائنين من حرارة .

النَّيلَوْفَر : قال فى نهاية الأرب : اسم فارسى معناه : النيلى الأجنحة والنيلى الأرياش ،

بقية الهامش رقم [٧] :

وهو المعروف فى مصر بالبشنين . وهكذا ضبطه صاحب التاج بفتح النون . ويعرف أيضا بعرائس النيل ، يسقط زهره إذا بلغ عن رأس كالتفاحة داخلها بزر أسود .

[٨]

● وإذا قشر حبه ودق واستخرج منه الأدهان نفع وجع الأمعاء الحارة ، ووجع الآذان .

● ولب بزره ينفع من السعال الحار المواد .

● ويرطب الصدر ، ويبرئ حرقة المثانة المتولدة عن خلط حاد .

● ولو لم يكن من فضله المبين إلا أنه داوى الله به رسولا من أصفيائه المرسلين قال تعالى : **﴿ فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾** [١٤٥ ـ ١٤٦/الصافات] .

وفيه يقول الشاعر :

وقـــرعٍ للعيـــونِ كأنـــه خراطيم أفيـــالٍ لُطخـــن بزنجار
مَزْرنـــا فعاينّـــاه بين مزارعٍ فأعـجب منـا حسنـه كلّ نظّـار

وقال :

باكـــــورةٌ من قَرعٍ ناضِرٍ فى كَفّ حُلْـوِ الـدّلِّ بغـداذى
كأنها كافـــورةٌ أقبـــلت فى خِرَقٍ خُضْرٍ من الـــلّاذى[٨]

وقفة مع النص :

(٨) **الشاعر** : عبد الرحيم بن رافع .

الزّنجار : صدأ النحاس .

بغداذى : بغدادى . نسبة إلى بَغداد عاصمة العراق ، وقد كانت عاصمة للدولة الإسلامية .

الّلاذ : ثياب حرير تنسج بالصين . واحدتها : لاذة .

« الهندباء »

[٩]

وما الهندباء ؟

فيه **أحاديث** عديدة ، طرق بعضها لبعض شهيدة :

« ما من ورقة من ورق الهندباء إلا عليها قطرة من الجنة » وهذه **مَنْقَبة** جليلة ، وفضيلة ومِنّة .

ومن الأطباء من يسميها « **البقلة المباركة** » ؛ لأنهم حمدوا فى قانونها الطبى مسالكه .

خواصه ومنافعه :

- باردٌ رطبٌ فى الأولى ، جيد للمَعِدة مأكولا .
- ينفع من ضعف القلب والمعد .
- ويفتح من الكبد والطحال السّدد .
- وهو أفضل دواء للكَبِد والمعدة الحارين .
- ويطفىء حرارة الدم والصفراء ، وينقى مجارى الكُلَى من الرين .
- وإذا أكلت مطبوخةً عَقَلَتْ .
- وتسكن التهاب المعدة والكبد ، ضُمّد بها أو أُكِلت[٩] .

وقفة مع النص :

(٩) ويقول المعجم الوسيط : الهِندبا والهندباء : بقل زراعى حولىّ من الفصيلة المركبة يؤكل ورقه . أو يجعل سلطة . (هندبا .. شيكوريا — خس برى) .

شهيدة : تشهد لها ، ويقوى بعضها بعضا .

أورد ابن القيم فى الطب النبوى ثلاثة أحاديث وقال : لاتصح عن رسول الله ﷺ بل هى موضوعة : وقال فى المنار فى معرفة كون الحديث موضوعا : يدل على ذلك سماجته وكونه مما يسخر منه مثل : ما من ورقة هندباء إلا وعليها قطرة من ماء الجنة .. أحدهما — « كلوا الهِندباء ، ولا تنفضوه ، فإنه ليس يوم من الأيام إلا وقطرات من الجنة تقطر عليه » .

بقية الهامش رقم [٩] :

والثانى : « من أكل الهندبا ثم نام عليه لم يَحل فيه سمٌّ ولا سحر »
والثالث ـــ ما ذكره السيوطى فى هذه المقامة . وأورد ابن الجوزى بعض هذه الأخبار فى موضوعاته ٢ ـــ ٢٩٨ . والشوكانى فى الأحاديث الموضوعة ١٦٥فى الأولى : أى فى الدرجة الأولى .
منقبة : مَحْمَدة ومزيّة .
البقلة المباركة : وصفت فى الطب الحديث بأنها صديقة المعدة والكبد .
عقلت : أمسكت .

[١٠]

● وتنفع من الحميات والاستسقاء والأورام ، ومن نفث الدم ، وأكثر السموم ولسع الهوام .
● وتسكن الغشيان ، ويُضَمَّد بها من الحمرة والخفقان ، ومن النقرس والورم الحار فى عين الإنسان .
● ويضمد بأصلها من لسع الحية والعقربان .
● وماؤها إذا غلى وصُفِّى وشرب بِسِكَنْجَبِين ينفى الرطوبات العفنة ، وينفع من الحميات المزمنة .
● وإن طُلِىَ به الأورام بردها وأسعف .
● وبزرها قريب الفعل من مائها المعتصر إلا أنه أضعف .
● وقال فى القانون : وهو أبرها ، أنفع الهندبا للكبد أمرّها .
● وليحذر الهندباء أصحاب السعال ؛ فإنها لا توافقهم بحال .

وفيها يقول الشاعر القوال :

ألا حبــــذ الهندبـــــا بَقْلَــــــة ... منافعُهـــــــا جمة جامعــــــــه
لها ورقـــــات كلين الربـــــــا ... ط خضر بأطرافـــــه طالعــــــه
إذا نالها مشتك تشفــــــــــه ... ولم يخش من بعدهـــا واقعــــه[١٠]

وقفة مع النص :

(١٠) **السَّكنجبين** (بكسر السين) : شراب يتخذ من الخل والعسل . وهذا اللفظ فى لغة الفرس مركب من كلمتين : (سك) بمعنى : خلّ . و(أنكبين) ومعناها : العسل . ويراد بهذا الاسم : كل حامض وحلو . انظر الألفاظ الفارسية المعربة .

« الخَسّ »

ومنا الخس ؟!

[١١]

خواصه ومنافعه :

- بارد رطب أَشَدّ من الهِندباء ترطيبا ، وأوفى فى التطفئة وتسكين العطش نصيبا .
- مُبَرِّد للبطن مُنَوِّم ، مُدِرّ للبول إذا عليه دُووِم .
- وإذا طبخ فهو أكثر فى الغِذاء .
- وإذا أكل كما قلع غير مغسول وافق من يشتكى من معدته أذى .
- ينفع من **الحمرة** والورم الحار .
- وليكثر مِن أكْلِه مَن مَعِدَتُه تولّد المرار .

قال ابن البيطار :

ولم أجد شيئا من البقول يُدَاوى به السّهر غيره .

- والخلط المتولد منه باردٌ رطب جيد لا يوازيه بقل غيره ؛ إذ ليس يعرض له رداءة الاستمراء كما يعرض لسائر البقول ، والبطن معه لا هو مطلق ولا معقول[١١] .

وقفة مع النص :

(١١) **الحُمرة** : مرض جلدى مُعْدٍ . يحمر فيه موضع الإصابة ، تصحبه حمىّ عالية . يداوى به السهر : فقد عرف قديما بأنه عُشبة الحكماء ؛ لأنه يفيد فى تهدئة الأعصاب ، ويرجع ذلك إلى وجود مادة : (لاكتوريوم) التى تهدئ الأعصاب ،

بقية الهامش رقم [١١] :

ولا تترك أثراً كآثار المخدرات أو المنومات .

وهو يحتوى على كميات لابأس بها من فيتامين (أ) ، كما أنه غنىّ بفيتامين (هـ) ويستعمل الخس مرطبا ، ومسكنا للألم ، ومنظفا للدم ، ومهدئا ومنوماً ، ومليناً ، ومقويا للبصر والأعصاب (التداوى بالأعشاب والنباتات ــ عبد اللطيف عاشور) .

[١٢]

- وهو يهيج للإنسان شهوة المأكول ، وينفع من اللدع العارض فى المعدة ، ومن حُرْقة المثانة التى هى من خلط صفراوى متولدة ، ومن السعال الذى لانفث معه وهو من مادة رقيقة تنحلب من الرأس مُسَهّدة .
- ويغزر اللبن ، ويُذهب اليرقان ، ويُسَكّن حرارة الرأس والهذيان .
- ويسكن وجع الثدى ، وهو دواء لاختلاف المياه والأرضين والهدى .
- وإن أكل بالخلّ نيًّا سكن المرار ، والصداع المتولد عن صفراوى البخار .
- وإذا عجن بمائه دقيق الشعير سكن الورم الحار من العين .
- والإكثار من أكله يضعف البصر ، ويكسبه الغشاوة والغين .
- وبذره يسكن وجع الصدر ، ولدغة العقرب والهوام .
- وإذا شرب قطع شهوة الجماع والاحتلام

وفيه يقول الشاعر :

أتـانى الغـلام قُبَيْـل الطعـا م ــ وقد حُمّ جسمى ــ بخسٌ نضير
كقضيب اللـجين بأطرافهـا ــ لمُبْصِرِها ــ عذبـات الحريـر [١٢] .

وقفة مع النص :

(١٢) لانفث معه : الجاف .

مُسَهّدة : تؤرق .

الهوام : الحشرات .

خُمّ جسمى : أصيب بالحمّى ، وارتفعت حرارته .
نضير : غَضّ جميل له بريق فى صفاء يريح أعْصابه ويخفف حرارة جسمه .
اللجين : الفضة .. والعذيات : جمعه عذبة ، وهى الطرف . وهو يشير إلى نعومة أوراقه وكأنها حرير أخضر . والساق فى بياضها كالعمود من الفضة .

« الرجلة »
[١٣]

وما الرجلة ؟!

خواصّها ومنافعها :

فيها حديث ضعيف بلا نزاع :

« أن فيها شفاء من سبعين داءً أدناها الصداع » وأنه ﷺ : « دعا لها بالبركة » وحيث شاءت نبتت ، وذلك حين داوى بها قرحة فى رجله فبرئت ؛ فلذلك تسميها الأطباء : « البقلة المباركة » ، « واللينة » ، و« الحمقاء » أسماء متشاركة .

● باردة فى الثالثة ، رطبة فى الثانية ، كثيرة المنافع فى الحاضرة **والبادية** ، عظيمة البركات ، تمنع المواد المتحلبة والنزلات . لا سيما التى إلى المرارة والحرارة مائلات ، مع أنها تفيد هذه المواد وتحيل منها المزاج ، وكم لها من أثر حسن فى العلاج .

● تقمع الصفراء جدا ، وتبدل من الحرارة برداً ، وتبرد تبريداً شديداً[١٣] .

وقفة مع النص :

(١٣) وقد أشار الإمام السيوطى إلى هذا الحديث فى كتابه « مختصر الطب النبوى » فقال :

« عن ثوبان قال : مر النبى ﷺ بالرجلة وفى رجله قرحة فداواها فبرأت ، فقال رسول الله ﷺ : « **بارك الله فيك أختى** » حيث كانت شفاء من سبعين داء أدناه الصداع » رواه الحارث بن أبى أمامة فى مسنده .

وسميت البقلة الحمقاء ؛ لأنها تنبت فى مسيل الماء فيقلعها السيل ويذهب بها ، والرِّجلة ؛ لأنها تنبت فى طريق الناس فتداس .

والبادية : الصحراء حيث يستصحبها المسافرون فى أسفارهم عند توقع فقد الماء .

وقد ذكر ابن سينا فى القانون أن بذرها إذا خلط بالخل يصبر على العطش طويلا .

[١٤]

● وهى من أنفع الأشياء كلها لمن يجد فى المعدة والكبد لهيبا وتوقيدا ، أكلا لها وشرابا لمائها ، ووضعا على فم المعدة ، وما دون الشراسيف بإزائها .

● وتشفى من الضرس العارض فى الأسنان ، ومن قرحة الأمعاء وحرقتها إذا أكلها الإنسان ، ومن الفضول أن تصل إلى المعدة بالسيلان ، ومن نزف النسوان ، ومن الأوجاع والقروح فى الكلى والمثانة ، ومن حرقة البول والعطش فجل البارى سبحانه .

● وتنفع المحرورين وأصحاب الحميات الحادة .

● وتزيد فى الباه والمنى فى الأمزجة الحارة اليابسة المادة[١٤] .

وقفة مع النص :

(١٤) توقيدا : توقّداً واشتعالا .

الشراسيف : جمع شُرْسُوف : الطرف اللين من الضلع مما يلى البطن .

[١٥]

ومن قال : إنها تضعف شهوة الجماع ، فهو فى المبرودين بلا نزاع .

● وضمادها ينفع من الصّداع ، وأورام العين وغيرها ، ومن الحمرة والتهاب المقعدة والمثانة وحرق النار وضيرها .

● وعصارتها تنفع من الحميات والبواسير ، وحب القرع شربا ومن بثور الرأس وصداعه غسلا بها وصبا ، وقد يقع فى أدوية الرحم وفى أخلاط الأكحال .

● وإذا حقن به غير مَغْلِىّ نفع من انصباب المرّة الصفراء إلى الأمعاء ، وأمسك ما حدث عنها من الإسهال .

● وبذرها ينفع من القلاع والحر فى أفواه الأطفال ، ويشفى من الحصى ويدر البول ويسهل طبعا ، وإذا قلى أمسك الطبيعة وقوّى الأمعا .

● وإذا دلك بالرِّجْلة الثآليل قلعها بالخاصية قلعا .

● ومن وضعها فى فراشه لم ير حُلْما ، ولا مناما وضعا .

● وهى فى الجملة صالحة فى العلاج من كل حار : من الأزمان والبلدان والمزاج ، غير أنها تقطع شهوة الطعام ، وتُجِلّ فى البصر لبصر الإظلام .

« البامية »

[١٦]

وما البامية ؟

باردة رطبة فى الثانية .

خواصها ومنافعها :

● وهى أرطب من سائر البقول ، والدم المتولد عنها يزيل الفضول ؛ موافقة لأصحاب المِزاج الحار ، وغذاؤها فى غاية القلة والاستندار ، والتوابل الحارة تنفع مافيها من المضار ، وفيها أقول :

وبَاميــــةٍ لها طعــــمٌ لذيــــذٌ ومنظرهــا بديــع فى الجمـــال

تُحاكى وهى تُزهِــرُ فى ريــاضٍ حِقــاقَ زُمُـــرّدٍ ملـــئت لآلى

« الملوخيا »

وما الملوخيا ؟

خواصُّها ومنافعها :

● باردة فى الأولى ، رطبة فى الثانية .

● تفتح سدد الكبد الوانية ، وترطب الصدر ، وتنفع من السعال ، وتلين البطن ، وبذرها أشد فى الإسهال[١٦] .

وصريح كلام القانون فى الترجمة عنها :
أن منافع الخُبّازَى فيها ، لأنها نوع منها .

وقفة مع النص :

(١٦) **جِقاق** : جمع حُق . **الزمرد** : حجر كريم من الأحجار الصلبة إلا أنه سهل التشقق والتفتت ويتمتع بمكانة فى علم الجواهر الحديث لما يتسم به من الجمال واللون .
والزمرد العادى يكون غالبا أخضر ، وهو أرق أنواع أسرته ، وهو شفاف ونصف شفاف .
الوانية : الضعيفة .

[١٧]
« الخُبَّازَى »

وما الخبازَى ؟

خواصها ومنافعها :

- بارد رطب فى الأولى ، ردىء للمعدة الرطبة فضولا .
- مغزر للبن نفاع .
- يفتح سدد الكبد ويمضغ للقلاع .
- وينفع من السعال اليابس بالاغتذا .
- ومن أوجاع المثانة ومابها من الأذي .
- ويدر البول ويلين طبعا .
- ويُصْلح خشونة الصدر والرئة وبزره فى ذلك أشد نفعا .
- وقضبانه نافعة للمثانة والأمعا .
- وورقه إذا مضغ نيًّا وضمد به العين نقى النواصير وأنبت فيها اللحم ، وأزال الغَبْن.
- وإذا ضمد به للسع النحل والزنابير نفع .
- وإذا دق وخلط بزبد وتمسح به لم يضره منها ما لسع .
- وإذا ضمد به البول أبرأ الرطبة من قروح الرأس .

● وإذا طبخ ودُقّ وخلط به زيت ، ووضع على الحُمرة ، وحرق النار أذهب عنها الباس .

● وإذا وضع وحده على الأورام سكنها ، أو الدماميل فجرها ، وأخرج مافيها من الأدناس .

● وإذا جلس النساء على طبيخه سكن صلابة الرحم والمقعدة .

● وإذا أضيف بذره إلى أدوية الجفن أزال ضرر الأدوية الحَادّة وبرده[17] .

القانون : لابن سينا .

وقفة مع النص :

(١٧) **القُلاع** :(بالضم) قرحة تكون فى جلدة الفم واللسان مع انتشار واتساع ، وتعرض للصبيان كثيرا لرداءة اللبن أو لسوء انهضامه فى المعدة .

الغَيْن : لغة فى الغَيم .

[١٨]

● وإذا طبخ ورقه بأصوله نفع من لسعة **الرتيلا** ، والأدوية القتالة .

● وينبغى أن يشرب ويتقيأ دائما فإنه يبرئ ذلك لا محالة .

وقد قلت فيه :

حجازيـــات تراهـــا تحكـــى قبـــابَ زبرجـــد

كثيرة النفـــع طبّـــا مقامُهـــا فيـــه أمجد

تفـــوق فى الـــطب حَقّـــا على لُجَيْـــنٍ وعَسْجَـــد[18]

وقفة مع النص :

(١٨) **الرتيلاء** : بالمد والقصر ــ جنس من الهوام ، وهو أنواع كثيرة ، أشهرها شبه الذباب الذى يطير حول السراج ، ومنها ما هى سوداء رقطاء ، ومنها صفراء زغباء ، ولسع جميعها مورم مؤلم ، وربما قتل .

اللجين : الفضة . والعسجد : الذهب .



٥ ـ المقامة الفستقية
فى أنواع النقول

أنشأها فى الفواكه اليابسة التى هى :
الفستق ، واللوز ، والجوز ، والبندق
والشاهبلوط ، وحب الزلم ، وحب
الصنوبر . متكلما عن :
طبائعها ومنافعها

مدخل المقامة :

[١]

مرّت من النقول طائفة ، على النقول عائفة تروم الإفصاح عن منافعها ، والإيضاح عن طبائعها ، فأجابها من أجاب من الألباء الأنجاب :

أن استمعوا ما أُلقِىَ إليكم وعُوا ما أُملى عليكم .

« الفُستُق »

[١]

منافعه وخواصّه :

● أما الفستق فحار رطب فى الثانية أشد حرارة من اللوز والجوز متناهية .

● يفتح السدود ، وينقى الكبد ، ويقوى المعد ، لأبخرتها التى ترقى إلى أعلى **قامِعْ** ، وَلِعِلَل الصدر والرئة نافع . وينقى منافذ الغِذا ، ويزيل مافيها من ثقل وأذى .

● ويذهب المغص **والغثيان** ، وينفع من نهش الهوامّ كالحية **والعُقْربان** ، ويقوى فم المعدة وقلب الإنسان ، ويُعَد فىُ المفرحات وَالتِّرياقات ، وقشره إذا نقع فى الماء وشرب نفع العطش والقىء **والإطلاقات** ، ويطيب النكهة لما فيه من العطريات .

● ودهنه يضر بالمعدة وذلك من الخاصيات .

ما قيل فيه من شعر :

وفيه يقول الشاعر :

من الفستـقِ الشامـىّ كلُّ مَصُونَــةٍ تضانُ عن الأحداق فى بطن تابـوتِ
زبرجـدةٌ ملفوفــةٌ فى حريــرةٍ مُضَمّنــةٌ دُرًّا مُغَشًّى بياقـــوتِ

وقال آخر :

تفكرتُ فى معنـى الثِّمـارِ فلـم أَجِدْ بها ثمراً يبــدو بحسنٍ مُجَـــرّدِ
سِوَى الفُستُقِ الرَّطْبِ الجَنِىِّ فإنه زهَـا بمعــانٍ زُيّـنَت بتجـــدّد
غِلالــةُ مَرْجــانٍ على جِسمِ فِضّةٍ وأحشاءِ ياقوتٍ وقلب زبرجــد[1]

وقفة مع النص :

(١) **النُّقول** : جمع نُقْل : ما يتفكه به من جَوْزٍ ولَوْزٍ وبُنْدق ونحوها ، وأكثر ما يكون ــ عندنا ــ فى ليالى رمضان .

والمنقول : ما يُتَنَقّل به على الشراب من فواكه وكواخ وغيرها .

على النقول عائفة : تعاف بقية النقول من نوعها لتمييزها . أو تحوم حول ما ورد فيها من نقول ونصوص فيقال : عافت الطير : حامت على الشيء تريد الوقوع عليه .

تروم : تقصد وتريد . الألبّاء : جمع لبيب .

الفستق : ثمر شجرة من الفصيلة البطمية من ذوات الفلقتين يميل إلى الخضرة .

قامِعْ : مسكن ، ومانع .

الغَثَيان : خبث النفس .

العُقْربان : الذكر بضم العين والراء والأنثى عقربة وعقرباء .

الإطلاقات : الإسهال .

[٢]

وقال آخر :

وفستقة شبهتُها إذْ رأيتُها ... وقد عاينتُها مُقْلتى بنعيم
زبرجدة خضراء وسط حريرةٍ ... بحُقّةِ عاجٍ فى غلافِ أديم

وقال آخر :

وفُستُقٍ قد حكى جلبابه شفقاً ... وقلبُه كوداد العاشق الكَلِفِ
تراه ملتحفاً ثوبَ الحيا خجلاً ... طوراً وطوراً تراه غير مُلْتحِفِ
يحكى فصوصَ يواقيتٍ مفصّلة ... زرقاً وصُفْراً لها غُلُفٌ من الصدف
كأن آكلَه من طِيبِ مَطْعَمِه ... مواصِلٌ لحبيبٍ دائم الصّلَفِ[٢]

وقفة مع النص :

(٢) وفستقة .. إلخ .. ورد هذان البيتان فى نزهة الأنام فى محاسن الشام منسوبين إلى مهذب الدين الدّهان الذى ولد بالموصل سنة ٦١٦ هجرية والأديم : الجِلْد .
الصّلَف : الترفع والكبرياء .

« اللوز »

[٣]

خواصه ومنافعه :

- وأما اللوز فحار رَطْبٌ فى وسط الدرجة الأولى . يُصلِحُ بلّةَ المعدة ويقذف ما فيها رطوبة وفضولا .
- ويجلو الأعضاء الباطنة وينقيها ، ويغذو الأمعاء ويلزق ما فيها .
- ويدرّ البولَ ويسكن حرقة المبال ، ويفتح السّدَد من الكبد والطّحال .
- ويلين الحلق وينفع اليابس من السعال .
- ويسمن ويقوى البصر المضطرب .
- وينفع من **القولنج** ومن عضة الكلْب **الكَلِب** .
- وهو جيد للصدر والرئة والمثانة الخشنة .
- وإذا أكل بالسكر زاد فى المنىّ وسخنه .
- واللوز المقلى أنفع للمعدة بالدباغ .
- وإذا أكل اللّوْز والجَوْز بالسكر أغذيا كثيرا وأخصبا البدن ، وزادا فى المخ والدماغ[٣] .

وقفة مع النص :

(٣) **القولونج** : مرض معوى مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح، وسببه التهاب القولون . والقولون : المِعَى الغليظ الذى يتصل بالمستقيم .
الكَلِب : المسعور . والمريض بمرض الكَلِب .
أخصبا : أحدثا فيه خصوبة وامتلاء .

[٤]

● واللوز الأخضر يدبغ اللِّثَة والفم ، ويسكن مافيهما من الحرارة والدم .

ما قيل فى اللوز من شعر :

وفيه يقول الشاعر :

انظر إلى اللوزِ إذ وافاك أخضرُه   يا مَنْ محاسنُه تاهت على التيه
انظر إليه بعين الزهْوِ مستمعاً   قَوْلى لتنظُر فيه حُسْن تشبيه
كأنه حبّ دُرٍّ صانه صَدَفٌ   من الزبرجد جَلّ الله مُنْشِيه

وقال آخر :

رأيت فى اللوْز معنى   مثاله ليس يُوجد
كأنه حَبُّ دُرٍّ   عليه قُفْلُ زبرجَد

وقال آخر :

ومُهْدٍ إلينا لَوْزةً قد تضمّنتْ   لمُبْصرِها قَلْبين فيها تلاصقا
كأنهما خِلّانِ فازا بخلْوةٍ   على غَفْلةٍ فى جِلْسةٍ فتعانقا[٤]

وقفة مع النص :

(٤) ومُهدٍ إلينا .. إلخ نسب هذان البيتان فى « نزهة الأنام » إلى هبة الله بن سناء الملك الذى ولد بمصر سنة ٥٤٥ هجرية .

مُنْشيه : منشئه من العدم . سبحانه وتعالى .

خِلّان : عاشقان وحبيبان .

« الجوز »

[٥]

خواصُه ومنافعه :

● وأما الجوز فشديد الحرارة والإسخان ، كثير الإضرار بالإنسان[٥] .

وقفة مع النص :

(٥) قال ابن سينا : « أكل التين والجوز .. دواء لجميع السموم » .

[٦]

- وله فى المعدة الباردة نفع .
- ومن منافعه أنه **يسهل الديدان** وحب القرع .
- وهو دواء لجميع السموم .
- وتسكينه للمغص معلوم .
- وأكثر نفعه للمعالج فى الطّلاء من خارج على القوباء والمُلْتَوى من الأعصاب ، والثدى الوارم وعضة البشر والكلاب .

ما قيل فيه من شعر :

وفيه يقول الشاعر :

تأمّـلِ الجوزَ فى أطباقِـه لتـرى ... رَاوُوقَ حُسْنٍ عليـه غير مخطـوط
كأنـه أكَـرٌ من صنـدلٍ خُرِطَت ... فيها بدائـع من نقشٍ وتخطيـط

وقال آخر :

يا رُبّ جوْزٍ أخضر ... مُفَصَّصٍ مُقَشّـر
كأنما أرباعُـه ... مُضْغـةَ عِلْكِ الكنـدرِ(٦)

وقفة مع النص :

(٦) **يسهل الديدان** وحب القرع : جاءت هذه العبارة بنصها فى كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى .

وجاء فى تذكرة داود : ويخرج الدود رماده مع الشراب .

وقشر الجوز الأخضر إذا اعتصر وغلى حتى يغلظ كان ترياق البثور وداء الثعلب وفى

ـــــ بقية الهامش رقم [٦] :

كتاب التداوى بالأعشاب : تعالج القروح والأمراض الجلدية ــ كالجرب والحكّة ــ بتضميدها بمغلى الأوراق ، ولطرد الديدان المعوية يهرس بعض ثمار الجوز نصف الناضجة ثم تعصر ويمزج العصير بمسحوق سكر نبات ويستمر فى تناوله قبل الطعام إلى أن يتم طرد الدود كله ،

تأمل الجوز .. إلخ البيتين نسبا فى نزهة الأنام إلى أبى الفرج بن هندو .. وكان من كتاب ديوان الإنشاء .

راوُوق : كأس . والراووق أيضا : المصفاة والباطية وفى بعض النسخ رُوَاق حسن . وذلك كناية عن حسنه وجماله .

أكر : كرات . والصندل : شجر خشبه طيب الرائحة ولخشبه ألوان متعددة .

علك الكندر : الكندر بالفارسية : ضرب من العلك ، وهو اللبان بالعربية .

« البُنْدُق »

[٧]

خواصه ومنافعه :

وأما « البندق » فأغلظ وأغذى من الجوز ، وفى الحرارة دون اللوز ، ولفظه « فارسى » واسمه العربى جِلَّوْز ، وهو إلى حرارة ويبوسة قليلة ، وفيه خواصٌ ومنافع جليلة منها :

- أنَّه يزيد أكله فى الدماغ .
- وينفع من السموم ولدغ العقرب اللداغ .
- ويقوى المِعَى المدعُوّ بالصائم ، وينفى الضرر عنه بالخاصية ويلائم .
- وينفع السعال المزمن ومن النفث الحادث من الرئة والصدر .
- وذكر ابن البَيْطار أن قوما يعلقونه فى أعضادهم من لدغ العقارب ، وذلك نفع جليل القدر ، ولْيقَشّر من قشريه ليكون أسرع انهضاماً وانحداراً ، وأقل من النَّفْخ والقراقر إضراراً ؛ فإن فى القشر الباطن قبضاً شديداً وبه يعقل البطن ويكثر للنفخ توليداً ، وإذا قلاه من أراد أكله أعانه على إنضاج النزلة[٧] .

وقفة مع النص :

(٧) القراقر : أصوات البطن من جوع وغيره .
قبضاً : إمساكا وتجفيفاً .
يعقل : يحبس :

« الشاهبلوط »

[٨]

خواصه ومنافعه :

وأما « الشاهبلوط » وهو القَسْطل فبارد ذو يباس ، نافخ مصدع للرأس ، وغذاؤه غير محمود للناس . قابض بطيء الانهضام ، فإن خلط بالسكر قلل منه ما به يُضَام .

- وفيه تقوية للأعضاء ومنع للنزيف وجلاء ومن النجخ ، وقروح الأمعاء .
- ولحمه جيد للسموم ، وتغزيره للبول معلوم(٨) .

وقفة مع النص :

(٨) الشّاهْبَلّوط : يسمونه فى مصر « أبا فروة » .
النّجخ : الهيجان والاضطراب ، وغلظ الصوت من زكام أو سعال أيضا .

« حَبّ الزَّلَم »

[٩]

خواصه ومنافعه :

وَأَمّا « حب الزلم » فحار فى الثالثة ، رطب فى الأولى .

- يزيد فى المنىّ كثيرا مأكولا . وطعمه ومذاقه ما ألذّه وأطيبه .
- وإذا مُضغ ووضع على كلف الوجه أذهبه .

« حَبّ الصنوبر »

وأما « حب الصنوبر » فحار فى الثانية رطب فى الأولى ، وقيل : يأنس فى الثانية نزولا .

- شديد الإسخان ، صالح للمشايخ دون الشباب .
- للرعشة والفالج والربو نافع .
- وللرطوبات العفنة والبلاغم قالع .
- ينقّى الكلى والمثانة من الحصى والرمل ويشفيها .

ويقوى المثانة على إمساك البول الذى فيها .

- ويزيد فى الباه ويكسر الرياح .
- ويسخن الكلى لمن كان له بالأسخان نجاح .
- وينفع ما عرض فى البدن من الاسترخاء .
- ويخفف الرطوبات الفاسدة المتولدة فى الأعضاء .
- وهو بطىء الهضم فليحذر فيه الإكثار .
- ولا ينبغى للمحرورين أن يقربوه ولا سيما فى الزمان الحار(٩) .

وقفة مع النص :

(٩) حب الزّلم : من أسمائه حب العزيز ، وسُعْد السلطان ، ولوز الأرض ، وسُقّيط . دَرَنَاتُه تشبه البندق الصغير ، أكبر من الحمص قليلا .





٦ ـ المقامة الياقوتية

فى

أنواع الجواهر

وتعيش فى هذه المقامة مع سبعة من اليواقيت
هى : الياقوت ، واللؤلؤ ، والزمرد
والمرجان ، والزبرجد ، والعقيق
والفيروزج ، وسوف ترى
أيها فى المرتبة أعلى ،
وفى الزينة أغلى ،
وفى المنظر
أحلى ؟!

مدخل المقامة الياقوتية :

[١]

اجتمع سبعة من اليواقيت لبضعة من المواقيت ، وقصدوا للمفاخرة لا للمفاجرة ، وللمكاثرة لا للمكابرة :

أيُّها فى الرتبة أعلى ، وفى الزينة أغلى ، وفى المنظر أحلى ، وفى المخبر أجلى ؟

فعقدوا لكل منهم حَلْقه ، وسبحوا الذى أحسن كل شئ خَلْقه ، ونصب لكل منهم فى حَلْقته مِنصّة ، وأشارُوا إليه بالأصابع حيث أضحى عين الخاتم وفصَّه .

مزايا الياقوت وخواصه ومنافعه :

فقال « الياقوت » :

الحمدُ لله الذى خلقنى حسن التقويم ، وجعلنى أبهى فى العين من الدّرّ النظيم ، وشرفنى على كثير من الأقران ؛ حيث ذكرنى بصريح اسمى فى القرآن فى قوله تعالى فى سورة الرحمن : ﴿ **كأنهن الياقوت والمرجان** ﴾ [٥٨/الرحمن] وقدمنى فى الذكر ، وذلك يدل على أنى من المَرجَان أنبه ، وأشرف منه مقاماً وقواما ورُتبة[١]

وقفة مع النص :

هوامش المقامة الياقوتية

(١) **المفاخرة** : المعارضة بالفخر .

المفاجرة : المشاركة فى الفجور . وبين المفاخرة ، والمفاجرة جناس ناقص .

المكاثرة : المغالبة بالكثرة .

المكابرة : المعاندة ، والمجاحدة ، والمطاولة بالكبر .

أجْلى : أوضح .

عين الخاتم وفصّه : أى أصبح كل شئ .

الياقوت : حجر من الأحجار الكريمة ، وهو أكثر المعادن صلابة بعد « الماس » ويتركب من أكسيد الألمنيوم ، ولونه فى الغالب شفّاف مُشْرب بحُمْرة ، أو بزُرقة ، أو بصُفرة ، ويستعمل للزينة ، واحدته أو القطعة منه ياقوته . والجمع يواقيت .

بقية الهامش رقم [١] :

حسن التقويم : الشكل والقيمة .
أنبه : أعلى شأنا ومنزلة .

[٢]

وكم ورد ذكرى فى الأحاديث الصحاح والحسان ، وفى صفات ما أودعه الله من المحاسن فى الجنان.

من ذلك حديث عمّن أفاض الله عليه المكارم فيضاً .

« بنى الله جنةَ عدْنٍ مِنْ ياقوته حمراء ، ولَبِنَةً من زبرجدة خضراء ، ولبنةً من درة بيضاء » .

وفى حديث مرفوع رواه حافظ مُمَجّد :

« الدرجة الثالثة من الجنة دُورها ، وبُيوتها ، وأبوابُها ، وسُرُرُها ، ومغاليقها من ياقوت ، ولؤلؤ ، وزبرجد » .

وفى حديث صحيح الثبوت :

« حصباؤها اللؤلؤ والياقوت » .

وفى حديث من الحسان :

« درجُها اللؤلؤ والياقوت ، ورَضْرَاضها اللؤلؤ ، وتُرابها الزعفران » .

وفى حديث رواه البيهقى وُعِدَبه المصلّى أجرا :

« ليس عبد يُصَلّى فى ليلةٍ من رمضانَ إلا بنى الله له بيتاً فى الجنة من ياقوتةٍ حمراء » .

وفى أحاديث صحاح وحسان :

« فى الجنة خيلٌ من ياقوت لها من الذهب جناحان ، إذا ركبها صاحبُها طارت به فى الجِنَانِ »[٢] .

وقفة مع النص :

(٢) عمن أفاض الله عليه المكارم : يريد « أنس بن مالك » : رواه عنه ابن أبى الدنيا وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب . بلفظ « خلق الله جنة عدن بيده لبنة من دُرّة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء .. إلخ » الحديث .

وفى حديث من الحِسان : ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب . رواه ابن أبى الدنيا عن أبى هريرة موقوفاً قال : « وحائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، ودرجها الياقوت واللؤلؤ » قال : « وكنا نحدّث أن رَضْراضَ أنهارها اللؤلؤ ، وترابها الزعفران »

(الرَّضراض) بفتح الراء ، وبضادين معجمتين ، و(الحصباء) ممدودا بمعنى واحد . وهو الحَصَى ، وقيل : الرضراض : صغارها .

« حصباؤها اللؤلؤ والياقوت » جزء من حديث فى ذكر صفة الجنة جاء فى تيسير الوصول إلى جامع الأصول . عن أبى هريرة . أخرجه الترمذى . وقال : هذا حديث ليس إسناده بذاك القوى ، وهو عندى ليس بمتصل .

وقال المنذرى بعد أن ساق الحديث بطوله : والحديث رواه أحمد ــ واللفظ له ــ والترمذى والبزار، والطبرانى فى الأوسط ، وابن حبان فى صحيحه . وهو قطعة من حديث عندهم .

جاء فى تيسير الوصول عن بريدة ــ رضى الله عنه ــ قال :

سأل رجل رسول الله ﷺ فقال : هل فى الجنة خيل ؟ قال : إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تُحمل فيها على فرس من ياقوته حمراء تطير بك فى الجنة حيث شئت إلا كان » أخرجه الترمذى .

[٣]

فما ذكرت فى معرض الترغيب والتنبيه إلا وكان لى بذلك فخار ورفعة وتنويه .

وقد وردتُ فى أحاديث تثبت لى الشرفَ والفخر :

« تختموا بالياقوت فإنه ينفى الفقر » .

وأما الخواص المودعة فىّ فشريفة :

والمنافع الموجودة لدى فمُنِيَفة ؛ من ذلك :

- أن التختم بى والتعليق يمنع من إصابة الطاعون على التحقيق .
- ولى فى التفريح ، وتقوية القلب الجريح ، ومقاومة السُّموم ، ومدافعة الهُموم والغُموم ما هو مشهور معلوم .
- ومن خواصّى أنه لا تعمل فىّ المبارد .
- وإذا صُلِيتُ بالنار لم تؤثر فىّ فى مورد من الموارد .

ماقيل فيه من الشعر :

وحسبك بقول الشاعر من شاهد :

وطالما أُصْلِىَ الياقوت جَمرَ غَضًى ثم انطفا الجمرُ والياقوتُ ياقوتُ[٣]

وقفة مع النص :

(٣) « تختموا بالياقوت » قال العجلونى بعد أن ساق القول :

« تختموا بالعقيق فإنه ينفى الفقر » وأنه باطل ـــ قال فى المقاصد : وما روى المطرِّزىّ فى اليواقيت عن إبراهيم الحربى أنه سئل عنه فقال : إنه صحيح ـــ غير معتمد بل المعتمد بطلانه .

ثم إن قوله فى بعض رواياته : « فإنه ينفى الفقر يروى فى اتخاذ الخاتم الذى فَصُّه من ياقوت ـــ ولا يصح أيضا .

قال ابن الأثير : يريد أنه إذا ذهب ماله باع خاتمه فوجد به غِنًى ، وقال غيره : بل الأشبه إن صح الحديث ـــ أن يكون لخاصِّيَّة فيه ، كما أن النار لا تؤثر فيه ولا تغيره ، وأن من تختم به أَمِنَ مِنَ الطاعون ، ويُسرت له أمور المعاش ، ويقوى قلبه ويهابه الناس ، ويسهل عليه قضاء الحوائج » انتهى . وكل هذا ممكن بالعقيق إن ثبت .

وقال فى اللآلىء : رواه صاحب مسند الفردوس من طريق أنس بن مالك ، وعمر بن الخطاب ، وعائشة ، وعلى ، وغيرهم بأسانيد متعددة .

ثم قال : ورُوِى عن عَبْد خَيرٍ عن علىّ قال : « التختم بالياقوت ينفى الفقر » قال : وسمعته يقول : التختم بالعقيق بركة . ا هـ. كشف الخفاء .

مُنيفة : تعلو غيرها وتفوقها وتزيد .

— بقية الهامش رقم [٣] :

المبارد : جمع مِبْرد . آلة لبرد الحديد وغيره .
مورد من الموارد : المورد : المنهل ، والمقصود أنه لا يؤثر فيه الماء بعد أن يُصْلى ناراً .
الغَضَى : شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب شديد الاشتعال . وجمره متأجج لا ينطفىء . واحدته : غضاة . وأهل الغضى . أهل نجد لكثرته هناك .
والياقوت ياقوت : فالنار لا تزيده إلا تزيده إلا تألّقا ، وذلك يكشف عن قيمة معدنه وجوهره !

[٤]

وقول الآخر :

ما بالُه يجفو وقد زعم الورى ... أن النَّدى يختصّ بالوجهِ النَّدِى
لا تخدعنّك وَجْنةٌ مُحْمَرّةٌ ... رقّتْ ففى الياقوتِ طبعُ الجُلْمُدِ

وقد شبه بى الشعراء كلّ ماله فى الفخر علو ، وفى القدر غُلُوّ ، فقال الشاعر :

أما ترى الوردَ على غُصْنِه ... فى روضة البستان للمنظر
صحافُ ياقوتٍ وقد رصّعت ... فى وَسْطِها بالذّهب الأصفرِ

وقال الآخر :

ومن مُلَح الأيامِ يومٌ قضيتهُ ... لدى رَوْضةٍ فيها لأحبابنا قُوتُ
لَبِسَتْ به من أخضرِ الرَّوْضِ حُلّةً ... وأزرارُها من حُمرة الوردِ ياقوتُ

وقال الآخر :

أرأيتَ أحسنَ من عُيونِ النّرجسِ ... أو مِن تَلاحُظُهِنّ وسْط المجلس ؟!
دُرٌّ تَشَقّقَ عن يواقيتٍ على ... قُضُبِ الزَّبرجَدِ فوقَ بُسْط السُّندس

وقال الآخر :

انظر إلى نرجسٍ فى روضةٍ أُنُفٍ ... غَنّاء قد جمعت شتى من الزهر
كأن ياقوتَةً صفراء قد طُبِعَت ... فى غُصنها حولها سِتٌّ من الدر[٤]

وقفة مع النص :

(٤) يجفو : من الجفوة والقطيعة والنفور .

الورى : الخلق . النَّدى : الكرم . النّدِىّ : المبْتَلّ الرقيق .

الجُلْمد : الصخر . صحاف جمع صحفة . قوت : زاد ، والمراد : زاد للأرواح والنفوس لجمالها .

الأزرار : جمع زِرّ : ما يدخل فى العُروة فكأن للحلة أزراراً حمراء فى حمرة الورد .. والزرّ برعم النبات .

تلاحُظهن : تبادل النظرات .

القضب : جمع قضيب ، وهو العود . الزبرجد : حجر كريم .

البُسُط : جمع بِساط . السُّنْدُس : الحرير .

الأُنُف : عالية الموقع ، قريبة من الشمس .

غنّاء : كثيرة الشجر ملتفّة الأغصان ، لذبابها غُنّة فهو أغن وهى غنّاء .

اللؤلؤ يتحدث عن نفسه !

[٥]

وقال اللؤلؤ :

الحمدُ لله الذى ألبسنى **خِلْعَةَ** البياض ، وجعلنى بين اليواقيت **كالنَّوْرِ** ، فى الرياض .

ومَنّ علىّ **بالتّبجيل** ، **وحَبَانى** بالتنويه والتنويل ، وكرّر ذكرى فى عدةِ مواضعَ من التنزيل .

وقدمنى فى الذكر فى القرآن ، فى قوله تعالى فى سورة الرحمن : ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾ [الآية/٢٢] .

وشبّه بى الحور والوِلْدان ، قال تعالى فى كتابه المصون : ﴿ **وحور كأمثال اللؤلؤ المكنون** ﴾ [الواقعة/٢٢] .

وقال تعالى : ـــ مُرَغِّباً للمؤمنين ومحذّرا أن يُطيعوا آثِماً أو كفُورا ﴿ **يطوف عليهم وِلْدانٌ مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً** ﴾ [الإنسان/ الآية/١٩] .

وقال تعالى فى الإخبار عن أهل الجنّة ، وذلك الفضل الكبير : ﴿ **يُحَلَّوْن فيها من أساورَ من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير** ﴾ [فاطر/٣٣][٥] .

وقفة مع النص :

(٥) خِلْعة : ملابس .
النّور : الزّهر والنّوّار .
التبجيل : التعظيم .
حبانى : خصّنى . التنويه : الإشادة بالذكر .
التنويل : الإعطاء .

[٦]

وقد ذُكِرَت فى الأحاديثِ كثيراً ، ونُعِتٌّ فى صفةِ الجنة على لسان من أُرسِلَ بشيرا ونذيراً ..

ففى حديث عمّن خُصَّ بنهر الكوثر : « إن فى الجنة غُرَفاً من أصناف اللؤلؤ والجوهر » .

وفى حديث رواه حُفّاظ الأخبار وأربابُها : « **إن أدْنى أهلِ الجنةِ منزلاً مَن له دار من لؤلؤةٍ واحدةٍ منها غرفُها وأبوابُها** » .

وفى حديث أخرجه أبو نُعيم ذو الحفظ الأوفر : « **أنهار الجنة سائحة على وجه الأرض حافاتُها خيام اللؤلؤ وطينها المسك الأذفر** » .

وفى حديث عمّن جاء بهدم الطاغوت : « **الكوثر شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت** » .

وفى حديث فسرت به آية التحلية لمن يُعْرب : « **أن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها تضىء مابين المشرق والمغرب** » .

وفيما روى البخارى ومسلم ، وكفى بما روياه دليلا « **الخيمة درة مُجَوّفة طولها فى السماء ستون ميلا** » .

وقال مجاهد أحد علماء اللاهوت : « **الأرائك لؤلؤ وياقوت** »[٦] .

— **وقفة مع النص :** —

. (٦) ونُعِتُّ : وُصِفت .

من أرسل بشيرا ونذيرا : محمد ﷺ

عمن خُصّ بنهر الكوثر : النبى ﷺ ويدل عليه ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ .

« إن أدنى ..إلخ » جزء من حديث طويل رواه ابن مسعود ، وخرجه ابن أبى الدنيا والحاكم والطبرانى ، وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب .

«**أنهار الجنة....**» قال المنذرى بعد أن ساق الحديث بطوله : رواه ابن أبى الدنيا موقوفا ، ورواه غيره مرفوعا ، والموقوف أشبه بالصواب . وقد روى السيوطى فى الجامع **الصغير عن ابن حنبل والبخارى والترمذى والنسائى عن أنس بن مالك « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام من اللؤلؤ فضربت بيدى إلى مايجرى فيه الماء فإذا هو مسك أذفر ، فقلت : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاكه الله عز وجل فى الجنة »**

«**الكوثر شاطئاه**» ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ قال : هو نهر فى الجنة عمقه فى الأرض سبعون ألف فرسخ ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت خص الله به نبيه قبل الأنبياء .. رواه ابن أبى الدنيا موقوفا .

آية التحلية : لعلها ﴿ **يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا** ﴾ [٢٣/الحج] .

« **الخيمة درة مجوّفة** » ذكره المنذرى عن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ : « **إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا للمؤمن أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا** » رواه البخارى ومسلم والترمذى إلا أنه قال : «**عرضها ستون ميلا**» وهو رواية لهما .

[٧]

وفى أثر إسناده يُعَدّ فى الصّحاح : « **سماع أهل الجنة من أجَام قصب اللؤلؤ الرطب يدخل فيها الرياح** » .

وعن عِكْرِمة : « **ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها فى الأرض عُشبةً أو فى البحر لؤلؤةً أو دُرّة** » .

منافع اللؤلؤ :

وكَم فىّ من منفعة أودعها الرحمن :

- أقوى قلب الإنسان ، وأنفعُ من فزَع السوداء وخوفها ومن الخفقان .
- وأجلو الأسنان ، وأنفع من بياض العين ، وأجلو مافيها من الظُّلمة والوسخ والغين .
- وأشد عصبَها ، وأُجَفّف رطوبتَها ، وأُخَفّفُ وصَبَها وأحبسُ الدم ، وأُنَفّسُ الغَمّ .
- منافع صالحة لكل غادية ورائحة ، وتجارة رابحة لمن أراد حِلْيةً ودفع جائحة .

تشبيهات الشعراء باللؤلؤ :

- وتشبيهات الشعراء بى كالبحر طافحة ، قال الشاعر :

وعذّبنـــــى قضيبٌ فى كثـــيبٍ　　تَشَارك فيـه ليـــنٌ واندمـــاجُ
أغـــارُ إن دَنَتْ من فيــــه كأس　　على دُرٍّ يُقَابِلُـــــه زُجَـــاجُ

وقال الآخر :

يا حُسْنَ أشجـــــــــار لوزٍ　　تُسْقَـــــى بصوبِ الغمــــــائم
تناثَــــــر النّــــوْرُ مِنهــــا　　كالـــدُّرِّ فى كفٍّ ناظــــــم

وقال آخر :

ألا حَبَّـذا القِثّـاء أكــلاً وحبــذا
تَكَسُّبُـه لو كان يدخر من كسب
كأمثـالِ قُضْبـانِ الزبرجَـدِ أُودِعَت
لآلِئ لوزاتٍ من اللؤلـؤ الـرطْبِ[7]

وقفة مع النص :

(٧) قوله بعد فى الصحاح : الخ .. أورد ابن القيم فى حادى الأرواح فصلا تحت عنوان « ولهم سماع أعلى من هذا » ذكر فيه ثلاثة أحاديث منها هذا الحديث .

صوب : مطر ، والغمائم جمع غمامة : السحابة .

الزّمرد يتحدث عن مناقبه ومزاياه :

[٨]

وقال الزمرّد : الحمدُ لله الذى رفع لى قدرا ، وأسبغ عليّ الحُلّةَ الخضرا ، وكسا من لونى السماء ، وجعلنى أصفر من الماء .

● أبرى ألما ، وأشفى سَقَما ، وأحوز فى الفضيلة قسما .

● وكم ورد لى تذكار فى عدة من الأحاديث والأخبار : منها ما رواه البيهقى فى « شُعَب الإيمان » الجليل المقدار ، وعن أنس بن مالك أحد الأنصار عن النبى المصطفى المختار : « **من صام الأربعاء والخميس والجمعة بنى الله له قصرا فى الجنة من لؤلؤ وياقوت وزمرّد وكتب له براءة من النار** » ..

وفى حديث مرفوع ذكرا فى تفسير قوله تعالى :

﴿ **ومساكن طيّبة** ﴾ [٧٢/التوبة] المعَدّة ذُخرا ، قال : « **قصر من لؤلؤ فيه سبعون داراً من ياقوت ، فى كل دارٍ سبعون بيتاً من زُمُرّدَةٍ خضراء** » .

وفى حديث عن ابن عباس يُشْهَر :

« **نخلُ الجنة جِذعُها زمرّد أخضر** »(٨) .

وقفة مع النص :

(٨) الزمّرد : يتمتع الزمرد اليوم مع الياقوت بنفس المكانة لما يتسم به من الجمال واللون ، وتنسب بلورة الزمرد إلى النظام السداسى أى أنها ذات أضلاع أو زوايا ويعتبر من الجواهر الصلبة ، والزمرد العادى يكون غالبا أخضر باهتا . والزمرد أرقى أنواع أسرته ، وهو شفاف وله عدة ألوان تبدأ بالأخضر الزمردى لما فيه من آثار الكروم . [الأحجار الكريمة د. عبد الرحمن زكى] .

أبرى : أشفى ، وأبرئ .

وفى حديث مرفوع ، رواه الطبرانى والبيهقى بنحوه عن عمران بن حصين وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا : « سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى » ﴿ **ومساكن طيبة فى جنات عدن** ﴾ قال : « قصر فى الجنة ...... » إلخ — ذكره المنذرى — حديث ابن عباس ذكره المنذرى فى الترغيب . رواه ابن أبى الدنيا موقوفا بإسناد جيد ، والحاكم وقال : صحيح على

بقية الهامش رقم [٧] :

شرط مسلم .

[٩]

وفىّ منافع جليلة ، وخواصّ غير قليلة :

● أنفع من السمام ، ومن نهش الهوام .

● مَن سَحق منى وزن ثمان شُعَيْرات ، ولشارب السم سقاه ، خلصه من الموت ، ولم يسقط شعره ولا جلده ، وكان فيه شفاه .

● ومن أدمن إلىّ النظر ذهب عنه **كلال** البصر .

● ومن تقلدنى أو تختم بى أمن من الصرع أن يطرقه ؛ ولهذا أمرت الأطباء الملوك عند ولادة أولادهم أن تعلّقه .

● وأنفع من نزف الدم شُرِبْتُ أو عُلّقْت .

● وإذا نظرت إلىّ الأفاعى سالت عيونُها للوقت .

ما قيل فيه من الشعر :

● وقد شبهوا بى ما علا ذكره ، وغلا قدره ، فقال الشاعر :

ألم تَرَ أن جُنْـــدَ الـــوَرْدِ وافَـــى ... بصُفْـــرٍ مِن مطارِفِـــه وخُضْرِ

أتى مستلئمـــا بالشوك فيـــه ... نصالُ زُمـــرّدٍ وتـــراسُ تِبْـــرِ

وقال آخر :

انظُر إلى أحمر الصّفصافِ تحسَبُـــه ... بين الرياض إذا تلقـــاه مَمْطُـــوراً

حُمْـــرُ اليواقـــيتِ والأوراق بارزة ... زُمُـــرُّداً ونَـــداهُ الـــدُّرُّ مَنْثُورا(٩)

وقفة مع النص :

(٩) كلال : ضعف .

المطارف : جمع مُطرف : رداء أو ثوب من خزٍّ مربّع .

مستلئما : لبس ما عنده من عُدّه ، فمعه أشواكه التى تشبه نصالا من زمرد ، والنصل

بقية الهامش رقم [٩] :

حديدة الرمح والسهم والسكين : والتراس : جمع ترس وهو ما كان يتوقى به فى الحروب وقد اتخذ الورد لنفسه نصلا من زمرد ، وترسا من ذهب .

المَرْجان يتحدث عن خواصّه ومنافعه :

[١٠]

وقال المرجان :

الحمدُ لله الذى جعلنى بالحُلّة الحمرا ، ورفع لى فى كتابه العزيز ذِكْرا ، وكرر فيه التصريح باسمى كرّتين ، وذكرنى فى سورة الرحمن مرتين ، وشبه بى الحور ، وجعل معدنى فى البحور ، ومسكنى فى قلائد النحور ، فأنا ثالث اليواقيت المنصوصة فى الكتاب العزيز ، والمخصوصة بالفضل الذى يخدمه الذهب الإبريز ، ووردت الأحاديث بذكرى وفى ذلك تنويه بقدرى :

روينا فى حديث من الحِسان :

« دار المؤمن فى الجنة لؤلؤة وسطها شجرة تنبت الحلل ، يأخذ بأصبعيه سبعين حُلّة ممنطقة باللؤلؤ والمرجان » .

وفى حديث عن سيد ولد عدنان :

« فى الجنة نهر يقال له : (الريان) عليه مدينة من مَرجان لها سبعون ألف باب من ذهب وفضة لحامل القرآن »[١٠] .

وقفة مع النص :

(١٠) المرجان ـــ بفتح الميم – جنس حيوانات بحرية ثوابت من طائفة المرجانيات ، له هيكل وكلس أحمر يعد من الأحجار الكريمة ، ويكثر المرجان فى البحر الأحمر .

وفى التنزيل : ﴿ **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** ﴾ [٢٢/الرحمن] .

وقد كررت الكلمة فى الآية رقم ٥٨ ﴿ **كأنهن الياقوت والمرجان** ﴾ القلائد : جمع قلادة . والنحور : جمع نحر : موضع القلادة أسفل الرقبة من الأمام .

الإبريز : الخالص .

وكم أودع فىّ خالقى من نفع :

- فالاكتحال بى يصلح لوجع العين وللدمع .
- وفىّ تفريح لقلب الإنسان ، وتقوية للقلب من الخفقان ، وحبسٌ للدم فى كل عضوٍ من السيلان .
- وتقطيرى — مسحوقا — فى الآذان مذاباً بدهن بَلَسَان ، نافع من الطرش وأمان .
- وفىّ قبض وتجفيف ، وللرطوبات تنشيف .
- وإذا علقت فى عنق المصروع ، أو رجل المنقرس الموجوع نفعتهما أبلغ منفوع .
- وإذا شربتُ بالماء حللت ورم الطِّحال ، ووافقت من به عُسْرُ البول بكل حال .

ما قيل فىّ من شعر :

وقد شبه الشعراء بى كل حال ؛ فقال الشاعر :

أمـا ترى الـريحانَ أهـدى لنـا ... حماحما منـــه فأحيانـــا

تحسبـــه فى طلّـــه والنـــدى ... زمـــرّداً يحمـــل مرجانـــا

وقال الآخر :

انظـر إلى الروض البديع وحُسْنِه ... كالزهـــرِ بين مُنَظَّـــم ومُـــنَضَّدِ

والجلّنـارُ على الـغصونِ كأنـــه ... قِطَـــعٌ مِنَ المَرْجـانِ فوق زُمُـرّدِ

وقال الآخر :

هى كالـدُّرةِ المصونـــةِ حُسْنـــاً ... فى صفـاءِ الياقــوتِ والمَرجـــان

أو كبـيضاء من مُقَطّـــفِ ورْدٍ ... غُمِسَت فى شقائـق النعمـــانِ[١١]

وقفة مع النص :

(١١) بَلَسَان : شجر له زهر أبيض صغير كهيئة العناقيد ، وهو من الفصيلة البَخُورية ، ويستخرج من بعض أنواعه دهن عطر ينبت بعين شمس بظاهر القاهرة .

الحماحم : الحَبَق النبطى . وهو نبات طيب الرائحة .

بقية الهامش رقم [١١] :

الزمرّد : حجر كريم أخضر اللون . شديد الخضرة شفاف ، وأخضره أجوده ، وأصفاه جوهرا ، واحدته : زمردة .

منظم : متناسق على شكل واحد .

ومنضّد : مؤتلف منسق . ويقال : شجر نضيد : نضد بالورق والثمار من أسفله إلى أعلاه .

الجلنار : قال فى نهاية الأرب : هو زهر رمان برىّ فارسى أو مصرى قد يكون أحمر ، وقد يكون أبيض ، وقد يكون مورّداً .

وقال صاحب التاج : إن جلنار معرّب كلنار بالفارسية : كل أى ورد . ونار أى رمان.

شقائق النعمان : نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سود وله أنواع وضروب بعضها يزرع ، وبعضها ينبت بريًّا فى أواخر الشتاء وفى الربيع ، وهو عشب حولىّ من الفصيلة الشقيقية .

الزَّبَرْجَد يتحَدّث عن نفسه وخواصّه

[١٢]

وقال الزبرجد :

الحمدُ لله الذى جعلنى أنا والزمرد أخوين ، وأدرجنى فى سلكه على تعاقب **الملوين** ، وصرح باسمى فى الأحاديث والآثار ، وصح فى ذكرى عدة من الأخبار ، ففى حديث مرفوع مسند :

« **إن فى الجنة لعُمُداً من ياقوتٍ عليها غرف من زَبَرْجد** » .

وفى حديث مرفوع أيضا :

« **الغرفة ياقوته حمراء أو زبرجدة خضراء أو درة بيضا** »(١٢) .

وقفة مع النص :

(١٢) الزبرجد : حجر كريم يشبه الزمرد ، وهو ذو ألوان كثيرة . أشهرها الأخضر المصرى .

الملوين : الليل والنهار .

بقية الهامش رقم [١٢] :

إن فى الجنة .. إلخ .. ذكره السيوطى فى الجامع الصغير . ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة .

[١٣]

وفى حديث أودعه الطبرانى سِفْرا :

« من صام يوماً من رمضان فى إنصاتٍ وسكون بنى له بيت فى الجنة من ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضرا » .

ووردت أحاديث كثيرة فصلت بأن : أجنحة جبريل وقدميه بى كللت .

ولو لم يكن من الشرف ، وارتقائى إلى أعلى الغرف إلا خصلة واحدة ، لكانت لى شائدة ، بأسنى المقامات شاهدة ؛ وذلك أن خاتم المصطفى كان بى فصه ، وورد فىّ بذلك الحديث ونصه ، ولم يظفر بذلك شئ من أنواع الجواهر غيرى ، ولا سار أحد فى هذه الطريقة سيرى ، فمن ذا يساميني ، وقد لمست يد المصطفى ، ونقش فىّ اسمه ونعته : « **محمد رسول الله** » .

وحسبى بذلك شرفا وكفى !

ولما سقطت فى « بئر أريس » من يد « عثمان » هاجت الفتن وزال الأمان ، واقتتل بالسيوف أهل الإيمان ؛ وذلك أنه كان فىّ من السِّرّ نظير ما كان فى خاتم سليمان(١٣) .

وقفة مع النص :

(١٣) السفر : الكتاب

الحديث الذى أخرجاه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ : **« أتخذ خاتما من فضة ، ونقش عليه « محمد رسول الله » ولفظ البخارى .. « فيه »** .

وكذلك ماجاء عن ابن عمر قال : « اتخذ رسول الله ﷺ خاتما من وَرِق [فضة] وكان فى يده ، ثم كان فى يد أبى بكر من بعده ، ثم فى يد عمر ، نقشه : محمد رسول الله ثم كان بعد فى يد عثمان حتى وقع منه فى بئر أريس .

بقية الهامش رقم [١٣] :

وذكر ابن الجوزى فى كتابه : الوفا بأحوال المصطفى عن أنس قال : كان نقش خاتم الرسول ﷺ « محمد » سطر ، و« رسول » سطر ، و« الله » سطر ، وعنه أيضا .:. « **كان خاتم الرسول من ورق وكان فصه حبشيا** » .

[١٤]

ولكونى أنا والزمرد من جنس واحد اتحدنا فى المنافع والخواصّ والموارد .

ومما ذكر فى خواصّى بين الأنام :

- أنّ شربَ حكاكتى نافع من الجذام .

ما قاله الشعراء فيه :

وقد شبه بى الشعراء فى الأشعار ما أرادوا إعلاءه فى المقدار ؛ فقال الشاعر:

وكـــأن مُحْمَـــرّ الشقيـــق إذا تصوّب أو تصَعّـــــد
أعـــلامُ ياقـــوتٍ نُشِرْ نَ على رمـــاحٍ من زبرجَـــدْ

وقال الآخر :

والنرجسُ النضر الريانُ تحسبـه
وَسْنَى نواظِرِ مِنْ غِيدِ المها الحورِ
قُضُبِ الزبرجَدِ منه حُمّلَتْ حَدَقاً
مِنْ خالصِ التّبْرِ فى أجفان كافور

وقال الآخر :

وكـأن العِـذار فى صفحـة الخـــدّ على حُسْنِ خدِّك المنعـــوت[١٤]
صولجانٌ مِن الزَّبَرْجَـدِ مَعْطُـــو فٌ على أكـــرةٍ من الياقـــوتِ

وقال الآخر :

أما ترى النخل نثرت بلحاً جاء بشيراً بدَوْلَةِ الرّطَب
مَكَاحِلاً من زبرجدٍ خرطت مقمعاتِ الرءوس بالذّهبِ

وقفة مع النص :

(١٤) الشقيق : ورد أحمر وقد سبق .

تصوّب أو تصعد ، هبط أو علا مع النسيم .

وسنى نواظر : عيون يداعبها النوم . واعتراها الوَسَن ..

غيد : جمع غيداء وهى الفتاة الجميلة والمها بقر الوحش . تشبه بهن النساء فى سعة العيون .. والحور جمع حوراء .. وقد وعد المتقون بالحور العين فى الجنة .

العِذار : بكسر العين قال فى المعجم الوسيط : عذار الغلام : جانب لحيته . وما سال من اللجام على خد الفرس .

صولجان : عصاً يحملها الملك ترمز لسلطانه .

مكاحِلاً : جميع مُكْحُلة . ما يوضع فيها الكُحْلُ للعين

العقيق يتحدث عن خواصه ومنافعه

[١٥]

وقال العقيق :

الحمدُ لله الذى جعلنى من الجِلّة ، وكسانى أبهى حُلّه ، وخصنى بأحسن خَله .

وبارك فىّ للرفيق ، وقال فىّ الصادق المصدوق :

« أكبرُ خرز أهل الجنة العقيق »

وورد فى نفعى حديث يدفع ضيراً :

« من تختم بالعقيق لم يزل يرى خيرا »

وفى حديث يتدارك :

« تختموا بالعقيق ؛ فإنه مبارك

وفى حديث له فخر :

« تختموا بالعقيق فإنه ينفى الفقر »[١٥] .

وقفة مع النص :

(١٥) العقيق : حجر كريم أحمر يعمل منه الفصوص . يكون باليمن ، وبسواحل البحر المتوسط . واحدته عقيقة .

الجِلّة : بكسر الجيم جمع جليل : من عظم شأنه .

خَلة : صفة وميزة .

الحديث : ذكره المناوى تحت رقم ١٣٨٠ عن عائشة . لأبى نعيم فى الحلية (ض) بلفظ « أكثر » . أى هو أكثر حليهم الذى يحلّون به . ويحتمل أن المراد أنه أكثر خرزها الملقى فى عرصاتها بمنزلة الحصى والرمال فى الدنيا . وحكم ابن الجوزى بوضعه ، وقال السخاوى طرق العقيق كلها ضعيفة واهية .

[١٦]

وفى حديث مُسْنَد :

« من تختم بالعقيق لم يقض له إلا بالذى هو أسعد » .

وفى حديث له شان :

« من تختم بالعقيق وفق لكل خير وأحبّه الملكان »

● ومن خواصى بين الكرام أن من تختم بى سكنت روعته عند الخصام ، وانقطع عنه نزف الدم من أى موضع كان من الأجسام ، وخاصةً النساء اللواتى يدمنّ الطمث من الأرحام .

● ومن ذَلك بنُجاتتى ، أو حُراقتى أسنانه ذهب عنها الصدأ والحفر ، وأعانه ، وأمسكها عن التحرك وأثبت كل سن مكانه .

ما قاله الشعراء فيه :

ويا طول ما أكثر الشعر بى من التشبيه ، وأرادوا بذلك التعظيم لقدر المشبه بى والتنويه ؛ فقال الشاعر :

جوهــرىُّ الأوصافِ يَقْصُر عنــه كل وصفٍ وكــلُّ ذهــنٍ دقيــق

شاربٌ من زَبَرْجَدٍ وثنايــا لؤلــؤ فوقهــا فم من عقيـــق[١٦]

وقفة مع النص :

(١٦) المسند من الحديث : ما اتصل إسناده إلى النبى ﷺ .
« من تختّم بالعقيق .. إلخ » ذكر ابن القيم فى كتابه المنار المنيق تحت رقم ٢٩٧ أن أحاديث التختم بالعقيق قال العُقَيلى فيها : لا يثبت فى هذا شئ عن النبى ﷺ .

[١٧]

وقال الآخر :

انظُر إلى الجزَرَ الذى ... يَحْكى لنا لهَبَ الحريق
كَمِذَبَّةٍ مِن سُندُسٍ ... فيها نِصَابٌ من عَقيق
انظر إلى البُسْر إذ تبدّى ... ولونُه قد حكى الشقيقا
كأنما خُوصُه عليك ... زبرجدٌ مثمر عقيقا

وقال الآخر :

وقد بسط الربيع لنا بساطا ... بديع الوَشْى من نقشٍ أنيق
يلوح به من الخطْمىّ ورد ... كأقداحٍ خُرِطْن من العقيق

وقول الآخر :

وردٌ جنىّ أحمر اللون ناعمٌ ... بكفّ غزالٍ ساحرِ الطرف أغيدِ
توهّمته فى كفه إذْ بدا به ... صوانى عقيقٍ قُمّعت بزبرجَد

الفيروزج يختم الحديث

وقال **الفيروزج** :

الحمد لله الذى فضلنى بلونين ، وكسانى حُلّتين ، وجعلنى أدخل فى الكيمياء وفى أدوية العين ، وللطف ذاتى تطورت ، فإن صفا الجو صفا لونى ، وإن تكدّرَ تكدَّرْت ، وخصّنى بجبل نيسابور ، فلا أوجد فى غيره(١٧) .

وقفة مع النص :

(١٧) البُسْر : البلح قبل أن يصير رطبا .
الخطْمِىّ : نبات من الفصيلة الخبازية ، يدق ورقه يابساً ويجعل غِسْلاً للرأس فينقيه .

الجنىّ : ما جُنى لساعته .
الفيروزج : حجر كريم غير شفاف معروف بلونه الأزرق كلون السماء أو أميل إلى الخضرة يتحلى به .
ويقال لون فيروزى : أزرق إلى الخضرة قليلا .
نيسابور : فتحها المسلمون سنة ٣١ أيام عثمان بن عفان وخرج منها جماعة من العلماء وقال ابن حوقل : وليس بخُراسان مدينة أصح هواء ، وأكبر فضاء ، وأشد عمارة ، وأدوم تجارة ، وأكثر سابلة ، وأعظم قافلة من نيسابور .

[١٨]

فوائده :

● ومن شربنى مسحوقا ظفر من نفعى بخيره .

أنفعه من القروح العارضة فى الجوف ، ومن لسع العقارب الشديدة الخوف .

● وأنفع من غشاوة البصر المحدقة ، وأقبض نُتُوّ الحدقة ، وأجمع حجب العين المنخرقة .

ماذا قال الشعراء فيه ؟

ولى شبهت الشعرء ما استحسنوه ، وأسرّوه وأعلنوه ؛ فقال الشاعر :

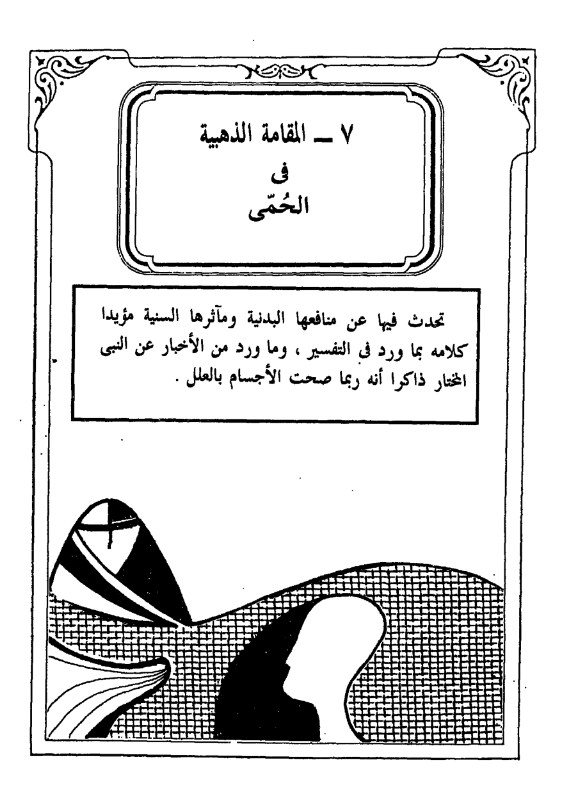
قل لمن عاب شامـــةً بمليـــح فَوْقَ فيـــه دع الملامـــة فيـــه
إنما الشامـــة التـــى قُلت عَيْبٌ فصّ فيروزج بخاتـــم فيـــه

وقال الآخر :

ما أحسن الكتـان حين تمايـلت أعطافـــه بزهـــوره وتموجـــا
فكأنـــه قضب الزبرجـــد أخضرا قد قمعـوا أطرافـه فيروزجـا(١٨)

وقفة مع النص :

(١٨) الشامة : علامة فى البدن يخالف لونها لون سائره .
فوق فيه : فوق فمه : وبين فيه وفيه جناس كامل .
أعطافه : جوانبه .



٧ ـ المقامة الذهبية
فى
الحُمّى

تحدث فيها عن منافعها البدنية ومآثرها السنية مؤيدا كلامه بما ورد فى التفسير ، وما ورد من الأخبار عن النبى المختار ذاكرا أنه ربما صحت الأجسام بالعلل .

المدخل إلى المقامة :

[١]

قال الله تعالى فى كتابه العزيز ــ وكفى به حكماً عدلا مرضيًّا : ﴿ **وإنْ منكم إلا واردُها كان على ربك حتما مقضيّا** ﴾ [٧١/مريم] روى ابن أبى حاتم والبيهقى عن مجاهد أحد **البحور الزاخرة** أنه قال فى تفسير الآية :

« **الحُمَّى فى الدنيا حفظ المؤمِنِ مِنَ الوُرودِ فى الآخرة** » .

وورد فى عدة من الأخبار عن النبى المختار أنه قال :

« **الحُمّي كِيرٌ من جهنم ، فما أصاب المؤمنَ منها كان حظه من النار** » .

فسبحان من لطف بعباده ، وهدَى عبدَه المؤمنَ إلى رشاده ، وقرّبه من إبعاده ؛ ليفوز بإسعاده ، وصالحه بأمراض الدنيا عن **إضرام** جهنم فى **معاده** .

وعجّل له اليَسير من الجزاء ليحميه من العقوبة الشديدة ، ونجّاه من دسيسة الشيطان ؛ ليسلك به الطرائق السّديدة ، ويحثه على **الخلائق** المديحة الحميدة ، وتفقّده فى كُلّ برهة بقليل من أَلَمٍ ؛ ليكون رهبة و**نزهة** عما اقترفَ وأَلَمّ[1] .

وقفة مع النص :

هوامش المقامة الذهبية

(١) أحد البحور الزاخرة : المليئة بالعلم .

الحمى كِيرٌ : قال العجلونى فى كشف الخفاء : ورواه أحمد عن أبى أمامة ــ كما فى الجامع الصغير بلفظ « **الحمى كِيرٌ من جهنم وهى نصيب المؤمن من النار** » .

إضرام : التهاب واشتعال ، ومعاده : رجعته وعودته مبعوثا إلى ربه .

الخلائق : جمع خليقة . الخُلق والصفات .

نزهة : تنزيها وإبعادا وتطهيرا . **واقترف** : ارتكب ، **وألم** : فعل . وبين ألم ، وألمّ جناس ناقص . فالأولى اسم للتعب والثانية فعل ماض من الإلمام .

[٢]

وماذاك إلا ببركة سيد الأكوان ﷺ وعلى الآل والأصحاب والأنصار والأعوان .

أنزل الحمّى فى أول الزمان لِيُذِلّ بها الأسد ، ثم جعلها سجنا فى الأرض لتُصلح من بدن المؤمن ما فسد .

جُعِلت كفارةً وطَهُوراً من الذنوب ، وتذكرة للمؤمن بنار جهنمَ كى يتوب .

وهى أوفى الأمراض فيما يعده المؤمن لذُخره ، وأوفى الأعراض فيما يعتده ، وأقوى لمحو وزره ؛ لأنها تعطى كل عضو **قسطه** من أجره .

وقد ورد فى بعض الأحاديث :

« إن الحمّى شهادة »

وبذلك يحصُل المؤمن منها على الحسنى وزيادة .

وهى « المكْنِيّةُ » . « أم مِلْدَم » تبرى اللحم ، وتمصّ الدم .

وقد جاءت إلى خدمة النبى ﷺ ، واستأذنت بالباب ، وهى واقفة لديه ، وسألته أن يبعثها إلى أحب قومه إليه ، فبعثها إلى الأنصار ؛ لأنهم ذووَ النُّهى ، وأولو الأبصار ، لتكون وقاء لهم من **الران** والنار[٢] .

وقفة مع النص :

(٢) كفارة من الذنوب : فقد ورد : « **الحمى تحت الخطايا كما تحت الشجرة ورقها** » رواه ابن نافع عن أسد بن كرز ، وورد « **حمى يوم كفارة سنة** » قال فى المقاصد : رواه القُضاعى فى مسنده عن ابن مسعود بلفظ « **وحمى ليلة تكفر خطايا سنة ..** » وله شواهد كثيرة يقوى بعضها بعضا .

قسطه : نصيبه .

قال ابن قيم الجوزية : إن الحمى تدخل فى كل الأعضاء والمفاصل وعدتها ثلثمائة وستون مفصلا ، فتكفر عنه – بعدد كل مفصل – ذنوب يوم ، مصداقا لما ورد فى أثر رواه القضاعى عن ابن مسعود وضعف بعض رواته « **حمى يوم كفارة سنة** » [الجامع الصغير ٣ : ٤٢١] .

بقية الهامش رقم [٢] :

وقال أبو هريرة : « مامن مرض يصيبنى أحب إلىّ من الحُمّى ؛ لأنها تدخل فى كل عضو منى ، وأن الله سبحانه معطى كل عضو حظه من الأجر » .

الأعراض : جمع عرَض : ما يطرأ ويزول من مرض ، وفى الطب : ما يحسه المريض من الظواهر الدالة على المرض .

« أمُّ مِلْدَم » — بكسر الميم — يقال : ألدمت عليه الحمى : دامت .

النُّهى : جمع نُهية وهى العقل .

واستأذنت بالباب : أورد المنذرى الحديث بطوله عن جابر . وقال : رواه أحمد ورواته رواة الصحيح ، وأبو يعلى ، وابن حبان فى صحيحه ، ورواه الطبرانى بنحوه من حديث سلمان وقال فيه : « **فشكوا الحمى إلى رسول الله** ﷺ ...الخ الحديث » .

الران : الذنب على الذنب حتى يسودّ القلب .

[٣]

ويكفى فى فضلها قول النبى عليه أفضل الصلاة والسلام :

« **أتانى جبريل بالحمى والطاعون ، فأمسكت الحمى بالمدينة ، وأرسلت الطاعون إلى الشام** » .

وأعظم من ذلك عند من نزلت به ، وأقر للعين ، وأرق للغين ، وأبعد من الأين والبين والحين والرين .

أنه ﷺ : « **كان يوعك كم يُوعَك رجُلان** » ، لأن له أجرين فلا جرم أن حاز صاحبهُما شرفًا ، **ورفّ** ظلها الوارفُ عليه حين رفّ ، ولم شعثَه **ورَفًا** ، وأيقن منهما بفرج شَفًا ، لا بشفا جُرُفٍ ؛ يُوعدت جُرُفا .

وانتشق من عزف عرق غرف غرق طفّ وطفا فى رحمة الله وشفاعة النبى المصطفى .

ونغير الأسلوب ونقول :

وانتشق من غرق عرق عزف غرف ناهيك بها غرفا .

وابتسق زهو أجره مما قطر منه وكفى .

وانتسق فى سلك الصالحين وحسبه ذلك وكفى[٣] .

وقفة مع النص :

(٣) « أتانى جبريل .. إلخ » أورده السيوطى فى الجامع الصغير وذكره العلامة المناوى فى فتح القدير تحت رقم ٧٦ جزء أول . وبقيته : « **فالطاعون شهادة لأمتى ورحمة لهم ، ورجس على الكافرين » قال ابن حجر : هذا يدل على أنه اختارها على الطاعون ، وأقرها بالمدينة ثم دعا الله فنقلها بالجحفة كما فى الصحيحين ، وبقى منها بقية . [ابن سعد فى الطبقات والطبرانى ، والحاكم فى الكنى ، والبغوى ، والماوردى ، وأبو نعيم وابن عساكر وأحمد فى مسنده قال الهيتمى : رجاله ثقات ولذلك رمز المؤلف لصحته.**

« إنى أوعك... » الحديث ذكره المنذرى ورواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود قال : « دخلت على النبى ﷺ فمسسته ، فقلت : يارسول الله ، إنك توعك وعكا شديدا فقال : أجل : « إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم » قلت : ذلك بأن لكم أجرين . قال : أجل . **مامن مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته ، كما تحت الشجرة ورقها » .**

الوعك : هو الحمّى . وقيل : ألمها ، ويقول ابن الأثير : قد تكرر ذكر الوعك فى الحديث .

رقّ ظلها حين رف : رف : تحرك حين رقّ : يقال أخذته الحمى رِفًّا : كل يوم . الوارف : الطويل الممتد المتسع . ورفا الثوب : أصلحه وضم بعضه إلى بعض . ويقال : رفا فلانا : أزال فزعه وسكنه من الرعب .

بفرج شفا : أى حمل معه الشفاء مما به . لابشفا جُرف بُوعدت جُرفًا : الجرُف (الجُرْف) : شق الوادى إذا حفر الماء فى أسفله ، والشفا من كل شئ : حرفه ، والمقصود : الهلاك بوعدت جرفا : دعا عليها ألا تكون .. كما نقول : كفاك الله شرها . ولا قدر الله . وهو هنا يلعب بالألفاظ فبين فرج شفا . وشفا جرف ، جناس وهو لون من ألوان المحسنات البديعة .

(انتشق) الماء وغيره : جذب منه بالنفس فى أنفه . وتنشق الرائحة شمها . وكذلك انتشق .

ابتسق زهو أجره : علا ذكره فى الفضل بسبب ما قطر منه من عرق الحمّى .

انتسق فى سلك الصالحين : انتظم .. وأصبح واحدا منهم .

[٤]

وقد صح النهى عن سبّ الحمى لما فيها من المزيد ؛ فإنها تذهب خطايا بنى آدم كما يُذهِب الكِير خبثَ الحديد .

وفى حديث رواه من شمّر فى طلب العُلا ذيلَه :

« إن الله لَيُكَفِّر عن المؤمن خطاياه بحُمّى ليله » .

وفى أثر رواه بعضهم وحسّنه :

« إن حُمّى ليلة كفارة سنة »

فيالَها من حسنه ، الناسُ منها فى سِنه .

منافعها ومآثرها وخواصها :

ولها منافع دَنِيّة ، ومآثر سَنِيّة غير دنيّة .

● وذلك أنها تنقى البدن ، وتنفى عنه الأَفَن والعَفَن ، رُبّ سقم فى البدن أزلى ، ومرض عولج منه زمانا وهو ممتلى ، فلما طرأت عليه أبرأته فإذا هو مُنجلى ، « وربما صحت الأجساد بالعلل ! » .

● وقال بعض الأطباء فى حِكَمه الكافية :

كثير من الأمراض يُستَبْشَر فيها بالحمى ، كما يستبشر المريض بالعافية(٤) .

وقفة مع النص :

(٤) صح النهى عن سبها : فى السنن من حديث أبى هريرة ، قال :

ذكرت الحمّى عند رسول الله ﷺ فسبها رجل ، فقال رسول الله ﷺ : « **لاتسبها ؛ فإنها تنفى الذنوب كما تنفى النار خبث الحديد** » . فى الزوائد : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات . سنن ابن ماجه ٢ : ١١٥٠ .

ورو مسلم حديثا عن جابر نهى فيه رسول الله ﷺ أم السائب أو أم المسيب عن سب الحمى . وذكرهُ المنذرى « برقم ٦٧ » .

والكير : آلة نفخ النار عند الحداد . والخبث : الصدأ ، وما علق بالحديد .

«**إن الله .. إلخ**» عن الحسن رفعه . رواه ابن أبى الدنيا وهو من جيد الحديث ـــ كما

بقية الهامش رقم [٤] :

قال ابن المبارك .

«حمى ليلة الخ ..» رواه ابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء موقوفا بلفظ «حمى ليلة كفارة سنة » ولابن أبي الدنيا عن الحسن مرسلا رفعه : « إن الله ليكفر عن المؤمن خطاياه كلها بحمى ليلة » وقال ابن المبارك عقب روايته له : إنه من جيد الحديث .

فى سِنة : بكسر السين : غفلة .

دنية : قريبة . وسنية : شريفة ، غير دنية : غير حقيرة . والمآثر : جمع مأثرة وهى الصفة الحميدة . الأفن : ضعف الرأى ونقص العقل ، فالعقل السليم فى الجسم السليم ، وتنفيه : أى تبعده وتزيله .

مُنجلى : راحل ، ومفارق للجسم ، وصحتها نحويا : مُنْجلٍ . ولكن روعيت الفاصلة قبلها : ممتلى التى جاءت مخففة الهمزة : ممتلئ .

[٥]

● وذكروا أنها تفتح كثيرا من السدد ، وتنضج من المواد والأخلاط ما فسد .

● وتنفع من الفالج و« اللّقوة » ، والتشنج الامتلائى والرمد .

● وقد أمر فيها بالصدقة والرّقْية ، وفيهما أىّ بلاغ وبقية .

قال خير من جاء بالصّدق وصدّقه :

« مُرُوا أبا ثابت فليتصدّق » ، « داووا مرضاكم بالصدقة » .

للحفظ منها :

[١] فعليك فيها بالرُّقى والقِرى تحظ منها بالرّفا بلا مِرا .

● ومن رَقَاها بما رَقى به الأمينُ جبريل ، خيرَ نَبيٍّ جاءه الوحى من الله والتنزيل :

بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يُؤذيك

وما دعا به النبىّ ﷺ لمن وجد نصَبها :

« اللهّم أذهب عنه حرّها وبردَها ووصَبَها »[٥] .

[٢] ويقول صاحبها كما ورد فى صحيح الأخبار :

بسم الله الكبير

نعوذُ باللهِ العظيم من شرِّ كل عِرْقٍ نعّار ، ومن شرِ حَرِّ النار[٥] .

وقفة مع النص :

(٥) السّدد : (فى الطب) جُلطة دموية ، أو كتلة من البكتريا ، أو جسم غريب آخر يسد وعاءً دمويا .

وأخلاط الإنسان (فى الطب القديم) : أمزجته الأربعة ، وهى : الصفراء ، والبلغم ، والدم ، والسوداء .

الفالج : شلل يصيب أحد شقى الجسم طولا .

اللقوة : داء يعرض للوجه يعوج منه الشدق .

التشنج : (فى الطب) تقبض عضلى غير إرادى .

البلاغ : ما يُتبلّغ به إلى الغاية . ويقال : فى هذا الأمر بلاغ : كفاية .

والبُقية : الإبقاء على الشيء . وكذا البُقْيا .

٦ **داوُوا مرضاكم .. الخ** » ذكره العجلونى تحت رقم ١٢٨٥ وقال : رواه الطبرانى عن أبى أمامة والديلمى عن ابن عمر بزيادة « **فإنها تدفع عنكم الأمراض** » . وذكره تحت رقم ١١٤٨ بلفظ : « **حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداوُوا مرضاكم بالصدقة ، وأعدوا للبلاء الدعاء** » . قال ابن الغرس : ضعيف لكن ورد له شواهد ، وقال فى المقاصد : رواه الطبرانى وابو نعيم ، والعسكرى والقضاعى عن ابن مسعود مرفوعا .

القِرى : بكسر القاف : طعام الضيف . الرّفا : رغد العيش وسعة الرزق والسلامة بلا مِرا : أى بلا مراء وبلاشك . وبلا جدال .

الوصب : التعب . والوجع والمرض والجمع : أوصاب .

[٦]

وتواتر الأمرُ بإبرادِها بالماء :

وأصَحُّ كيفياته : أن يُرش بين الصدر والجيب كما فعلته « أسماء » ؛ فإنها أخت أم المؤمنين ، وممن كان يلازم بيت سيد المرسلين ، ولها الأصل العريق ، وأبوها أبو بكر الصّدّيق ، وهى راوية الحديث والخبر ، وتفسير الراوى مقدّم على غيره ؛ لأنه أعرف

وأصدق وأبر .

● ومن الخواص التى ذكرها من ائتسر :

ذبابُ الْماء يُعْقَدُ فى خيط عِهْنٍ ، ويُشَدّ فى العَضُدِ الأيسر .

● ومما ينفع تعليقه : السّمَك الرّعّاد .

وعظمةُ جناح الديك اليُمنى .

والطويل العنق من الجراد[٦]

وقفة مع النص :

(٦) **وتواتر الأمر** بإبرادها بالماء : رواه جمع عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب . فقد روى البخارى وأحمد عن ابن عباس « **الحمى من فيح جهنم ؛ فأبردوها بالماء** » . وهما ومسلم والنسائى وابن ماجه عن ابن عمر ، والشيخان والترمذى عن عائشة ورافع بن خديج ، وهؤلاء وأحمد عن أسماء .

أسماء : بنت أبى بكر (ت ٧٣هـ/ ٦٩٢ م) صحابية من السابقات إلى الإسلام ، أخت عائشة ، وأم عبد الله بن الزبير ، لقبت « ذات النطاقين » .

من ائتسر : وقع فى قبضتها وإسارها ، وأصيب بها والمقصود (المجرّبة) .

خيط عهن : الصوف .

الذباب : اسم يطلق على كثير من الحشرات المجنحة : منها الذبابة المنزلية ، وذبابة الخيل ، وذبابة الفاكهة ، وذبابة اللحم ، وذباب الماء .

[٧]

وورد **الحث** فيها على الاكتتام ، كما ورد فى سائر الأسقام . « وأن من كتم حُمّى يوم كتب له براءة من النار ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وستر عليه الستار » .

ولوفور مغاليها لمغاليها ، وقور معانيها عند معانيها ، رغب جماعة من السلف فيها ، ودعت طائفة من الصحابة بملازمة الحمّى لها إلى **توفيها** ، وتلقوا **نشرها** بالنشر والطىّ ، وعَدُّوا لام **لَدْمِها** رافعة وإن كانت لام كى .

وممن دعا بذلك سعد بن **معاذ وأبىّ** .

وقد قال بعض من اقتفى آثارهم ، وتدثر دثارهم :

زارت مُمَحِّصَةُ الذّنوبِ لصَبِّهـا
أهــلاً بها مِنْ زائــرٍ ومُـــوَدِّعِ
قالت ـــ وقد عَزَمَتْ على تِرحالهاـــ:
ماذا تريد ؟ فقلت : ألا تُقْلِعى ![7]

وقفة مع النص :

(٧) الحث على الاكتتام : روى الطبرانى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ **« من أصيب بمصيبة بماله أو فى نفسه فكتمها ، ولم يشكها إلى الناس ، كان حقًّا على الله أن يغفر له »** ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب .

رغب جماعة من السلف فيها : ذكر المنذرى عن محمد بن معاذ بن أُبَىّ بن كعب عن أبيه عن جده قال : « اللهم إنى أسألك حُمَّى لا تمنعنى خروجاً فى سبيلك ، ولا خروجاً إلى بيتك ، ولا مسجد نبيك » قال : فلم يُمْسِ أُبَىّ قَطُّ إلا وبه حُمَّى ، رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ، وسنده لا بأس به . [محمد وأبوه ذكرهما ابن حبان فى الثقات] .

تَوَفّيها : إلى حين يتوفاها الله ويقبضها قبضة الموت .

نشّرها : انتشارها ، والمقصود تلقّوها بالصبر والكتمان لما فى ذلك من عظيم الأجر . وفى العبارة تورية ، فقد استخدم مصطلحا بديعيا هو « اللف والنشر » .

وعدوا لام لدمها : يعنى أولها ، واللدم : الضرب ، وألدمت عليه الحمى : دامت .

لام رفع : أى أنها ترفع الدرجات وتحط عنه السيئات ، وإن كانت لام كى أى تصيب الجسم بمكروه .

وقد استخدم التورية بذكر مصطلح نحوى ؛ فلام كى تَنْصِبُ المضارع .

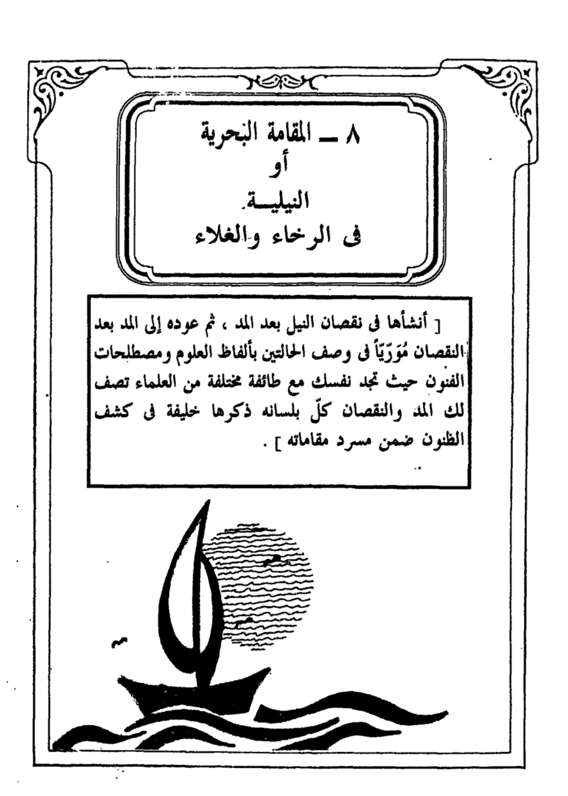
اقتفى أثرهم : سار على نهجهم ، وتدثر دثارهم : تزيا بزيّهم وقلدهم .

ممحصة الذنوب : مطهرة الذنوب . والصب : العاشق . والبيتان عدلهما ابن القيم حين ذكرهما وهو محموم . فأبى أن يقول مع الشاعر :

تبا لها من زائر !

لكيلا يسب مانهى الرسول ﷺ عن سبه .

ألا تقلعى : ألا تفارقى البدن .



٨ ـ المقامة البحرية
أو
النيليـة
فى الرخاء والغلاء

[أنشأها فى نقصان النيل بعد المد ، ثم عوده إلى المد بعد النقصان مُوَرّياً فى وصف الحالتين بألفاظ العلوم ومصطلحات الفنون حيث تجد نفسك مع طائفة مختلفة من العلماء تصف لك المد والنقصان كلّ بلسانه ذكرها خليفة فى كشف الظنون ضمن مسرد مقاماته] .

مدخل المقامة :

[١]

قال تعالى : ﴿ **وهو الذى ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد** ﴾ [٢٨/الشورى] :

سنة ٨٩٧ كان وفاء للنيل :

لما كانت سنة سبع وتسعين وثمانمائة أوفى النيل فى منتصف مِسرى ، وسارت به فى البلاد رسائلُ البشرى ، وأرسلت منه نعم الله على العباد **تترى** ، ورأوا فيه من آياته الكبرى ، وحمدوه ـــ وإن كانوا عاجزين عن القيام بحقه ـــ شكرا .

ومازال بحرُه البسيط المديد ، يروى عن ثابت ويزيد ، إلى أن زاد من الذراع الثامن عشر سبعة عشر إصبعا ، وذلك إلى الثانى والعشرين من مسرى الموافق ليوم الأربعاء .

والناس من شأنه فى أمان ، ومن رخاء السعر فى اطمئنان ، قد انحلت عرى الأسعار ، وتناشدت فى ذلك من الأدباء الأشعار ، وذهب العار والشنار ، وصار القمح كل ثلاثة أرادب بدينار[1] .

وقفة مع النص :

(١) تترى : يقال جاء القوم تترى : أى متواترين متتابعين . والمراد : متتابعة بعضها فى إثر بعض .

بحره البسيط : المنبسط الممتد من الجنوب إلى الشمال بالخير . والبحر البسيط عند العروضيين : أحد بحور الشعر الكثيرة الشيوع قديما وحديثا ويؤسس الشطر منه على النحو التالى :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن .

والبحر المديد ـــ أيضا ـــ بحر من بحور الشعر وزنه : فاعلاتن فاعلاتن . مرتين .

يروى عن ثابت ويزيد : روايان من رواة الحديث . والمراد يروى بمائه عن أصل ثابت ويزيد فى عطائه .

بقية الهامش رقم [١] :

كان عمود المقياس فى عهد الحملة الفرنسية مقسما إلى ١٦ ذراعا الست السفلى غير مقسمة ، والعشر العليا مقسمة ، وقد ركب عليه عمود آخر ارتفاعه ذراع وإصبعان ، وكان تاج العمود ذراعا وأربع أصابع ، فقسم تاج العمود والعمود الآخر المركب فوقه إلى أذرع وأصابع فبلغ ١٨ ذراعا ، و٦ أصابع ، وبذا تسنى معرفة الفيضانات المفرطة .

انحلت عرى الأسعار : كناية عن الرخاء . والعرى جمع يشهدها الزرار ، ويحل منها .

الشنار : كل ما هو مشهور بالشُنعة والقبح ، ويقال : عار وشنار .

[٢]

توقف المد بعد وفاء ! وبدء النقص بعد ازدياد !!

فوقف مد النيل عن الامتداد ، وبدأ فيه النقص بعد الازدياد ! فانتظر الناسُ أوبته ، وترقبوا منه أن يوفى من الزيادة نوبته ، فاستمر على الوقوف ، وانكشف لنقصة السواحل **والجُروف** ، وانكسف بدره الطالع بما رقم موجه على الأرض من الحروف ، وتمثل أرباب الأراضى والمزارع ، وأصحاب المراعى ، والمراتع ، والمرابع .

وأصبحتْ مِن ليلى الغداةَ كقابضٍ على الماء خانتـه فروجُ الأصابـع

لا تفتح ترعة لجرى الماء منها إلا وقف ، ولا يُحسر بجمر لنقى الأكف ، وما وكف يكف .

وسكت المنادى بزيادته ألفا ، ونطق خَلْفا ، وصارت الروضة النضرة بعد تلك الخضرة موردة الحَلْفا ، وصُبّ الْيَاسُ على أهل المِقياس ، وصارت دار النحاس أنحس دار ، وجاءت الأقدار على أهل مصر بالأكْدار(٢) .

وقفة مع النص :

(٢) الجروف : جمع جُرف . وهو شق الوادى إذا حفر الماء فى أسفله . وفى الكتاب العزيز ﴿ **على شفا جُرف** ﴾ وجمعه أجراف وجُروف .

المراتع : جمع مرتع . وهو الموضع الذى ترتع فيه الماشية .

بقية الهامش رقم [٢] :

المرابع : جمع مَرْبع ، وهو الموضع يقام فيه زمن الربيع . ويقول شاعرنا : خضر مرابعنا .

فى مخطوط لابن رضوان نراه يقرن بحال النيل بالكواكب ومنازلها فيقول : إن خسوف القمر فى أحد بروج الأمطار الخمسة فى أيام الزيادة خصوصا فى مسرى يدل على نقص النيل .

وكف الماء : سال وقطر قليلا قليلا .

يكفّ : عن السيل .

كان ينادى على زيادة النيل كل يوم ، ويرجح أن الإعلان اليومى كان يذاع فى المسجد الجامع .

الخُلْف : اسم من الإخلاف . والخَلْف : الردىء من القول ، وفى المثل : « سكت ألفاً ونطق خَلْفًا » يضرب للرجل يطيل الصمت فإذا تكلم تكلم بالخطأ .

الحلفا : هى الحلفاء . نبات طفيلى ينبت بجوار الجسور وعلى الشواطىء فيتكاثر .

فى ترجمة لأحمد بن إسماعيل النحاس النحوى عن سبب وفاته أن شخصا رآه جالساً على سلم المقياس يقرض شعرا . فظنه يسحر النيل حتى لا يزيد فدفعه فى النيل فغرق .

[٣]

وقيل : ياأرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى ! ويازيادة النيل من حيث جئت فارجعى .

وغيض الماء ، وانقشعت السماء ، وقضى الأمر ! واستوت القلوب على أحرّ من الجمر !

فحينئذ ماج الناسُ موجا ، وارتقى سعر القمح وغيره من الحبوب أوْجًا .

وازدحمت حلقتا البطان بأقوام وصارت نفوسهم جزعا

وأصبحوا فى أمرهم حيارى !

وانهمك على شراء القمح المسلمون واليهود والنصارى !

وترى الناس سُكارَىٰ وما هم بسُكارىٰ !

كأنما قامت عليهم القيامة ، أو سقطت عليهم الغمامةُ .

وكل من ورد البحر وصدر يقول : ياالله السلامة !

ودعا بعض الناس على بعض بالملامة ، وعض المتأخر ــ عن شراء القوت ــ على يدية من الندامة !

وأنشد لِسَانُ الحال فى المقامة :

وربما فات قومــاً جُلّ أمرهــم .·. من التأنى وكان الحزم لو عجلوا[3]

وقفة مع النص :

(٣) **الأوج** : العلو والارتفاع .

البطان : حزام يشد على البطن . ويقال : فلان عريض البطان : رخى البال . وازدحام الحلقات كناية عن خلو البطون .

جزعا : غير صابرة على ما نزل بها .

ورد : أتى . صدر : عاد ورجع .

جُلّ : معظم .

[٤]

وتذكر الناس ما يحكى عن الإمامين :

وذلك أن مالكاً أوصى الشافعىَ إذا سكن مصر بادخار قوت عامين .

ونسوا ما تقدم فى هذا العام من هول الطاعون ، وذهلوا عما رآه لهم الواعون ؛ وذلك لما عندهم من حرارة الغلاء المتقدم من أَمَم ، وما قاسوه فيه من الشدائد ، وما بالعهد من قِدم ، فخشوا عود مثل ذلك ، وهابوا حُلول تلك المهالك . وكاد أن يجف الخليج ، وصار الناس فى أمر مَريج ، وقالوا : قد شرقت البلاد ، وغربت العباد ، وشرقت الصدور حين شرقت ، وأظلمت الأبصار والبصائر وما أشرقت .

وتوهج فى قلوب الناس الحريق ، وكبروا ولا ينكر التكبير أيام التشريق .

وألقى فى نفوسهم الرعب والرغب ، وأشربوا فى قلوبهم من الحب الحب .
وخلا البرّ من البُرّ ، وصار أعزّ فى الوجود من الدّر[٤] !

وقفة مع النص :

(٤) أَمَم : القرب يقال : أخذته من أمم : من كثب .
أمر مَرِيج : مضطرب قلق . وفى التنزيل : ﴿ **فهم فى أمر مريج** ﴾
شرّقت البلاد : أجدبت . وشرّقت الأرض : منع عنها الماء حتى اشتد جفافها .
وغربت العباد : صاروا كالغرباء .
شَرِقَت الصدور : غُصّت .
شرقت الأرض : جفت من عدم الرّىّ .
أيام التشريق : ثلاثة أيام بعد عيد الأضحى ، لأن لحوم الأضاحى تُشرّق فيها . ويقصد بالتشريق هنا .. أيام الجفاف .
الرّعب : الخوف والفزع . والرُّغْب : اشتداد النهم
الحُبّ : الوُد ، وهو أيضا وعاء الماء كالزير والجرة .
البَرّ : مقابل البحر . البُرّ : القمح .

[٥]

ووزنه الوزّان ، وخزنه الخزان ، وتوقدت الأحزان . **وقالوا** : هذه أيام التشريق لكن بغير عيد ، وهذا السعر هو الطالع ، لكنه غير سعيد .

وجاعتِ الأنفُس بعد أن كانت شبعى ، وأصبح كل فى شراء القوت كأنه حية تسعى .

وبذلوا فيه الذهب والمرجان ، وتَدَكْدَكَ عليهم من الزحمة أمم كأنهم جان ، وباع من لم يجد نقده لشرائه أعز ما عنده .

وقال المقرى :

ما هذا التعسير بعد التيسير ؟!

وما لنا عُدنا نروى عن « قُلّ بن قُلّ » بعد أن كنا نروى عن ابن كثير ؟!
ما هذا إلاأمر مُهِم، وخطب مُلِمّ ، ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم .

وقال المحَدّث :

هذا خبر **معضل** ، عوقب به من ضل . أجزعتم مما سَبق إليكم ؟! إنما هى أعمالكم تُرَدّ إليكم[٥] !

وقفة مع النص :

(٥) تدكدكت : تجمعت .
قُلّ بن قُلّ : لا يعرف هو ولا أبوه .
ابن كثير : ليس هو الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقىّ المتوفى سنة ٧٧٤ هـ . وإنما هو عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة وإليه انتهت رياسة القراء .
والمراد : أننا صرنا لا نجد ما نرتوى منه بعد أن كان الماء يتدفق بكثرة .
خبر مُعضِل : شديد مستغلق . والمعضل عِنْد المحدّثين : ماسقط من وسط إسناده اثنان أو أكثر على التوالى .

[٦]

وقال الفقيه :

قد شرقت كل نجوه ، وضاقت كل فجوه ، وهذا زمان تأسيس مد قمح لا قاعدة مدعجوه .

وقال الفرضى :

قد تكدرت المهاياه ، وتنكرت المغاياه ، ووقع **العول** ، ونقص الطول ، وكثر القول ، وقل النول ، وعظم الهول فلا حول[٦] .

وقفة مع النص :

(٦) النجوة : المرتفع من الأرض .

مُدّقمح : مكيال قديم اختلف الفقهاء فى تقديره بالكيل المصرى ؛ فقدره الشافعية بنصف قدح ، وقدره المالكية بنحو ذلك ، وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز ، وعند أهل العراق رطلان .

تأسيس مُدّ قمح لا قاعدة مُدّ عجوة : يشير إلى قاعدة فقهية وهى : التأسيس أولى من التأكيد . وبمعناه قولهم : الإفادة خير من الإعادة . أى أنهم فى حاجة إلى الضروريات قبل الكماليات ممثلة فى العجوة .

الفرضى : المشتغل بالميراث .

العول : الميل والجور ، ويستعمل بمعنى الغلبة . يقال : عيل صبره : أى غلب .

وعند **الفرضيين** : زيادة فى السهام المفروضة ، ونقص فى أنصباء الورثة . فقد يحدث أن تزيد السهام المفروضة زيادة تستغرق جميع التركة . وهذا يؤدى إلى حرمان بعض أصحاب الفروض من الميراث .

وتهايأ **القوم** تهايؤا ، وهايأته مهايأة وقد تبدل للتخفيف ، أى جعلت له نوبة .

والمغاياة : المشاركة فى الغاية . والحول : القوة . ويطلق على العام . والطول : الإفضال .

وقال بعض الفقهاء : طول الحرة ما فضل عن كفايته وكفى صرفه إلى مؤن نكاحه .

[٧]

وقال الأصولى :

قد ضاق النطاق ، وجاء تكليف مالا يطاق .

وقال الجدلى :

هذا البيع فى الصورة مصابرة ، وفى المعنى مصادرة .

وقال الصوفى :

لو اتقيتم الله لانزاح عنكم الضير ، ولو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير .

كيف أصبح النحوى ؟

وأصبح النحوى يلتقط الحب كأنه ابن عصفور .
ويقول : السعر ممدود ، والمال مقصور .
وأنا وكتبى للبيع جار ومجرور .
وقد كسر بَاب الإنافة ، ورفع باب الإضافة .
لقد لقينا أمرا إمرا ، وضرب زيد عمرا .

وقال التصريفى :

قد ساءت الأحوال واختلت ، ونقصت الأفعال واعتلت ، وزاد الغم ، وفك المدغم ، ووقعنا فى تعسير ، وصار جمعنا جمع تكسير .

وقال اللغوى :

ربّ عجلةٍ تَهَبُ ريثًا ، ورُبَّ غيث لم يكن غيثا ، ولايدرى من بسط له حال من عليه قدر ، ويحسب الممطور أن كُلّا مطر[٧] .

وقفة مع النص :

(٧) الأصولى : المشتغل بأصول الفقه . وهى مجموعة القواعد التى سار عليها المجتهدون فى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية .

المصابرة : المغالبة فى الصبر .

المصادرة : المطالبة بإلحاح .

النحوى : المشتغل بعلم النحو . وهو علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناء .

الممدود والمقصور مصطلحان نحويان لنوعين من الأسماء ، فما كان آخره ألفاً لازمة بعدها همزة فهو ممدود مثل غِناء ، وما ليس بعده همزة فهو مقصور مثل غِنًى .

ويريد بمد السعر تزايده ، فى وقت قصرت اليد فيه وحل الضيق .

الجار والمجرور مصطلحان نحويان . والمراد أننى سوف أجرها للبيع ، أمام هذا الغلاء الفاحش .

بقية الهامش رقم [٧]:

الإنافة : الزيادة . رفع باب الإضافة : لم يعد أحد يضيف أحداً ، أو يزيده شيئا . والكسر والرفع مصطلحان نحويان استخدمها فى التعبير عن توقف الرجاء والخير . أمراً إمراً : عجيبا ومنكرا ، وضرب زيد عمرا : استفحل الشر واشتد الأمر . وقد استخدم كلمة « أمر » وهى من أقسام الفعل واستعمل « ضرب زيد عمراً » وهو مثال من أمثلة النحويين فى باب الفعل والفاعل والمفعول .

التصريفى : المشتغل بعلم الصرف : وهو علم تعرف به أبنية الكلام واشتقاقاته . وقد استخدم فى التعبير عن الحالة المصطلات الآتية :

(نقصت ، واعتلت ، وفك المدغم ، جمع تكسير) والناقص من الأفعال : ما كان آخره حرف علة مثل (مضى) . والمعتل ما كان فيه حرف علة مثل : قال وما فك إدغامه مثل ردّ نقول : (ردَدْت) . وجمع التكسير مثل : كُتُب : جمع كتاب .

اللغوى : عالم اللغة وأسرارها . الريث : التمهل ، والغيث : المطر الذى يغيث الناس فى حال الجدب .

[٨]

وقال المعنوى :

تُرى هل ترى للأرض من حقل ؟!

ويقول المؤمن : أنبت الربيع البقل ، وتمتد من خيام الملق الأطناب ، ويوفى الكيل من الزرع بالمساواة والإطناب .

وقال البيانى :

ترى هل تظفر الجسور بالأحراز ، ويكون للماء إلى حقيقه المزارع مجاز[٨] .

وقفة مع النص :

(٨) المعنوى : المشتغل بعلم المعانى . وهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى

بقية الهامش رقم [٨] :

بما يطابق مقتضى الحال .

ويتساءل المعنوى : هل تعود المياه إلى مجاريها فنرى الحقول الخضراء من جديد ، وتمتد (الأطناب) حبال الخيام حولها ، وتؤتى الزروع أكلها ؟! وقد استخدم أسلوب المجاز العقلى فى أنبت الربيع البقل ، فالله هو المنبت ولكنه أسنده للسبب وهو الربيع . واستخدم الإطناب والمساواة وهما مصطلحان من مصطلحات علم المعانى فالكلام إما أن يكون فيه إيجاز أو إطناب أو مساواة . البيانى : المشتغل بعلم البيان . ولقد عبر عن فكرته مستخدما المصطلحات البيانية الآتية : (حقيقة . مجاز) ، والأحراز جمع حِرز ، آلة الحفظ ، كالقناطر ، والسدود كناية عن الفيضان والوفاء ، ويقصد بالمجاز : موضع الاجتياز والحلول والمرور والغمر . فالمجاز موضع الاجتياز والعبور . هل ترى الأرض الماء يغمرها من جديد ؟

[٩]

وقال البديعى :

هذه براعة استهلال ، تؤذن بالإقلال ، وتشعر بوضع الأغلال ، على مخازن الغلال[٩] .

وقفة مع النص :

(٩) **البديعى** : المشتغل بعلم البديع . ويريد أن يقول : إن البداية تشعر بأن الماء سوف يقل ، ويجب أن نحافظ على البقية الباقية من القمح فى المخازن .

وقد استخدم (براعة الاستهلال ــ والسجع فى الإقلال ، والأغلال ، والخلال ، والجِنَاس : فى الإقلال والأغلال ، وفى الأغلال والخلال) .

[١٠]

وقال العروضى :

هذه الفاصلة الكبرى ، والدائرة التى دارت على الأنام تترى .

وقال الشاعر العربى :

عسى الكربُ الذى أمسيت فيه يكونُ وراءَه فرجٌ قريب

وقال الشاعر المولد :

نيروزُ مِصرَ بلا اكتفاءِ يُعد ضعفا بغير ماء(١٠)

وقفة مع النص :

(١٠) **والعروضى** : المشتغل بموازين الشعر وقافيته العالم ببحوره .

والفاصلة : ثلاثة أحرف متحركة يليها حرف ساكن مثل « كَتَبَتْ » وهى الصغرى . والكبرى : أربعة أحرف متحركة يليها حرف ساكن مثل « سِمَعهُمْ » .

الفاصلة : القاضية الماضية القاطعة .

والدائرة : التى دارت على الأنام : والداهية التى أحاطت بالخلق .

وقد استخدم فى التعبير عن مشاعره : مصطلحين عروضيين هما الفاصلة ، وقد بينتها ، أماالدائرةفهى : تلك الحركات والسكنات التى تختلف فى عددها وترتيبها عن غيرها من الدوائر الخمس التى استخرج منها الخليل بن أحمد بحور الشعر وترتيباتها ، وقد تعددت البحور فى كل دائرة نتيجة لاختلاف البدء بالمقاطع .

الشاعر المولّد : المحْدَث ، سمى بذلك لحدوثه .

النيروز : اليوم الجديد ، وهو أول يوم من أيام السنة الإيرانية ، ويوافق اليوم الحادى والعشرين من السنة الميلادية .

[١١]

وقال الكاتب :

قد رقت الحواشي ، وضعفت المواشي ، والأمر محقق متلاشي ، وما تنفع الطوامير إن لم يكن معها مطامير[11] .

وقفة مع النص :

(١١) الكاتب : استخدم كلمة الحواشي جمع حاشية وتكون للكتاب وعبر بها عن الأحشاء وضمورها ورقتها بسبب الجوع .

والطوامير جمع طامور : الصحيفة .

والمطامير : جمع مِطْمَر : خيط البناء .

ويقال : أقم المِطْمَرَ يامحدث : قوّم الحديث وصحح ألفاظه ونَقِّحْها واصدق فيه .

وكأنه لاقيمة لأوراق فارغة من الكتابة والمضمون ، فلا قيمة لنيل بلا ماء . أو أن من يبيت طاويا لاتنفعه الميرة (الطعام) إن لم تكون هناك مطايا تحمله إليه .

[١٢]

وقال الطبيب :

هذه أيام بُحْران ، يخشى منها الهلاك إن لم يلتق البحران ، وإن لم تنضُج مادة الزيادة لم يحصل الشفا . وما لم يبلغ الماء القانون المعتاد فالناس على شَفَا[12] .

وقفة مع النص :

(١٢) البُحران : التغير الذى يحدث للعليل فجأة فى الأمراض الحمية الحادة ، ويصحبه عرق غزير وانخفاض سريع فى الحرارة .

شفا : حافة الهلاك . وفى كلامه إشارة إلى كتاب الشفاء والقانون لابن سينا .

[١٣]

وقال المنطقى :

هذه قضايا مختلطات ، ورزايا غير منضبطات ، ماهذه إلا بليه ، قد أصبح البُرّ من البر سالبة كُلِّيّة .

وقال الموسيقى :

قد خف الجواز ، وحجز بين الماء والصعيد حجاز .

وقال الميقاتى :

قد جفت المقنطرات ، وانشقت المقطرات ، ونفد ما فى الجيب ، والمرجو مافى الغيب ، وصرنا كالمثل السائر شهرة فى العالم ومُثْله ، وإن دار هذا الغلاء الدائر لم تبق معه فضله(١٣) .

وقفة مع النص :

(١٣) المنطقى : المشتغل بالمنطق : وقد استخدم فى التعبير عن اختلاط الأمور ونزول الرزايا وتفاقم الشر والبلاء مصطلحات منطقية .

والمنطق : هو العلم الذى يشرح عمليات الفكر . ويقوم على أقيسة ، ويشتمل القياس على ثلاث قضايا ، وثلاثة حدود وصولا إلى النتيجة . وقد استخدم الكلمات : (قضايا ـــ سالبة كلية) .

الموسيقى : المشتغل بالموسيقى .

الجواز : الماء الذى يُسقاه الزرع أو الماشية ، وما يُعطاه المسافر من الماء ليجوز به الطريق .

حجز حجاز . لم تعد هناك وسيلة للاتصال عن طريق النهر .

والحجاز : الحاجز وقد استخدم الموسيقى فى التعبير نوعا من ألحان الموسيقى وهو « الحجاز » .

الميقاتى : المشتغل بعلم المواقيت والهيئة (الجغرافيا)

المقنطرات : جمع مقنطرة : بناء متقوس كالقنطرة .

والقناطير المقنطرة : الكثيرة المكدسة ، والمراد حصل الجدب وانقطع الخير .

انشقاق المقطرات : كناية عن الجفاف .

[١٤]

وقال المؤذن :

يا قوم ما هذا التبريح ، ونحن طائفة نعيش بالتسبيح ؟!

مجىء الفرج !!

ودام التوقف سبعة عشر يوما تبعا ، ونقص فيها سبعة عشر إصبعا ، فبينما الناس فى الياس ، مترقبين حلول البأساء والباس ، لم يفجأهم إلا أهلة النعمة وقد أهلت ، وسُحبُ الرحمة وقد انهلّت ، ومنّ بزيادة البحر البرّ الرحيم ، ونادى المنادى : زاد النيل المبارك ثلاثة أصابع من عند الكريم ، فانشرحت الصدور ، وأيقنت بالخُيور والحبور ، وتبدلت الشرور بالسرور ، وتباشر الخلق بالرضاء ، وسمحت الأنفس بالسخاء ، وفاح عَرْف الزيادة بالأرج(١٤) .

وقفة مع النص :

(١٤) التبريح : تتابع الأذى : يقال برّح ، وأبرح به ألحّ عليه بالأذى .
تُبّعاً : متتابعة .
الخيور : الخير كل ما يحقق لنا لذة أو نفعا أو سعادة وجمعه خيار وأخيار وخيور .
الأرج : الرائحة العطرة .

[١٥]

وقال لسان الحال ، لأمير المقياس :
حدث عن البحر ولا حرج !(١٤)

وقال المقرى :

قد بلغنا الأمنية من النيل وهو حرز الأمانى ، وهنئنا بتوجهه للزيادة ، وذلك وجه التهانى ، وصرنا نروى حديث البحر والبلاد والمزارع عن ابن كثير ، وابن عامر ونافع .

وظهر مصداق ما نتلوه ذكرا ﴿ **فإن مع العُسْرِ يسرا إن مع العُسْرِ يسرا** ﴾ [٥/الشرح] .

وقال المحدّث :

اشكروا الله على بلائكم ، وإنما تنصرون وترزقون بضعَفائكم ، قد زال الرّين وصح ماروى « **لن يغلب عسر يسرين** » ، فقيدوا هذه النعمة بسلسلة الطاعة ، وصَلّوا لِمَنْ بتقوى الله تأمنوا انقطاعه(١٥) .

وقفة مع النص :

(١٥) وصرنا نروى حديث البحر إلخ يقصد : ذلك الفيضان والتتابع .

وصحة الأخبار : أما الثلاثة الذين ذكرهم فهم من السبعة الذين تواترت الأخبار بصحة قراءتهم .

عبد الله بن كثير المتوفى سنة ١٢٠ هجرية من قراء مكة وإليه انتهت رياسة القراء .

وعبد الله بن عامر اليحصبى المتوفى سنة ١١٨ هـ . أخذ عن عثمان وهو فى الطبقة الأولى من التابعين .

ونافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المدنى المتوفى سنة ١٦٩ هـ من أصفهان . (انظر فنون الأفنان لابن الجوزى ـــ مكتبة ابن سينا) .

الرّين : الطّبع والدنّس ، والمراد الغُمّة التى نزلت بنا وكدنا لا نستطيع الخروج منها .

« لن يغلب ...إلخ » قال ابن كثير : رواه ابن جرير عن الحسن ، وكذا رواه من حديث عوف الأعرابى ويونس بن عبيد عن الحسن مرسلا .

وقد استخدم المحدث الكلمات : (الضعفاء ـــ الرين ـــ صح ـــ روى ـــ سلسلة ـــ انقطاعه) وهى مصطلحات حديثية غير مراد معناها الاصطلاحى .

[١٦]

وقال الفقيه :

قد جاوز الماء القلتين ، وتلاطمت أمواج الحرتين ، وتيمم الماء الصعيد الطيب ، وصاب على الشرق والغرب منه صيب(١٦) .

وقفة مع النص :

(١٦) عبر الفقيه بأربع عبارات كلها كناية عن الكثرة والفيضان مستخدما مصطلحات فقهية (جاوز القلتين ـــ الحرتين ـــ تيمم الصعيد الطيب) .

[١٧]

وقال الفرضى :

قد صلح الرد ، وصح العَدّ ، وقاسم الجد ، وصارت الأنصباء مستغرقة ، وقسم الماء على الفروض طبقة طبقة .

وقال الأصولى :

هذا العام المراد به الخصوص ، وهذا الظاهر القاضى على النصوص .

وقال الجدلى :

الآن انفرج المناط ، وأغنى هذا الوارد عن الاستنباط .

وقال الصوفى :

من انقطع إلى الله آواه ، ومن توكل عليه كان حسبه وكفاه .

ماذا فعل النحوى وماذا قال ؟

وضم النحوى إليه كتبه وقال : استوى الماء والخشبة ، قد زال الغم والهمّ ،

وصار البر الكر قفيز بدرهم وسئل : أشعيرا تريد أم بُرًّا ؟ فقال : كليهما وتمراً .

وقال التصريفى :

قد زال الرك ، وطاح الشك ، وقوى الفك ، وزاد المد ، وخف الشد ، وحسن الرد[17] .

وقفة مع النص :

(١٧) الفرضى : المشتغل بتقسيم الفروض والأنصباء فى المواريث والعالم بها وتراه يعبر عن كثرة المياه بكنايات تتضمن مصطلحات فى علم المواريث : (الرد ـــ العد ـــ الجد ـــ طبقة طبقة) .

الرك : الضعف .

[١٨]

وقال اللغوى :

هذا المقبل المبقل ، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ، قد بان البيان ، والتقى الثريان ، ورويت الرّبى ، وبلغ الماء الزُّبى ، وكمن الغيث على العرفجة ، وأيقنا بكل ألوان بهجه ، ودعه يعيث ولا تبل ، فالغيث يصلح ما خبل .

وقال المعنوى :

ما أحسن هذا الإسناد ! المقصور علينا قصر إفراد .

وقال البيانى :

ما أحسن هذا الإمداد ، المؤذن بكثرة الرماد ، فليثن به المثنى ، وفى التلويح ما يغنى .

وقال البديعى :

قد زال الإبهام والإيهام ، وحسن التوشيح والاستخدام ؛ فالحمد لله على حسن الختام .

وقال العروضى :

قد زحف المديد الوافر ، وجرت السفن حيث يقرع الحافر ، وقصر الطويل ، وسكن العويل والزّويل ، وحصل اللطف المتدارك ، فجل الله وتبارك .

وقال الشاعر العربى :

وقـد يجمـع الله بين الشتيتين بعدمـا يظنـان كل الظـن ألا تلاقيـا

وقال الشاعر المولد :

زادت أصابـع نيلنـا وطـمت فأكمـدت الأعـادى
وأتت بكـل مَسَرّةٍ ماذى أصابـع ! ذى أيـادى

وقال الكاتب :

قد شربت البقاع ، وسيرت الرقاع ، وأيقن بالرىّ كل قاع ، ونسخ غلاء القمح والشعير ، وانحط السعر نحو الثلث والثلث كثير !

وقال المنطقى :

قد وضح الجد ، وصح الرسم والحد .

وقال الموسيقى :

صرنا فى عراق ، وصفا الوقت وراق .

وقال الميقاتى :

قد خلا ربع المصيطرات ، وامتلأ ربع المقنطرات .

وقال المؤذن :

سبحان فالق الإصباح ، وماحق ذاك الديجور بهذا الصباح ، ونادى فى الناس : حىّ على الفلاح ، وأعلن بالصلاة على النبى والسلام ، واقتفى نداه كل خطيب

وإمام ، وابتهل سائر الخلق بالدعا .

ودعـــوا ربهـــــم تضَـــــرّعًا وقـــــالوا :
اللهـــم قِنـــا العيـــــث ، وأســـقنا الغيـــث
وأنبـــــت لنـــا الــــزرع ، وأدر لنـا الضـــرع
وأنــــزل لنـــا من بركـــــات الســـــماء .
وأخـــــرج لنـــــا من بركــــــات الأرض
وابســـط لنا من خزائـــن رحمتك مايـــزول
بـــــه القبـــض ....
وتـلا لســان الحـال على المؤمنيـــن :
﴿ ادعـوا ربكـم تضـرعا وخفيـة إنه
لا يحـب المعتدين * ولا تفسـدوا
فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه
خوفاً وطمعا إن رحمـة الله
قريب من المحسنين ﴾(١٨)

وقفة مع النص :

(١٨) المقبل : القادم .

المبقل : المنبت بقلا .

وعليك أن تتابع مصطلحات الفنون والعلوم لتدرك ماوراء التوريات المستخدمة على لسان كل من المعلقين والآيتان رقم ٥٥ ، ٥٦ من سورة : الأعراف .



٩ ــ مقامة الروضة
فى
روضـــة مصـــر

تحدث فيها عند جزيرة الروضة التى سكنها فى أواخر سنىّ عمره ووصف جمالها ، وأشار إلى تاريخها ، وذكر ما قاله الشعراء فيها وفى وفاء النيل .

[١]

مدخل المقامة :

أحسن البِقاع :

قال الله تعالى : ﴿ **وآويناهما إلى ربوةٍ ذاتِ قرار ومعين** ﴾ .

[١] **نطق الكتاب والسنة** بأن أرض مصر أحسن البقاع .

[٢] **وتضافرت على ذلك آثار الصحابة والأتباع .**

[٣] **وانعقد عليها الإجماع .**

[٤] **وشهد الحُسْنُ** بان الروضة منها كمركز الدائرة فهى لها كالقطب والأساس .

[٥] **وقام النظر** على أنها أنزه بقعة فيها .

فأنتج أنها أحسن البقاع بما صح فيها من **القياس .**

شوَّقتنا إلى الجنان فزدنا في اجتناب الذنوب والآثام[1]

وقفة مع النص :

هوامش مقامة الروضة

[١] [٥٠/المؤمنون] . والربوة ما ارتفع من الأرض وعلا فهو زائد على ما يحيط به .

وقد ساق الإمام السيوطى هذه الآية إلى جانب غيرها من الآيات تحت عنوان « بعض المواضع التى ورد فيها ذكر مصر فى القرآن الكريم » فى كتابه حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة . ثم قال : ذكرت مصر فى القرآن فى أكثر من ثلاثين موضعا .

وشرح المراد من الآية بقوله :

روى أن عيسى كان يرى العجائب فى صباه إلهاماً من الله ، ففشا ذلك فى اليهود ، وترعرع عيسى ، فهمت به بنو إسرائيل ، فخافت أمه عليه ، فأوحى الله إليها أن ينطلق به إلى أرض مصر ، فذلك قوله تعالى : ﴿ **وآويناهما إلى ربوة ..** ﴾إلخ .

ولقد تحدث الرواة بأنها كات تحمله حيث أقامت ، وأن المكان الذى آواهما الله إليه ما بين عين شمس وبابليون .

بقية الهامش رقم [١] :

أما السنة : فقد أخرج مسلم فى صحيحه ، عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « **ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرا ، فإن لهم ذمة ورحما** » القيراط : نوع من العملة . وقد استعمل لنوع من المقاييس أيضا .

يسوق السيوطى الأدلة على ماقرره من أنها أحسن البقاع متدرجاً فى ذكر الأدلة التى يرجع إليها فى استنباط أحكام الفقه الإسلامى وهى : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، وقول الصحابى ، والقياس . وهى كما ترى أدلة نقليّة ، ومنها عقلية كالقياس .

وقد ساق خمسة أدلة ، وصولا إلى النتيجة ، وهى أنها « أحسن البقاع » .

وقوله بما صح فيها من القياس تورية لطيفة حيث يشير إلى مقياس النيل الذى أقامه « أسامة بن زيد التفزخى » حيث أقام مقياسه بالروضة بأذرع تعادل فى طولها مقياس النيل القديم . وترجع فكرة الأذرع إلى أن القبط كانوا يدفعون الخراج بنسب خاصة تبعا لارتفاع مناسيب النيل ، فإذا انتهت الزيادة إلى ١٦ ذراعا ففيه خصب الأرض وتمام الخراج . أما إذا زاد على السبعة عشر وبلغ ثمانية عشرذراعا فإن ذلك يترتب عليه عدم دفع بجزء من الخراج ، فإن نقص عن الرابع عشر .. امتنع الناس عن دفع الخراج . وصلوا صلاة الاستسقاء . وكان أسامة عامل الخراج بمصر فبناه فى سنة ٩٧ هـ .

[٢]

روضة ذات محاسن ، فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأشجار
تُنْبِتُ أفانين الأَحاسن ، وأزهار مابين مفتوح العين ووَسِين ، ،
وأطيار ترنمت بلغات يعجب منها كل فصيح ولَسِين(٢) .

وقفة مع النص :

[٢] غير آسن : الآسن من الماء مثل الآجن : المتغير اللون والطعم . وفيه اقتباس لطيف من القرآن الكريم .

أفانين : جمع أفنان ؛ والأفنان جمع فَنن ، والفَنن : الغُصْن وافتنّ الرجل فى حديثه : جاء بالأفانين . والأفانين أيضا : الأساليب وهى أجناس الكلام وطرقه .

وَوَسِين: الوسن : فتور يسبق النوم ، والمراد غير متفتح .

بقية الهامش رقم [٢] :

ترنمت : غردت ، وغنت .
لسَن: لسَنًا : فصح أو تناهى فى الفصاحة والبلاغة .

[٣]

فى روضة نصبت أغصانُها وغـــدا	ذيل الصبَّـا بين مرفـوع ومجرور
قد جمعت جمع تصحيــــح جوانبها	والماء يجمـــــع فيها جمع تكسير
والـريح قد أطلقت فيـه العِنـــان به	والغصـــن ما بين تقـــديم وتـــأخير
والـــريح تجرى رخـــاء فوق بحرتها	وماؤهـــا مطلــــق فى زى مأسور
والـريح ترقـم فى أمواجـــه شبكــــا	والـــغيم يرسُم أنـــواعَ التصاويــــر
والماء ما بين مصروف وممتنــــــع	والظـــل ما بين ممدود ومـــــقصور
والنرجس الغضّ لم تغضض نواظـره	فزهـــره ما بين منـــفض ومـــزرور
كأنـــه ذهب من فوق أعمــــــدة	من الزمـــرّد فى أوراق كافـــور[٣]

وقفة مع النص :

[٣] الأبيات :

نصبت أغصانها : أقيمت وارتفعت . **ذيل الصبا** : نسيم الريح حين تمر فتحرك الأغصان القائمة فترى بين مرفوع ، ومائل مع الريح حيث تميل ، **والصبّا** : ريح لينة رقيقة تهب من الشمال . وقد استخدم السيوطى مصطلحات نحوية مثل : نصبت . ومرفوع ، ومجرور ، ولم يقصد أيًا منها .

جمعت جمع تصحيح : جمع التصحيح جمع المذكر السالم يظل مفرده سليما مع زيادة الواو والنون رفعا أو الياء والنون نصبا وجرا ، وفى جمع التكسير ، يكسر المفرد بزيادة أو نقص مثل : كتاب : كتب ، ولسان : ألسن . **والمراد** : أن جوانب الروضة تبدو تامة مكتملة . بينما الماء يتكسر بفعل النسيم .

العِنان : مقود الفرس . وإطلاق العنان مقصود به حرية الحركة وسرعتها .

والغض مابين تقديم وتأخير : مقصود به بيان أثر الريح فى الأغصان تحركها إلى الأمام والخلف . وفى النحو والبلاغة باب يسمى « باب التقديم والتأخير » وليس مقصودا .

— بقية الهامش رقم [٣] :

الرُّخاء : الريح اللينة التى لا تحرك شيئا ..

ترقم : تخطط وتنقش .

والماء ... الخ : فى البيت استخدامات نحوية : مصروف : منون ، ممتنع : لا يدخله التنوين . ممدود : آخره ألف بعدها همزة مثل السماء . ومقصور : آخره ألف مفتوح ماقبلها مثل مصطفى وليس ذلك مرادا وإنما المقصود أن الماء منه مالا تمنعه موانع ، ومنه ما يحول دون جريه حائل وكذا الظِّلّ ممتد ، وغير ممتد .

والنرجس الغض لم تغضض نواظره : فعيون النرجس تطل عليك أينما كنتِ .

منفَضّ ومزرور : متفتح ، وغير متفتح مازال فى أزرّته .

[٤]

الروضة فى عينى السيوطى وقد سكنها !

روضة أريضهْ ، عيون أزهارها مريضه ، وأنواع البركاتْ من نهرها مَفيضة ، ونوازع الهموم والغموم بها مغيضة .

بلـد أعارتـه الحمامــةُ طوقَهـا وكَساه حلّــةَ ريشِه الطــاوسُ

روضة هى :

روضة هى مجمع البحرين ، ومختار تقابل مطلع البدرين ، ومنهاج يسير فيه كل فلك من النواعير وبدر ، **فهى على كل الأحوال ذات النورين .**

يا حبـــذا فى الحسن ناعـــورة كأنها من فلك الشمس
تحمـى حمى الـروضة من مائهـا وشكلهـا بالسيـف والتـرس

ملكة المتنزهات :

ذات وجهين غير ما يجرى فيها بالنقل والتخريج ، قاربت على السبعة الأوجه بماحوته من كل منظر بهيج ، لم يفز غيرها .

بحسن إلا وكان لها منه قسم قسيم ، ولم تتقابل وجوه المناظر إلا وكان وجهها وسيم ، فلا غرور أن كانت ملكة المتنزهات ؛ فإنها أوتيت من كُلِّ شيء ولها عرش عظيم .

من مَات فيها وهـــو مغفــــور له فمن الجنـــان إلى جنـــان يُنْقَـــل[4]

وقفة مع النص :

(٤) الروضة فى عين السيوطى :

أريضة : كثيرة فياضة بالخير . **مغيضة** : جافة ناضبة أى منقطعة .

طوقها : ما يشبه الطوق حول رقبتها من الريش الملون ، والمراد أنه جمع الجمال كله .

مجمع البحرين : فهى وسط النهر ، وفيها اقتباس قرآنى جميل .

النواعير : جمع ناعورة : الساقية .

ذات النورين : جمعت من الفضل مالم يتح لغيرها كعثمان - رضى الله عنه حيث تزوج اثنتين من بنات النبى فكان ذا النورين .

أوتيت من كل شيء : كأنما هى بلقيس ، وفى الكلام اقتباس جميل من القرآن .

---

[٥]

الروضة عند المفاخرة والمناظرة :

إن فاخرتها مصر بأنها القديمة قالت :

أنا الجديدة ، ولكل جديد لذة .

أو ناظَرتها الجزيرة الوسطى قابلتها بالكسر وقالت : أنا فى ملازمة النيل الفَرْدة البذّة[5] .

وقفة مع النص :

(٥) الكسر : يقال : كسر فلان من طرفه وعلى طرفه كسراً : غضّ منه شيئا .

الفردة البذة : منقطعة النظير . أفوق غيرى وأبذهم .

---

[٦]

وإن تطاولت نحوها الجزيرة الكبرى أعرضت عن القال والقيل وقالت :

إنى يقاس بخرطومى المشتهى زلومة الفيل .

وإن قال التاج : أنا المرفوع على الروس .

قالت : أنا عروسة الحسن ، لا سيّما فى عرس النيل . والتاج فى خدمة العروس .

وإن قالت السبعة الأوجه : قد تعدّدت منا الوجوه والمناظر .

قالت : رُبّ واحد كألف أو يزيد عند المناظر :

أرى المشتهى فى روضة الحسن قد بدا
على رصد المعشوق فالقلب واجد
لعمُرك ما السبع الوجوه إذا بدت
بمُغنيةٍ عن وجهه وهو واحد[٦]

وقفة مع النص :

(٦) القال والقيل : فضول القول . وقد نهى النبى ﷺ عن القيل والقال ، ويروى « عن قيل وقال » بلفظ الماضى : فضول القول مما يوقع الخصومة بين الناس .

التاج : هو تاج عمود المقياس وطوله ذراع وأربع أصابع من الرخام الأبيض .

[illegible] على زمن الفاطميين أصبحت جزيرة الروضة من المتنزهات ، وأنشئت فيها المناظر (الفيلات) الكثيرة ، وأشهرها منظرة « الهودج » أنشأها الخليفة الآمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية بجوار « المختار » .

[٧]

كأنها .....

كأنها بدر والنيل حولها هالة ، أو شمس فى وسط سماء ليس عليها سحابة أو غِلاله.

أو وجه دار عليه طيلسان،أو سرير ملك نصب فى ميدان ، أو قلب جيش له مصر والجزيرة جناحان .

تبرجت بأنواع الأزاهر البهجة لا بالشيح والقيصوم ، وناداها لسان الربيع ياروضة سنسمك بالخضرة على الخرطوم .

ونغير الأسلوب ونقول :

نثرت السماء على أغصانها النجوم ، وارتشف من خرطومها زلال الريق والرحيق فلم يحتج فى كلا الحالين إلى خرطوم .

وخص البحـــــر منها كل خص وعـم بروضهـا الزاهـى أكامـه
فقلت : وقد سقى الخرطوم علا أخرطــــوم بدالى أم مدامه ؟!(٧)

وقفة مع النص :

(٧) والجزيرة : جزيرة مصر المسماة الآن بالروضة . عرفت فى أول الإسلام بالجزيرة ، وجزيرة مصر ، ثم قيل لها : جزيرة الحصن . ثم عرفت بالروضة من زمن الأفضل بن أمير الجيوش ، وإنما سميت بالروضة ، لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها ، وبحر النيل حائز لها ، ودائر عليها ، وفيها من البساتين والرياض ، مالم يكن فى غيرها .

الشيح : نبت من الفصيلة المركبة رائحته طيبة قوية .

القيصوم : نبات قريب من نوع الشيح كثير فى البادية .

[٨]

ماضيها :

كانت دار ملك وخلافة ، وسرير سلطنة ورتبة إنافة ومسكن علماء أعلام ، ومجلس قضاة وحكام ، ومقرُّ صلحاء وعباد ، ومفر صوفية وزهّاد .

ويكفى فى الرد على المعارض قول الشيخ عمر بن الفارض :

جلّق جنةُ من تاهَ وباهى | برباها غيّرها لولا وباها
قال غالٍ : بَردى كوثرها | قلت : غالٍ برداها برداها
وطنى مصر ، وفيها وطرى | ولنفسى مشتهاها مشتهاها
ولعينى غيرها إن سكنت | يا خليلى ! سلاها ما سلاها !

وقفة مع النص :

(٨) يقول السيوطى فى حسن المحاضرة : ولم تزل الروضة متنزها ملوكيا ومسكنا للناس إلى أن تسلطن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد فأنشأ بالروضة قلعة واتخذها قاعدة ملك فعرفت بقلعة المقياس ، وبقلعة الروضة ، وبقلعة الجزيرة ، وبالقلعة الصالحية ، وكان ذلك سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

(٨) عمر بن الفارض : ولد شرف الدين عمر بن الفارض فى القاهرة سنة ١١٨١م وتوفى سنة ١٢٣٥م وله ديوان شعر فى التصوف .

جلق : دمشق .

[٩]

صورة للحياة فيها :

وكم سكن بها من خلفاء وملوك وأمراء ، وكتاب ورؤساء ووزراء ، وقراء وأولياء ، وفقراء وأغنياء ، وأذكياء وأغبياء ، وذوى هنات وأتقياء .

تلاوة قرآن ، وتدريس أفنان ، وشعائر وأذان ، ونغمات وألحان ، وقضاء أَوْطَار ، وضرب أوتار .

كل نفس بما كسبت رهينة ، وعلى ما حملت من أمانة دينها أمينة . فهذا يسعى فى خلاص ذمته ، وأداء أمانته ، وهذا يوقعه القدر فى حبائل جنايته بخيانته .

قل كل على شاكلته ، فكأن لسان الحال يقضى بأن الحريرى إنما عناها حيث قال :

بها ما شئتَ من دين ودنيا | وإخوان تأسَّوْا فى المعانى

فمشغـــوف بآيـــات المثـــانى ومفتـــون برنـــات المثـــانى
ومضطلـــع بتلخـــيص المعـــانى ومُطَّلِـــع إلى تخلـــيص عانى
وكم من قارئ فيها وقـــارٍ أضرا بالجُفـــون وبالجِفـــان
وكم من معلـــم للعلـــم فيها ونـــادٍ للنـــدى حُلْـــو المجانى
فصِلْ إن شئتَ فيها من يُصَلّـــى وإمـــا شئت فاذْنُ من الدّنـــان
ودونك صحبـــة الأكيـــاسِ فيها أو الكاسات منطلـق العنـــان

وقفة مع النص :

(٩) الحريرى صاحب المقامات ودرة الغواص أبو محمد القاسم بن على الحريرى البصرى .

تنافوا : اختلفوا .

مشغوف : مفتون .

المثانى : هى سورة الفاتحة أو ما دون المائتى آية من السور ، أو غير ذلك جمع مثنى أو مثناة من التثنية .

رنات : جمع رنة ، وأصلها صوت الحلى أو غيره من المعادن ثم أطلقت على أوتار العود .

أضطلع به: قوى على حمله . تلخيص المعانى : اختصارها .

تخليص العانى : فك الأسير .

قارئ وقارٍ : الأول من القراءة والثانى من القِرى للضيف .

بالجفون بالسهر فى القراءة وبالجفان : جمع جفنة ، وهى الصحفة التى يثرد فيها للضيف . .

والضرر فى كثرة استعمالها والتناول منها — كناية عن الكرم .

مَعْلم : علامة . نادٍ : مجلس . للندى : الكرم والعطاء .

المجانى : ما يجنى من الثمار .

ودونك صحبة : أى وعليك بمصاحبة العقلاء .

الأكياس : جمع كيّس . وهم ذوو الفطنة .

بقية الهامش رقم [٩] :

أو الكاسات : أو مصاحبة ذوى الكاسات وهم المتهمكون فى الشرب واللهو .
منطلق العنان : أى معطيا نفسك هواها .

نماذج من ساكنيها : [١٠]

هذا يعدها عونا على تقواه ، وهذا يعدها للعبه وملهاه ، هذا يرعى فيها النجوم ، ويناجى الحىّ القيوم ، وهذا يغفل ليله إلى الصباح ، أو يقطعه بما هو عليه مَلُوم .

هذا ينظر إليها بعين الفكرة ، والتبصر فى عجائب القدرة ، وهذا ليس له منها إلا الابتهاج بنضارة الزهر هذا فيها مشاهد شهوده .

وهذا يسهد ونوم غيره أفضل من سهوده .

رأيت رياض القدس فى روضة الرضى	على نيـل مصر بين تلك المناظـر
مناظرهـا للناظريـن مشارق	وفيها وجـوه كالبـدور البـوادر
حكين شموساً فى السحاب وقد بدت	وجـوه الأغـانى فى ستور الأعاجر
وتشبه آفـاق السموات فى الدجى	وفيها مصابيـح النجـوم الزواهـر
وتحكى طيـوراً عاليـاتٍ رءوسهـا	على النيـل فيها سابحات الشخاتـر
ويشبـه سيب الماء فيها صوارمـا	بأيـدى الهنـاسُلّت لسلب النواظـر
عليها جلال الله جل جلالـه	وفيها سريـر السرسر السرائـر

يؤكل فيها حيوان البحر ذكيا ، وصَيْدُ البحر طريا ، وثمر الأشجار جنيا ، ويشرب فيها الماء من شوائب الأقذار عريا ، ويمر فيها النسيم صحيحا عليلا ، فيبرئ من الأسقام عليلا ، ويشفى من الأوار غليلا ساكنها قد وُقِىَ السَّمُوم والحَرور ، وأعفى من شعث الكيمان والبرور .

وهى خفضة فى ربوة ، وجمعية فى خلوة ، ترى المارين فى البر والبحر وأنت عنهم فى بعد ، وتشاهد وأنت معتزل من كان فى انحدار أو صعد ، وأنت متَحَصِّن من الثقلاء بقلعة حولها من الماء خنادق ، ومن تمام حسنها تعدد أبواب بيوتها ففيها مخلص عند مجيء الطارق .

وكم لله على ساكنها من مَنٍّ لا يحصى العاد ضبطه ، وكم تلا عليه لسان النعمة أن

اشكروا الله على ما أولاكم وزادكم فى الخلق بسطه .

فإن قيل لها من الناموس شين ، فقل لابد منه لدفع العين .

يا ليلةً غردت فيها البعوض وقــد طاروا إلــىّ زرافــاتٍ ووحدانــا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلــق الله أركانــا

فإن قيل :

ويخلُفُه عند انقضائه أذى البراغيث ، وذلك إذا البرّأغيث فَقُلْ :

لا تكــــره البرغــــوث إن اسمه بــرٌّ وغَــوْثٌ لــك إن تـدرى
فَبِــــــــرُّهُ مَصٌّ دمٍ فاسدٍ والغَــوْثُ إيقــاظك فى الفجــــر

ويحيط بأرجائها النيل ، وما أدراك ما النيل ؟! سيد الأنهار ، والمسخر له جميع مياه الأرض تمده فى الزيادة كما ورد فى الآثار .

أصل منبعه من الجنة ، وسمى فى القرآن باسمه دون غيره ، ونطقت به السنة ، وهو فى الجنة نهر العسل ، ويرفعه جبريل عند رفع القرآن ، ومن لم يعرف فَلْيَسَل .

وهو الذى كاتبه عمر بن الخطاب لما حمل أهل مصر الإصر ، فكتب إليه بطاقة صدرها :

من عبد الله أمين المؤمنين .. إلى نيل مصر .

ديــار مصر هى الدنيــا وساكنها هم الأنــام فقابلهــا بتفضيـــل
يا من يباهــى ببغــداد ودجـلتها مصر مُقَدِّمـــة والشرح للنيـــل

وله أصابع ليس فى الأيادى من يطاولها ، ومتى رامت عيون الشام أن تفاخره كان لكل عليه إصبع منه يقابلها ، ولله در القائل :

زادت أصابــــع نيلنــــــا فطـمت فأكمــدت الأعــــادى
وأتت بكــــــــل مسرة ما ذى أصابـــع ذى أيـــادى

عيد الروضة :

وتختص الروضة من بين سائر الأقطار بيوم هو لها عيد ، طالعه فى برجى السنبلة والحوت للمشترى سعيد .

وهو يوم الزينة ، وما أدرك ما يوم الزينة ، يوم يحشر له الناس ، ويحج فيه إلى المقياس ، وتطيب من تخليقه وتحليقه الأنفاس .

ويسبل فيه ستر الوفاء بالعفو ، وفي الحقيقة هو خلعة رضى ولباس .

وتكمد الحساد ، وتجتمع الأضداد ، فيحصل الصفاء إذا انكدر ، والجبر إذا انكسر .

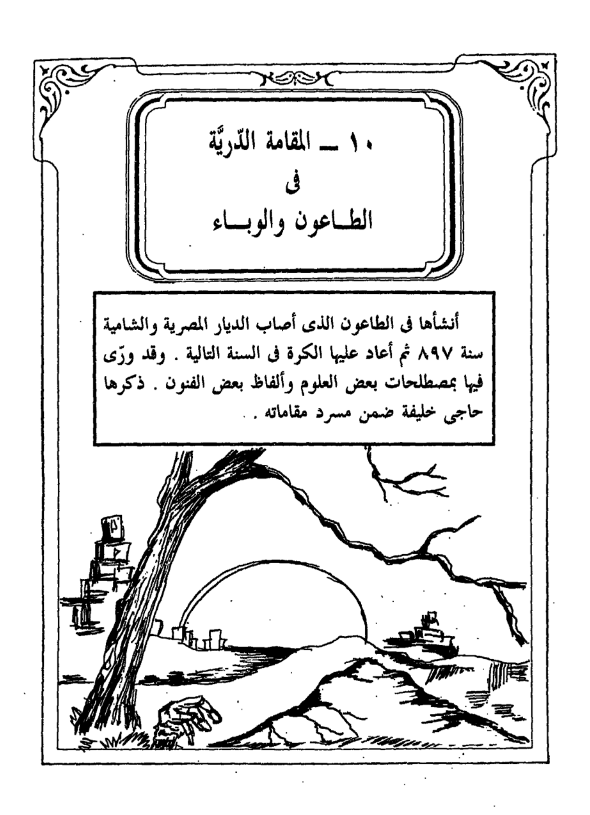
ويبلغ الخلق من النيل غاية النّيل ، ويسحب الماء على بساط الأرض الذيل ، ويركب إليه الملك والجنود ، وتُعْقَد الألوية والبُنود ، ويكون للناس من مائه ولونه المحمر ورود ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، وله في كل سنة أجل معدود :

لله يوم الوفاء والناس قد جمعوا	كالروض تطفو على نهرٍ أزاهره
وللوفاء عمود من أصابعه	مخلق تملأ الدنيا بشائره[١٠]

وقفة مع النص :

(١٠) مُخلّق : مُطيّب بالخلوق .





١٠ ــ المقامة الدّريَّة
فى
الطــاعون والوبــاء

أنشأها فى الطاعون الذى أصاب الديار المصرية والشامية سنة ٨٩٧ ثم أعاد عليها الكرة فى السنة التالية . وقد ورّى فيها بمصطلحات بعض العلوم وألفاظ بعض الفنون . ذكرها حاجى خليفة ضمن مسرد مقاماته .

[١]

مدخل المقامة وانتشار الطاعون فى بلاد الروم :

قال تعالى : ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ [٢٦/الرحمن] .

لما كان فى أول سنة سبع وتسعين وثمانمائة وردت الأخبار عن الأخيار ، بأن الطاعون قد انتشر فى بلاد الروم ، وأنه بصدد أن يطرق البلاد الشامية والمصرية **ويروم** .

وكان للطاعون نحو خمس عشرة سنة لم يطرق هذين **المِصْرين** ، ولا **أناخ ركابه بهذين القطرين** ، ثم جاء الخبر بوصوله إلى البلاد الحَلَبِيّة بعد شهرين ، **فأرجف** الناس بدخوله مصر .

وتحملوا من خوف هجومه عليهم **الإصر** .

فتنقل فى بعض البلاد الشامِيّة دون بعض ، ولم يسر على **سَنَنِه** المعتاد بل أبدله بنقص .

ففات عن دخوله مصر **إبّانه** ، ومضى وقت طروقه وأوانه(١) .

وقفة مع النص :

(١) الطاعون : مرض مُعْدٍ يتسبب عن بكتريا قصيرة بيضوية عَصَوية ٢ × ٠,٧ ميكرون تنتقل إلى الإنسان والقوارض بواسطة البراغيث . حصل الطاعون على موجات عاتية خلال التاريخ ، وسمى : « الموت الأسود » وأول عنصر من عناصر الوقاية هو الحجر الصحى .

ويروم : يقصد .

المِصْرين : مثنى مِصْر : البلد . والمراد بهما : الشام ومصر .

أناخ : أقام بالمكان ، وحَلّ به ولزمه . والرّكابُ : الإبل المركوبة ، أو الحاملة شيئا ، أو التى يراد الحمل عليها . كما يقال : حط رِحالَه «وألقى عصا التّسْيَار». وهى كلها كنايات عن الحلول بالبلد .

الحلبيّة : نسبة إلى حلب الشهباء ببلاد الشام ــ سوريا الآن .

بقية الهامش رقم [١] :

أرجف الناس : خاضوا فى الأخبار السيئة ، وذكر ما يحل بالبلاد .

الإصر : الثّقل وفى التنزيل العزيز : ﴿ **ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا** ﴾ [نهاية البقرة] .

سننه : عادته وطريقته وطبيعته من أنه لا يُبْقى ولا يذر .

ينقض : خالف طريقته . ونقضها .

إبّان : أوان .

[٢]

ثم ورد الخبر بأنه قفز إلى قَطيا قفزه ، ولم يدخل القدس ولا الرملة ولا غزّه ؛ فهزّ أهلها هزه ، وبرز لهم برزه ، وأدخلهم تحت الرزة .

ثم مشى حتى دخل الخانكاه ، فزلزل أهلها ، واجتث أصلها ، وأخذها فئة بعد فئة ، وبلغ عدد الموتى كل يوم ثلثمائة ، وهو فى خلال ذلك يتخطف فى القاهرة قليلا ، ويطرقهم طرقا جميلا . بحيث أنه بين ظاهر وخافٍ ، والناس بين مثبت له ونافٍ .

فلما انتصف جُمادى الأولى أخذ فى الحركة ، وطرح على الناس الشبكة ؛ فظهر الطعن بعد خفائه ، وشهر بوفائه بواوه وفائه .

فلما استهل جمادى الآخرة ، هجم الهجمة الكبرى ، وعاث فى الناس بحرا وبرّا ، وكم أخلى قصرا ، وملأ قبرا ، فأخذ البنين والبنات ، والفتيان والفتيات ، وجمع فى الموت بين كل إلفين ، وبلغ عدد الموتى فى كل يوم أَزْيَدَ من أَلْفين ، وقيل أكثر من ذلك بضعف أو ضعفين . فكم أخذ من بنين نفائس ، ومن بنات عرائس[٢] !

وقفة مع النص :

(٢) قطيةُ : قال فى القاموس : قَطْية : بلدة بطريق مصر . والمعروف : قطْيا . أدخلهم تحت الرزة : جعلهم يختبئون منه . والرزّة الحديدة التى يدخل فيها القفل . والمراد: أغلق عليهم الأبواب وحاصرهم .

بقية الهامش رقم [٢] :

طرح على الناس الشبكة : كناية عن وقوعهم فى قبضته .

بوفائه : بتمامه . أو بظهور معظمه بالواو والفاء . الحرفان الأولان من الوفاة .

إِلْفين : بكسر الهمزة مثنى أليف وهو المحِبّ ، والمحبوب . أما أَلْفين بفتح الهمزة فهو العدد .

نفائس : غاليات .

[٣]

ومن جواهر جوارٍ خُنّس ، كأنهن الجوارى الكُنّس .

ومن عبيد وخدم ، لهم فى التأديب والتهذيب راسخة قدم .

سبقت لهم السعادة ، وسيقت لهم الشهادة ، فأكرم بها من شهادة جاء بها القضاء المحتوم ، وسعادة سقتهم عند الغرغرة كأساً من رحيق مختوم .

والذى يظهر فى بادى الرأى أنه ذهب فيه من القاهرة النّصف أو أشد ؛ فإنه كان يدخل البيت وفيه النسم ذوات العدد ؛ فإما يُخْليه فلا يذر فيه من أحد ، أو يأخذ كل خادم وولد ، ويترك الأبوين على ضمد .

وقلّ من سلم من طروقه ، أو خس نصيبه منه عند دخول سوقه ؛ فلذلك قلت :

يا عامَ سبعٍ قد أكلت الورى ... ورُحْتَ بالأولاد ثم التلاد

قد افترست الناس فى شدةٍ ... أنت إذن ـ والله ـ سبع شِداد

موقف من فرّوا منه :

وقوم فروا منه بأولادهم ، فأدرك كثيرا منهم فى الطريق ![٣]

وقفة مع النص :

(٣) الجوارى جمع جارية ، والخُنّس . جمع خانس . أى متواريات فى الحجب والجوارى الكُنّس : الكواكب السيارة ، أو هى النجوم كلها .

راسخة قدم : سبق ، وأصالة .

النّسَم : جمع نَسَمة . المخلوقات ذات الأرواح .

بقية الهامش رقم [٣] :

على ضمد : على جروح .
التّلاد : المال .
السبع الشداد : سنوات القحط فى عهد يوسف عليه السلام .

[٤]

وناداهم : أين المفر ، أيها الفريق ؟!
أنسيتم مانزل الله فى كتابه العزيز تنزيلا :

﴿ قل لن ينفعكم الفِرار إن فرزتم من الموت أو القتل ، وإذا لا تمتعون إلا قليلا ﴾ [١٦/الأحزاب] .

وكان أكثر عمله بالقاهرة شهراً ، قهر فيها الخلائق قهرا
وكان مخالفاً لعادة الطواعين بأمرين :
أحدهما ـــ أنه تأخر **طُروقه** عن ميعاده قريبا من شهرين
والثانى ـــ أنه هجم فى مصر قبل حلوله قرى البحرين .

وذلك أنه خالف العوائد فى أمرٍ آخرَ زائد ، وهو أنه مات به **من تقدم طعنه** ، وجرت العادة أنه لا يموت به وإن طعن كان سليما .

مواقف الناس منه :

وأكثر ناسٍ من أشياءَ لا تُغنيهم ، وأمور لا تعنيهم : من ذلك استعمالات قوابض ، ومُجَففَات وحوامض ، وتعليق فصوص لها فى كتب الطب نصوص ، وهذا باب قد أعيا الأطباء ، واعترف بالعجز عن مداواته الألبّاء[٤] !

وقفة مع النص :

(٤) طروقه: إقباله وقدومه وطرقه أبواب البلاد .
قرى البحرين : ما يقع منها على شواطىء البحر الأبيض والأحمر .
من تقدم طعنه : من أصيب به ، وإن طعن أى أصيب ثانية . أو تقدم فى السن والمراد أنه لم يبق على أحد .

——— بقية الهامش رقم [٤] :

الألباء : جمع لبيب .
أعيا : أعجز .

[٥]

لكــلِّ داءٍ دواءٌ يستــطب به . إلا الحماقَـــة والطاعـــونَ والهرَمـــا

وأناسٌ رتّبوا أدعيةً لم يرد بها حديث ولا أثر ، وابتدعوا أذكاراً من عند أنفسهم ، ونسوا : « **أين المفَرّ** » ؟!

وآخرون تحولوا إلى الروضة قطائع قطائع ، وأقبلوا إلى سكنها من القاهرة والقطائع ؛ ظنًّا أنها تُصْلِحُ من الهواء ما فسد ، وتروج من سوق الشفاء ما كسد ، وما شعروا أن مجاورة البحر من أكبر الأسباب المعينة للطاعون طِبًّا ، والمُضِرّةِ عند فساد الهواء بدنا وقلباً وجسما ولبًا .

إنما يصلح سكن البحر لمن يشكو من تُخَم ، أو سوء هضم ، أو نحو ذلك مما ليس عن فساد الهواء ، ولا عن أمر يتعذر منه الدواء .

وأما إذا فسد الهواء ، فالمكشوف أقتل ، والمغموم أفضل ، وتصلح الجافّة ومواضع الدخان ، وكل ما هو ردىء من المكان .

ومن أمثالهم المروية :

« الأمكنة الردية تصح فى الأزمنة الوبيّة »(٥) .

——— *وقفة مع النص :* ———

(٥) « أين المفر ؟ » إشارة إلى الآية الكريمة من سورة القيامة رقم ١٠ ﴿ **ويقول الإنسان يومئذ أين المفر** ﴾ ؟

﴿ **كلّا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر** ﴾ ١١ ــ ١٢ القيامة .

قطائع قطائع : جماعات وفصائل . كما نقول : قُطْعان .

أما القطائع : فهى التى أنشئت بعد الفُسطاط وقبل القاهرة .

الرديّة : الرديئة : سيئة التهوية .

[٦]

وقال بعض من أَلِفَ طِبًّا :

« أقبلُ الأبدانِ للطاعونِ ما كَانَ رَطْبًا » .

دخول شهر رجب وانحسار الطاعون :

فلما دخل شهر رجب رجَتِ الناسُ رحيلَه ، ورحب الصدرُ بتحويله ، وإن لم يكن لأحد فيه حيلَة ، فألَمَّ ببعض القرى البحْرية والقِبلية بعضَ الإلمام ، وزارها زيارة **الطيف** فى المنام ، ورحل عنها بسلام ، فما استوعب جميع القرى المذكورة كعادته ولا استوفاها ، ولا أكثر فى القرى التى دخلها من الأنفسِ التى توفّاها ، ثم طُفِئت نارُه ، ومُحِيتْ آثارهُ ، وكرّ راجعا إلى البلاد السّامية الشّامية ، وأنشدهم من القصيدة اللامية :

قد يدركُ المتأنّـــى بعضَ حاجتِـــه ... وقـد يكـونُ مع المستَعْجِـل الزَّلَـــلُ

ثم سكن وهدا ، وعاد من حيث بدا .

دخول سنة ثمان وتسعين :

فلما دخلت سنة ثمان وتسعين لم يرعهم إلا مجىء الأخبار بعوده إلى « الإسكندرية » وأنه يعيث فى الأصولِ من سكانها والذرية[٦] .

وقفة مع النص :

(٦) ما كان رطبا : من المعروف أن الرطوبة بيئة صالحة لانتشار الأوبئة بعكس الجفاف .

زيارة الطيف فى المنام : تكون سريعة ، ولا تستمر .

[٧]

فأرهبَ الناسَ بعوده إلى القاهرة ، وأرجفوا بأخذه ما بقى من نجومها الزاهرة

أقوال أهلِ العُلومِ والفُنونِ تَعليقاً على عودته كلٌّ بلغة مِهْنَتِه !

وَقال كل أحد ما تيسر له من مقاله ، ووجه بحسب فنه وحاله !

فقال المقرئ :

هذا باب **الإدغام** الكبير فى اللحود ، **والإخفاء** لكل بدر منير مغرب فى الأخدود ، **والإقلاب** لكل عبد أبق إلى فلك الردى ، وبَرّ وَدُود .

لئن تكرر هذا **المدّ المتصل** فى الأكفان ، ليتلون **كلّ منفصل** : ﴿ **كل من عليها فان** ﴾ [٤٣/هود] .

ولئن هجم هذا « الدانى » بحملته على القوم ليقولَنّ كل امرئ منهم : ﴿ **لا عاصم اليوم** » [٢٦/الرحمن] .

فنعوذ بالله أن يرسلَ علينا العام طواعينا ، تصير العيون **نونا ساكنة وتنوينا**(٧) .

وقفة مع النص :

(٧) أرهب الناس بعوده الى القاهرة : أخافهم .

وأرجفوا : الإرجاف : الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب .

المقرئ : الذى يُقرئ الأطفال وغيرهم القرآن ويعلمهم آداب تلاوته وقواعد تجويده .

الإدغام الكبير فى اللحود : اللحود : جمع لحد : القبر . والإدغام الكبير فيها : أى الإدخال الذى ليس بعده إدخال . وهو هنا يستخدم مصطلحاً تجويديا وهو الإدغام ، والإدغام : إدخال حرف ساكن فى حرف متحرك بحيث يصيران حرفاً واحدا مشددا يرتفع عنه اللسان ارتفاعة واحدة مثل : سلالة مِّن ، وعند التقاء المثلين المتحركين يصبح حكمها الإدغام ويسمى كبيرا .

الأخدود : الشق فى الأرض : اللحد والقبر . والمغْرِب : كل ماواراك وسترك وحين يأتى الطاعون تختفى على يديه البدور النيرة من الناس وتغرب وتغيب فى القبور . والإخفاء عند المجودين : هو النطق بالحرف بصيغة بين الإظهار والإدغام عارٍ من التشديد مع بقاء الغنة فى الحرف الأول وهو النون الساكنة أو التنوين .

الإقلاب : الإرجاع والإعادة : فكل منا سوف يرجع وينقلب إلى الأرض التى منها خلق سواء فى ذلك الآبق الهارب أو الطائع الودود . والإقلاب فى اللغة : تحويل الشئ عن وجهه . وعند المقرئين : قلب النون الساكنة والتنوين ميماً قبل الباء مع مراعاة الغنة والإخفاء .

ـــــــ بقية الهامش رقم [٧] :

هذا المدّ المنفصل : المقصود لئن ظل الطاعون فى هجومه يستأصل كل من يصادفه فسوف يرى من انفصلوا عنه الموت بأعينهم ، ويقولون : ﴿ **كل من عليها فان** ﴾ فقد جاء دورهم فإنه لايبقى ولا يذر .

المد المتصل : هو ما تأتى فيه الهمزة بعد مدّ فى كلمة واحدة مثل جاء ويجىء والسوء . أما إذا كان المد فى نهاية كلمة والهمزة فى بداية التالية لها فهو مد منفصل مثل : ﴿ **ما أغنى** ﴾ .

الدانى : القريب . ولا عاصم : لا منجى . والدانى وعاصم من علماء التجويد .

تصير العيون . عيون الناس . أى يطرأ عليهم السكون والموت . كما يطرأ على النون والتنوين : الإخفاء ، والإدغام والإقلال .

[٨]

وقال المحدّث :

قد جرى الدمع المتراكم ، ونفذ فى العام الماضى ما حكم به **الحاكم** من **صحيح** به أصبح للوساد **مسندا** ، **وعزيز** أضحى فى لحده **غريبا مفرداً** !

وضعيف أصبح على النعش **موضوعا** ، وعلى أعناق الرجال **مرفوعا** !

وكم **متصلِ** الحياة به صار **مقطوعا** !

وكم ميت أمسى فى أكفانه **مدرجا** ! وتوسد التراب بعد أن كان **مُدَبَّجاً** ؛ فإن عاد هذا العام لم يبق للناس من **أثر** ، ولم يرد عن الحياة **حديث ولا خبر**

فنسأل الله أن يجرينا على عوائده الحِسان .

وأن يمدّنا بنعمه التى لا يُحْصِى عدّها لسان[٨]

ـــــــ وقفة مع النص :

(٨) عندما ترد الكلمات الاصطلاحية على لسان المحدث يتبادر إلى الذهن معناها القريب . ولكن عند التأمل يتبين أنه يريد معنى آخر . فكلمات : الحاكم وصحيح ، ومسند ، وغريب ، ومفرد . لها معان اصطلاحية فى علم الحديث : ولكنه يريد أن يقول :

بقية الهامش رقم [٨] :

لقد نفذ فى العام الماضى قضاء الله فرأينا الصحيح أصبح التراب فى القبر وساده والعزيز فى قومه أصبح غريبا فى قبره مفرداً ، لا أنيس ولا جليس .

ويطلق الحاكم فى الحديث على من أحاط علمه جميع الأحاديث المروية متنا وإسناداً وجرحا وتعديلا وتاريخا .

والصحيح : ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط من أول الإسناد إلى منتهاه ، ولا يكون شاذا ولا معتلا .

والمسند : ما اتصل إسناده إلى رسول الله ﷺ كما عرفه الحاكم .

والعزيز فى اللغة هو صفة مشبهة من عز ، ومعناه : قل وندر . أو قوى واشتد .

وعند المحدثين : ما تحقق فى رواته اثنان ولو فى طبقة واحدة ، ولا يقل الرواة عنهما فى كل طبقة .

والغريب : بمعنى المنفرد والبعيد عن أهله ويطلق عليه كثير من العلماء اسم (الفرد) ؛ باعتباره مرادفا . وهو الذى تفرد به راو واحد .

الضعيف ، والموضوع ، والمرفوع . مصطلحات حديثية ، والمعنى المراد واضح ومعنى **الضعيف** عند المحدّثين : هو ما لم تجتمع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسن .

والموضوع : هو المختلق الذى لا أصل له .

والمرفوع : هو ما أضيف إلى رسول الله ﷺ خاصة سواء كان الذى أضافه هو الصحابى أو التابعى أو من بعدهما .

المتصل : ويقال له : الموصول . وهو ينفى الإرسال والانقطاع ، ويشمل المرفوع إلى النبى ﷺ والموقوف على الصحابى أو من دونه .

المقطوع : هو ما أضيف إلى التابعى قولا كان أو فعلا . سواء كان التابعى كبيرا أو صغيرا .

المدرج : هو الذى اشتمل على زيادة فى السند أو فى المتن ليست منه بحيث تلتبس على من لا علم له .

المدبج : أن يروى القرينان كل واحد منهما عن الآخر . حيث يتساوى الراوى والمروى عنه .

الأثر : اصطلح المحدثون على قصر الأثر على ما كان موقوفا على الصحابى .

الحديث : ما أثر عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة .

الخبر : أعم من الحديث .

وقال الفقيه : [٩]

قد تولّى ذلك الطاعون المتدلى ، ولعل هذا الذى بدا فرع من تتمة **المتولّى** .

ألم تر ذاك قد بلغ **النهاية** ، وإن كانَ قد تأخر فى **البداية** ؟

كم ثكلت به من أم ، وكم أجلٍ به قد حُمّ .

وكم سليم بات فيه فأصبح للغسيل مجردا .

وكم قرض فيه جرّ منفعة وأطلق يدا .

من سلم فيه فبأجلٍ .

ومن استسلم فيه آجره الله عز وجل .

فإن عزم العام على الرجعة ، وأضمر الأخذ بالشفعة ، ونوى القِران ، وألقى بالجران ، ليخلين مصر من أناسها ، وليأخذن الظباء من كناسها ، وليوحش المجالسَ من جلاسها(٩)

وقفة مع النص :

(٩) وقال الفقيه :

تولّى : ذهب . المتدلّى : الهابط علينا . القريب منا . الهابط من علو . الآتى .

ولعله فرع : من الطاعون السابق الذى تولى . والفرع يتبع الأصل .

وتتجلى المصطلحات الفقهية فى قوله : (فرع ـــ تتمة ـــ المتولى ـــ البداية ـــ النهاية) .

فالفرع فى الفقه : يقال : فروع الرجل : أولاده . وفروع المسألة : ما تفرع منها .

والتتمة : مايكون به كمال الشيء ، وتأتى فى نهاية الباب .

أما البداية والنهاية ، فإشارة إلى كتاب ابن رشد القرطبى فى الفقه وعنوانه : « بداية المجتهد ، ونهاية المقتصد » . وهناك كتاب فى فقه الأحناف يحمل نفس الاسم .

وكم أجل به قد حُم : قرب . أصبح للغُسْل مجَرّدًا : كناية عن الموت .

وفيه إشارة إلى مصطلح فقهى هو : الغسل .

وكم قرض جرّ نفعا جرّ منفعة وأطلق يَدًا : فيه إشارة إلى الاستخدام الفقهى للقاعدة

بقية الهامش رقم [٩] :

التى تقول : كل قرض جر نفعا فهو ربا .
والمراد بالقرض هنا : التجاوز والترك عن شماله أو يمينه ، بمعنى أن الطاعون حين يقرضهم ذات اليمين أو ذات الشمال . يهيىء لهم أن يعيشوا حياتهم فيطلق يدهم ، وينتفعوا بمالهم .
من سلم .. الخ : أى من سلم منه فإلى أجل . وفيه استخدام للفظ فقهى وهو السَّلَم : وهو بيع آجل بعاجل وليس ذلك مرادا .
الرجعة : يفهم منها الرجوع إلى الزوجة بعد الطلقة الأولى أو الثانية . ولكن المراد : على الرجعة إلى البلاد . وأضمر الأخذ بالشفعة : يفهم منها أحقيته وأولويته فى العودة إلى البلاد لأن له سابق عهد بها فهو أولى من غيره . والمراد : فإن أراد أن يعود ثانية .
القران : أن ينوى الحج والعمرة معا . ولكن المراد به . الجمع بين من أصابهم من قبل ومن بقى منهم .
وألقى بجرانه ثبت واستقر . والكناس : مكان فى الشجر يأوى إليه الظبى .

وقال الأصولى : [١٠]

(١٠) وقال الأصولى : كم مضى فيه من مندوب . وفات من مطلوب :
وكم قيد الطاعون من مُطْلق ، وأطلق من مقيد .
وكم هدم من قاعدة مؤسسة ، وأصلٍ مؤكّدٍ ، وبُرْجٍ مُشَيَّد .
وكم قطع من عَضُدٍ وساعد .
وكم زلزل من أصول وقواعد .
أتى على الخاص والعام ، وقضى على من قضى أجله فى ذلك العام .

وكم تعطل بسببه من واجب .
وقضى على كل عين برفع الحاجب .
فإن قال فى هذا العام بالتكرير ، وأجمع على شوبه بالتمرير ، ليعطلن طرق الاستفادة وحال المستفيد ، وليسدن مسالك الاجتهاد والتقليد[١٠] .

وقفة مع النص :

(١٠) وقال الأصولى : كم مضى فيه من مندوب . وفات من مطلوب .

لقد كان هذا الطاعون حائلا دون تحقيق الكثير مما كان ينبغى أن نفعله وهو يشير إلى مصطلح أصولى وهو **المندوب** : ويراد به ما طلب الشارع من المكلف فعله ، من غير تحتيم وإلزام ، ويستفاد ذلك من صيغة الطلب نفسها أو من صيغة القرائن .

وينقسم الحكم التكليفى عند جمهور الفقهاء ــ إلى خمسة أقسام هى : ١ ــ الإيجاب ، ٢ ــ الندب ، ٣ ــ التحريم ، ٤ ــ الكراهة ، ٥ ــ الإباحة .

وأساس هذا التقسيم أن الحكم التكليفى إما أن يقتضى طلب الفعل ، ويكون هذا الاقتضاء على وجه التحتيم والإلزام ، وذلك هو الإيجاب ، ويترتب عليه الوجوب . ويكون المطلوب فعله هو الواجب .

أو يكون هذا الاقتضاء ليس على وجه التحتيم والإلزام ، وذلك هو الندب ، ويترتب عليه الندب ، ويكون المطلوب فعله هو المندوب .

وكم قيد من مطلق وأطلق من مقيد : يقصد أنه كان له تأثيره فى المجتمع فمن الناس من وقع فى قبضته بعد أن كان طليقا ، ومنهم من هرب .

وهو هنا يستخدم مصطلحات أصولية . (المطلق ــ المقيد) فالمطلق : ما دل على معناه ولم يقترن به قيد يقلل شيوعه ، ومثاله : رجل ، وطالب ، وكتاب .

والمقيد : ما دل على معناه ، واقترن به قيد يقلل شيوعه . ومثاله : رجل رشيد ، وطالب مصرى ، وكتاب شريعة .

وكم هدم من قاعدة الخ : لم يفلت من قبضته أصحابها فصارت خرابا بعدهم . وهو هنا يشير إلى مصطلح أصولى وهو « القاعدة المؤسسة » فقد وضع فريق منهم قواعد روعى فيها تطبيق فروع المذهب عليها . ومن علماء الحنفية من وضع قواعد تندرج تحتها كثير من المسائل الفقهية كابن نجيم المصرى فإنه وضع كتابا سماه « الأشباه والنظائر » مثل : « اليقين لا يزول بالشك » .

وكم قطع من عضد وساعد : من الأبناء والأخوة الذين يعدون بهذه المنزلة . و« العضد والساعد والقطع » كلها مصطلحات فقهية نجدها فى باب القصاص .

وكم زلزل من أصول وقواعد : يقصد بالأصول الآباء والقواعد من النساء ويستخدم المصطلح الأصولى : « أصول وقواعد » .

أتى على الخاص والعام : أى لم يدع أحدا . والخاص والعام لفظان أصوليان سبق

بقية الهامش رقم [١٠] :

بيانهما . وقضى على مَنْ قضى أجله : أنهى حياة من انتهى عمره . (وقضى : على من قضى أجله . أى وفى ما عليه (من المصطلحات الأصولية) .

[١١]

وقال النحوى :

قد أفنى ذلك العام الماضى كل خليل ، وأتى بكل خطب جليل .

تواترت فيه من القاضية جمل ، ولم يبلغ فيه أحد من الشافية أمل .

كم ساء فيه من حال ، وتعطل فيه من حال ، ورفع كل فاعل ونائبه ، ولحق كل مطلوب بطالبه ، وجمع الموت بين كل مصحوب وصاحبه .

وكم أخذ من كبير مضخم ، وأخلى من بيت مُرَخّم .

فإن عاد ضمير الفصل ، وقضى الشان له بالوصل ؛ فورب الليل وما وسق ، والقمر إذا اتسق لئن عطف عاما بعد عام على نسق ، ليقطعن عائد كل موصول ، وليذهبن كل ذى حاصل ومحصول ، وليفتحن بابى الاستغاثة والنُّدبة ، وليرفعن بابى التمييز والنسبة، وليصيرن الأخبار بلا مسند إليه ، والمسند إليه بلا أخبار .

وليدخلن كل حى فى باب كان وبات وصار !

وليروين كتاب الفصول ويجيش ، لا عن يحيى ولا عن ابن يعيش[١١] .

وقفة مع النص :

(١١) وقال النحوى :

ونجد النحوى يستخدم مصطلحات النحو للتعبير عن انطباعاته ويستخدم أسلوب التورية .. تجد تلك الألفاظ ممثلة فى (الماضى — جمل — حال — رفع — فاعل — نائبه — ومطلوب — جمع — صاحب — مرّخم — عاد — ضمير الفصل — الشان — الوصل . عطف — نسق — عائد — موصول — الاستغاثة والندبة — ليرفعن — التمييز — مسند — مسند إليه — أخبار — كان — صار) .

وتجد يحيى وابن يعيش من أعلام النحو — والشافية من كتبه .

وقال الصّرْفى :

[١٢]

قد زلزل الطاعونُ الناسَ زلزلة وزِلْزالًا ، وقلقل الجُلاسَ قلقلة وقِلقالا ، وصَلْصل أصوات الناعياتِ صلصلة وصلصالاً .

وأدرج كل ميت فى أكفانه إدراجا . ودحرجه فى لحده دَحرجةً ودِحراجا .

كمْ مُدّ فى الكفن من ميتين فقصر المطول .

وكم التقى فى اللحد من ساكنبن فكسر الأول .

وكم انقرض به من نسب ، وانقطع به من سبب ، فإن ثنى هذا العام ، ولم ينفك عن الإدغام ، شتت الجمع ، واحَرّ الدمع ، وصغر البصر والسمع .

وترك كل أجوف عليلا ، وكل مضعف ثقيلا ، وكل سمع أصم ، وكل ذى ثلاثة وأربعة يفرد ولا يضم .

وكل ماض منقوصا ، وكل قاصٍ موقوصا .

فنسأل الله أن يمن علينا بالعافية ، ويحفنا بالطاقة الكافية ، الشافية الواقية الوافية[١٢] .

وقفة مع النص :

(١٢) وقال الصرفى :

الصّرفى : عالم الصّرف : والصرف علم تعرف به أبنية الكلام واشتقاقه . فمثلا : كل فعل رباعى على وزن فعْلَل فإن مصدره يكون على وزن : [فَعَلَلةٌ وفِعْلالا] وإلى هذا أشار عالمنا بقوله : زلزل زلزلة وزلزالا . ومثلها قلقل وصلصل . ونراه يستخدم لغته ومهارته الصرفية فى التعبير كما فى دحرج أما أفعل فإن مصدره الإفعال مثل : أدرج إدراجا .

كما نراه يشير بعد ذلك إلى المد والقصر مثل : الغِناء . والغِنى : والتقاء الساكنين وتحريك الأول بالكسر للتخلص من التقاء الساكنين مثل : ﴿ **قالتِ امرأة فرعون** ﴾ .

ونعود إلى المقصود :

زلزل الناسَ : هزهم وحركهم حركة شديدة . والزلزال هِزّة أرضية طبيعية والمقصود ما أحدثه الطاعون فى نفوس الناس وفى حياتهم .

بقية الهامش رقم [١٢] :

وقلقل الجلاس : الجلّاس جمع جالس . حرك الناس .

وصلصل أصوات الناعيات : جمع ناعية . وصلصل صوتها : أحدث صوتا فيه ترجيع كل ناعية تبكى موتاها .

وأدرج الميت فى كفنه : لُفّ .

فقصر المطول : حيث يشد عليه الكفن فيبدو قصيراً . فكسر الأول : حيث يفسح للقادم وتضم عظام السابق .

ونرى الصرفى يورّى عن مقصوده بألفاظ ومصطلحات من فنه مثل : (نسب — سبب — ثنى — ينفك — الإدغام — الجمع — صغّر — أجوف — عليلا — ثلاثة — يفرد — يضم — ماض — منقوصا) .

ويشير إلى أبرز الكتب فى فنه فيقول : الكافية — الشافية .

قاضٍ : بعيد .

موقوصا : مكسورا عنقه . كناية عن الهلاك أى لن يفلت من يده قريب أو بعيد .

وقال البليغ :

[١٣]

لقد حصل الطاعون فى العام الماضى ، فأورث حسرة وحَصْرا . وحمل وقرا وإصرا ، وعمر قبرا وخرّب قصرا .

وأخذ كل مُسند ومسند إليه .

وتحقق كل ما لك ووالد أن المال والولد مستعار لديه ، فأيقن كل بالممات ، وذهب تمنية وترجّيه وفات .

ولم يبق لأحد إلى الدنيا التفات .

وعلم أن زهرة الدنيا تخييل وأحلام .

وأنها كطيف مرّ فى المنام .

كم مات فيه من ميْت ، وكم خلافيه من قصر وبيت .

وكم من بديع الحسن أودع فى طباق الثرى .

ووشح بالأكفان لفًّا ونشرًا إلى يوم نشر الورى .

فوالذى أوجد الخلق بالإنشاء ، وهو قادر على إعدامهم إن شاء ، لئن عاد الطاعون فى هذا العام ليفتحن باب المجاز إلى القبور بمفتاح ؛ وليتبعن ما بقى بمصباح ، ولَيأخذنّ عروسَ الأفراح ، وغروس الأفلاح ، وعزوش الإنجاح .

فنسأل الله السلامة والسلام ، وأن يمن علينا بحسن التخلص وحسن الختام(١٣) .

وقفة مع النص :

(١٣) ونرى البلاغى يستخدم مصطلحات فنه مثل :

(حصر . حمل ــ قصرا ــ مسند ومسند إليه ــ مستعار ــ تمنّيه وترجيه ــ التفات) .

ونجد أنه فى هذه الفقرة قد استخدم مصطلحات علوم البلاغة الثلاثة : علم المعانى : الحصر والقصر والمسند والمسند إليه . والتمنى والترجى . الإنشاء .

وعلم البيان ممثلا فى المستعار والتخييل . والمجاز وعلم البديع ممثلا فى الالتفات : التوشيح ــ اللف والنشر .

ويشير بقوله بمفتاح إلى « مفتاح العلوم » الذى ألفه العلامة أبو يعقوب يوسف السّكّاكى المتوفى سنة ٦٢٦ وجمع فى القسم الثالث منه زبدة ماكتبه الأئمة قبله فى هذه الفنون .

وقد لخصه بعض المتأخرين كما فعل ابن مالك فى كتابه « المصباح » وإليه يشير بقوله ، وليتبعن ما بقى بمصباح .

[١٤]

استمرار الناس بين مرتقب لعوده ، ومتخوف من رجوعه :

واستمر الناس بين مرتقب لعوده ، ومترقب ، ومتخوف من رجوعه ، ومترهب .

ثم مشى من الإسكندرية إلى البُحَيرة ، وصيّر أهلها فى دهشة منه وحَيْره !

فمكث غير بعيد ، وتحول من البحيرة إلى جهة الصَّعيد .

فدخل البلاد التى كان تركها فى العام الماضى وخلّاها ، ومر عليها فأمرها

وما أحلاها ، وأحاط بها فأجلاها من أهلها وأخلاها !

موقفه من القاهرة :

وأما القاهرة فألمّ بها يسيرا ، ونقّر فيها تنقيرا ، وأخذ منها كل يوم دون المائة نقيرا .

وكان أكثر عمله من هرب فى العام الماضى وفرّ ، أو كان غائبا عنها فى سفر ، ثم تناقص بعد طلوع النجم مِصداق الآية والخبر .

فحمد العباد ربّهم وشكروه ، وأثنْوا عليه بماهو أهله وذكروه[١٤] .

وقفة مع النص :

نقّر : يقال : نقرَ الطائر فى الموضع : سَهّلَه ليبيض فيه .. ويقال : نقّر عنه : بحث وفتش . والمراد أنه أخذ واحدا من هنا وواحداً من هناك ولم يقض على الجميع .

النقير : السكين . ويضرب به المثل أيضا فى القليل .

[١٥]

عود على بدء مع أهل العلوم والفنون تعليقا على تناقصه :

فقال المُقرى :

تبارك الذى بيده المُلك ، وتعالى مُسَيّر الفلك ومسخر الفُلك .

الحمد لله الذى رفع الطاعون ، وجنبنا الذين يراءون ويمنعون الماعون .

ونعوذ بالله من سوء المنقلب ، ومن شر غاسق إذا وقب .

فطوبى لمن عقد توبة تنقذه يوم الحشر ، وملأ صحيفته حسنات تكون عند نشره طيبة النشر[١٥] .

وقفة مع النص :

(١٥) « طيبة النشر » اسم كتاب فى القراءات العشر لإمام الحفاظ وحجة القراء ابن الجزرى .. والمراد : أن حسناته تكون محمودة الأثر عند بعثه . والنشر الرائحة الطيبة .

[١٦]

وقال المحدث :

اللهم حوالينا ولا علينا ، وانظر بعين عنايتك إلينا .

الحمد لله على **رفع** الوبا ، **وحسن** النبا ، وحَلّ الحِبىٰ ، **ووصل** الحبا ، **وقطع** المادة ، **ووضع** العاهة الحادة .

فطوبى لمن عقد توبة نصوحا ، وأضحى حديث أعماله حسنا صحيحا .

وقال الفقيه :

قد آن سجود الشكر ، وأن تكون نية الطهارة من الذنوب على ذُكر .

فتيقظوا من السهو ، ودعوا اللعب واللغو ، واللهو .

وكونوا من قوم يصومون ويتصدقون ، ولاتيَمّموا الخبيث منه تنفقون .

والزموا باب الصَّلاةِ والصِّلات طلبا للمثوبة .

والوصية كل الوصية بالفرائض المكتوبة .

وعليكمْ بحسن التدبير فى الطاعة ، والمتابعة للسنة والجماعة وألقوا للتلاوة السمع .

وخذوا فى الأمل والعمل بالقصر والجمع .

وألقوا السلم قبل أن يغلق الرهن .

ولا تبيعوا الآجل بالعاجل ، فإن ذلك من أعظم الوهن .

واعلموا أن المال والولد عارية مردودة ، ووديعة لا شك وإن طال المدى مفقودة .

واتقوا الظلم فكما تدين تدان ، والجروح قصاص .

وأقلعوا قبل أن يطلب أحدكم الرجعة ولات حين مناص .

وبادروا من التوبة بالهفوات قبل أن تدخلوا باب الإحصار والفوات[١٦] .

وقفة مع النص :

(١٦) مع المحدث :

من الأدعية النبوية عند الظواهر الكونية إذا كثر المطر أو خاف الضرر « **اللهم حوالينا ولا علينا ...** » رواه البخارى من حديث أنس .

الوبا : هو الوباء (الطاعون) . والنبا : هو النبأ . فقد سمع من يبشر بأن الطاعون قد ولى وياله من نبأ حسن .

حل الحِبى : الحِبى بالكسر . ويقال : احتبى الرجل :

اذا جمع ظهره وساقيه بثوب أو غيره ، وقد يحتبى بيديه .. والمراد فك القيود والقدرة على الحركة والعمل والانطلاق بعد ان ألزم الطاعون الناس البيوت .

ووصل الحِبا : الحِباء (بالمد) : العطاء بغير عوض والاسم منه الحُبوة بالضم .

والمراد : عودة الخير والمياه إلى مجاريها بعد انقطاع .

قطع المادة : مادة الشيء أصوله وعناصره التى منها يتكون حِسيّة كانت أو معنوية والمراد قطع دابر المرض .

ووضع العاهة الحادة : وضعها عن الناس إسقاطها . والعاهة الحادة (الطاعون)

وتتجلى المصطلحات الحديثية فى عبارته : رفع : وهى إشارة إلى الحديث المرفوع وحسن إشارة إلى الحديث الحسن .

ووصل : إشارة إلى الحديث الموصول . وقطع إشارة إلى الحديث المقطوع .

ووضع : إشارة إلى الحديث الموضوع . ولا يسمى حديثا .

وكذلك الكلمات : حديث .. حسنا .. صحيحا .. كلها مصطلحات حديثية .

[١٧]

وقال الأصولى :

قد ذهب الداء المؤلم ، ووجب شكر المنعم ، وزال المكروه ، وقل المندوب ، فلله الحمد على حصول المطلوب .

وإن كان الموت على كل أحد من الحتم المطلوب .

وقفة مع النص :

(١٧) المكروه وهو : ما طلب الشارع من المكلف الكف عن فعله من غير تحتيم ، وليس مرادا هنا وإنما المراد ما تكرهه النفس من وقوع البلاء .

المندوب : ما طلب الشارع من المكلف فعله من غير تحتيم وإلزام ، وليس مرادا هنا ، وإنما المراد من يندبه الناس ويبكونه .

[١٨]

وقال النحوى :

قد رُفع « **باب الندبة** » وفتح **باب النسبة** ، وخفض باب الكربة ، فالحمد لله على حسن التصريف ، والإراحة من أدلة التعريف(١٨)

وقفة مع النص :

(١٨) وقال النحوى :

رفع باب الندبة : انتهت الأحزان . وندب الميت بكى عليه وعدد محاسنه. وقد استخدم المصطلح النحوى « باب النُّدبة » والمندوب هو المتفجع عليه . مثل : وازيداه . أو المتوجع منه مثل : واظهراه !

وفتح باب النسبة : المراد الحياة والتوالد بعد ما كان من موت وهلاك حيث ينتسب الأبناء من جديد إلى الآباء . « وباب النسبة » من أبواب النحو . إذا أردنا النسب إلى الشئ فلابد من زيادة ياء مشددة مكسورٍ ما قبلها ، فإذا أردت النسب إلى مصر قلت مصرى .

الكُربة : الغم الذى يأخذ بالنفس . وفى التعبير بالرفع والفتح والخفض استخدام للمصطلح النحوى الذى يدل على حركات الإعراب لكنه غير مراد . فالحمد لله على حسن التصريف : الذى كان من الطاعون .. والإراحة من أدلة التعريف ، فالناس فى الطاعون لا يكاد يعرف بعضهم بعضا حتى ليصدق فيهم المثل : انج سعد فقد هللك سعيد !

والتصريف فى المصطلح النحوى : اشتقاق بعض الألفاظ من بعض .. وأدلة التعريف : كالعلمية ، والإضافة إلى علم ، وال ، والإشارة ، والموصول ، والإضافة إلى ياء المتكلم .

وقال الصرفى : [١٩]

قد حصل النجاح ، واتسع المراح ، ونادى داعى الفلاح ، ووقع الاعتدال ، وانفك القلب من الاختلال ، فالحمد لله على السلامة من الاعتلال[١٩] .

وقفة مع النص :

(١٩) اتسع المراح : مرحت الأرض بالنبات أخرجته ، والمراد : عم الخير وكثر . انفك القلب من الاختلال : تخلص القلب مما أصابه . والحمد لله على السلامة من الاعتلال : المرض . والمراد به : العضو العضلى الأجوف الذى يستقبل الدم من الأوردة ويدفعه فى الشرايين .

وفى كلمة القلب وكلمة الاعتلال استخدام لمصطلحين صرفيين : فتغيير حرف العلة للتخفيف يسمى إعلالا بالقلب مثل حمراء أصلها حمرىٰ بألف مقصورة ، وكقلب الألف واوا فى التصغير كما فى كاتب : نقول : كُوَيتب .

[٢٠]

وقال البليغ :

قد ذهب الحصر ، وعمر القصر ، وحصل النصر ، وصلح الاستخدام ، فالحمد لله على حسن الختام .

واتقوا الله يا أولى الألباب إن كنتم تسمعون ، ولا تغفلوا عن طاعة الله إن كنتم فى مثوبته تطمعون ، ولا تغرنكم المهلة ؛ فإنما هى فُسْحَةٌ لكم لعلكم تذَكرون وتنتفعون ، وسيلحق آخركم بأولكم فطوبى لقوم يفقهون ويعون ، ولأوامر الله ورسوله متبعون . كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون[٢٠]

وقفة مع النص :

(٢٠) ذهب الحصر : ما كان من محاصرة الطاعون لهم ، وتضييقه عليهم . وعمر القصر ، أصبح عامرا بعد ما كان من إهلاك الطاعون للأنفس .

بقية الهامش رقم [٢٠] :

وحصل النصر على الوباء ، وصلح الاستخدام : اتخاذ الخدم لإنجاز العمل .
والمستخدَم : من يؤدى عملا فى الحكومة ونحوها بأجر .

أما الألفاظ الاصطلاحية البلاغية فهى :

الحصر : إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه ، ويعرف بالقصر .

الاستخدام : هو ذكر اللفظ بمعنى وإعادة ضميره بمعنى آخر ، أو إعادة ضميرين عليه تريد بثانيهما غير ما تريد بأولهما كقوله تعالى : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ فالمراد بالشهر : الهلال . وبضميره : الزمان المعلوم .

حسن الختام : يراد به فى البلاغة : ختم الكلام بما يناسب صدره نحو : ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ فإن اللطيف يناسب كونه غير مدرك بالأبصار ، والخبير يناسب كونه مدركا للأشياء .





[١١] المقامــة اللّازوَرْديَّــة
فى
التعزيــة عن فقــد
الذريــة

عزى فيها عن فقد الذرية بآيات وأحاديث وآثار ، وأشعار ، وذكر فيها ثواب الله على الفجيعة بهم ، وما جاء فى شفاعتهم لآبائهم وسؤالهم لهم الرحمة والغفران توجد مخطوطة بمكتبة الحرم المكى ، وبالكتبخانة الخديوية وبالخزانة العامة بالرباط .

بسم الله الرحمن الرحيم

[١]

قال الله سبحانه :

﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولـئك هم المهتـــدون ﴾ [١٥٥ ــ ١٥٧/البقرة] .

ماذا يراد بالثمرات ؟

فسر قوم من العلماء الثمرات بالأولاد ؛ لأنهم ثمرات الفؤاد ، **وفِلَذ** الأكباد ، ومُصَابهم من أعظم مصاب ، ومماتهم **يصدع** القلوب **والأوصال** والأعصاب !

ياله من **صدع لا يُشْعَب** ، وشَعْب **لا يرأب** ! **يوهى** القُوى ، ويقوى الوهى ، وينهى العافية ويعفو النُّهى ، ويوهى العظم ، ويعظم الوهن ويرهن الأغلاق ، ويغلق الرهن[1] .

وقفة مع النص :

(١) الفِلْذة : القطعة من الكبد واللحم والذهب والفضة ، وجمعها فِلَذ ، وأفلاذ . وأفلاذ الأكباد : الأولاد .

يصدّع : يشق .

الأوصال : جمع وُصل بضم الواو وبكسرها وهو المفصل أو مجتمع العظام ، وكل عظم على حِدَةٍ لا يكسر ، ولا يو صَل به غيره .

صدع : شق .

لا يشعب : لا يُلَمّ ولا يُصْلَح .

الشعب : الانفراج والصدع . لا يُرأب : لا يلأم ويُصْلح .

يوهى : يضعف . الوَهى : الشق والصدع .

ويعفو النهى : يمحو العقل ويزيله ويؤثر عليه . والنُّهى : جمع نُهية .

بقية الهامش رقم [١] :

ويرهن الأغلاق : الرهن الحبس . والأغلاق مالا يقدر على فكاكه .

ويغلق الرهن : يوجبه للمرتهن .

[٢]

مُرّ المذاق صعب لا يُطاق ، يضيق عنه النطاق شديد على الإطلاق .

وكيف أطيق أن أنسى حبيبا يقطع ذكرُه بردَ الشرابِ

ألا لستُ ناسيه ولكن سأذكره بصبرٍ واحتسابِ

حث الدين على الصبر والوعد :

لا جرمَ أن الله تعالى حث فيه على الصبر الجميل ووعد على ذلك بالأجر الجزيل .

قال الله تعالى فيما ثبت من الأحاديث القدسية فى صحيح السنة :

« **ما لعبدى عندى جزاء إذا قبضت صفيّة من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة** » .

وثبت فى الأحاديث المتواترة عن النبى المختار : « **لا يموتُ لأحدٍ من المسلمين ثلاثةٌ من الولد فتمسّه النار** »(٢) .

وقفة مع النص :

(٢) يضيق عنه النطاق : لا يمكن احتواؤه . مما يدل على استفحاله .

يقطع ذكرُه برد الشراب : يقطع على المرء لذته .

احتسبه : طلب الثواب من الله [أخرجه البخارى] .

بقية الحديث كما جاء فى نظم المتناثر من الحديث المتواتر لأبى جعفر الكتانى : «**فتمسّه النار إلا تحلة القسم** » .

رواه الإمام البخارى فى الجنائز عن على — هو ابن المدينى — ورواه مسلم فى آخر كتاب البر والصلة عن أبى بكر . ورواه ابن ماجه .

والمراد بتحلة القسم قوله تعالى : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ [مريم/٧١] .

[٣]

وفى لفظ : « **من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حجابا من النار** » .

وفى لفظ : « **احتظر من النار بحظار** » .

وجاءت رواية : **أو اثنان**»أو«**واحد**» بفضل رحمة العزيز الغفار .

أوّلا تطيب نفس بما ورد أن الولد يتلقى أباه ، فيأخذ بثوبه ، فلا ينتهى حتى يدخله الله الجنة وإياه ؟! هم دعاميص الجنة ، دخالون فى منازلهم بغير جُنة ، يتلقون آباءهم من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل ؛ حيث سلموا من الحنث والإثم والدخل .

ما أثقل الولَد الصالح فى الميزان ! .

وما أفضل غنمه الرابح حيث يفتح لأبيه أبواب الجنان . وما أسَرّه إذ يتلقاه بكأس الشراب وهو فى الموقف ظمآن .

ذلك تخفيف من ربكم لذنوبكم ورحمة بعباده المؤمنين[٣] ﴿ **إنه من يتّق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ [٩٠/يوسف] .

وقفة مع النص :

(٣) الحديث الذى أشار إليه السيوطى بقوله : « أو اثنان » « أو واحد » قال أبو عيسى هذا حديث غريب . قال الحافظ عبد المؤمن الدمياطى رواه ابن ماجه عن نصر بن على أيضا .

الدعاميص : أى صغار أهل الجنة . واحدهم دعموص . وأصل الدعموص دويبة تكون فى الماء لاتفارقه . أى أن هذا الصغير فى الجنة لا يفارقها . والحديث رواه مسلم بلفظ « **صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه ، فيأخذ بصنفة ثوبه ، كما آخذ بصنفة ثوبك هذا ، فلا يفارقه حتى يدخله الجنة** » .

حيث يفتح لأبيه أبواب الجنان .

[٤]

ألا إن الذى لم يقدم من ولده شيئاً هو الرّقوب .

اذكروا ما ابتلى الله به من فراق ولده ثمانين عاما صَفِيّه « يعقوب » .

« **من حمد ربه واسترجع عند قبض ولده بنت الملائكة له بيتا فى الجنة وسموه بيت المجد** » .

فطوبى لمشهده ، وكيف لا يوطن نفسه على فراق الأحباب ولله كل يوم ملك ينادى بباب السماء :

« **يٰأيها الناس ، لِدُوا للموت وابنوا للخراب** » وأوحى الله ذلك إلى آدم حين أهبط من الجنان .

وصاح به من الطير ورشان بحضرة النبى سليمان .

قال بعض من تقدم فى الزمان :

وللموت تغْذُو الوالداتُ سخالَها ... كما لخرابِ الدورِ تُبْنَى المساكن

وقال بعض من تأخر :

بَنِى الدّنيا أَقِلّوا الهمّ فيها ... فما فيها يَؤُولُ إلى الفَواتِ

بناءٌ للخرابِ ، وجمع مالٍ ... ليفنى ، والتوالُد للمماتِ[٤]

وقفة مع النص :

(٤) الرّقوب : الذى لا يبقى له ولد . والتى لا يعيش لها ولد . وهذا فى كتب اللغة ، وقد جاء فى الحديث الذى رواه أبو نعيم : « **ماتعدون الرّقوب فيكم** » ؟ قال : قلنا : الذى لا يولَد له ولد . قال : « **ليس ذاك بالرقوب ، ولكن الرقوب الذى لم يقدم من ولده شيئا** » صحيح . أخرجه مسلم (١٦/١٦١ ــ ١٦٢) وأحمد (١/٣٨٢) ، (٥/٣٦٧) من طريقين ، والبخارى (ص/٥٤) فى الأدب المفرد ، وابن حبان (٢٩٣٩) . والبيهقى (٤/٦٨) فى السنن الكبرى .

● **استرجع** : قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » كما روى عن النبى ﷺ : « **من استرجع عند المصيبة جَبر الله مصيبته وأحسن عقباه ، وجعل له خلفاً صالحا يرضاه** » أخرجه ابن

بقية الهامش رقم [٤] :

جرير (٢٦/٢) ، والطبرانى : (١٣/٢٧) فى الكبير . وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٣١/١) وقال : رواه الطبرانى فى الكبير . وفيه على عن أبى طلحة وهو ضعيف .

● السخال : جمع سخلة : الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز ساعة يولد . وأنشده البيهقى بسنده إلى ثابت البربرى من أبيات له . ذكره العجلونى .

● « لِدُوا للموت » أى اولدوا . مذكور فى كشف الخفاء تحت رقم ٢٠٤١ .

● رواه البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة والزبير مرفوعا بلفظ : **إن ملكا ينادى بباب من أبواب السماء** فذكر حديثا ، وفيه وأن ملكا بباب آخر يقول .. **يأيها الناس هلموا إلى ربكم** .. إلخ وأن ملكا آخر ينادى : **يابنى آدم لدوا للموت وابنوا للخراب** .. ورواه أحمد والنسائى فى الكبير بدون الشاهد منه وصححه ابن حبان .

● وصاح به ورشان : الورشان : طائر من الفصيلة الحمامية . وذكره العجلونى قائلا : وأخرج الثعلبى فى تفسيره بإسناده واهٍ عن كعب الأحبار قال : صاح ورشان عند سليمان ابن داود . قال : أتدرون مايقول هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : يقول : « لدوا للموت وابنوا للخراب » فذكر قصة طويلة .

● وقال بعض من تأخر .. إلخ البيتان لابن حجر . كما ذكر العجلونى فى كشف الخفاء .

[٥]

وأعظم ما يُسلّى الوالدَ عن صَفِيّه مصيبته بسيده وهاديه ونبيه قال ﷺ مرشدا بالقول الصائب :

« **من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بى فإنها أعظم المصائب** » .

وفى حديث آخر :

« **من أصيب بمصيبة فليتعزّ بمصيبته بى عن حملها ، فإنه لن يصاب أحد من أمتى من بعد بمثلها** » .

وما أحسن ما كتب به شاعر إلى أخيه يعزيه عن ابنه ويسليه :

اصبرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجلّدِ ... واعلم بأن المرء غير مُخلّدِ
وإذا ذكرت محمداً ومُصابَه ... فاذكر مُصَابك بالنبى مُحَمّدِ

ومما يجلب الأُسى ، ويذهبُ بعض الأسى ، تذكر ما وقع للخلق من ذلك :

فقَلّ أحَدٌ إلا وقد سُلِك به هذه المسالك ؛ كتب ذو القرنين لأمه حين حضرته الوفاة مرشدا :

أن اصنعى طعاماً للنساء ، ولا يأكل منهن من أثكلت ولدا ؛ فلما فعلت ، ودعتهن لم يأكل منهن واحدة ! وقلن : ما منا امرأة إلا وقد أثكلت ما هى له والدة !

فقالت : إنا لله ، وإنا إليه راجعون ، هلك ابنى !

وما كتب بهذا إلا تعزية لى ، وتسلية عنى ![٥]

وقفة مع النص :

(٥) الحديث الذى رواه الحافظ عبد المؤمن فى هذا المجال عن ابن ماجه فى الجنائز : « **من أصيب بمصيبة فذكر مصيبته فىّ وأحدث استرجاعا وإن تقادم عهدها . كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب** » . ضعيف جدا .

وقد ذكر حديثين آخرين بلفظ « **مامن مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكر مصيبته فى ...** » والثانى بلفظ « **مامن مسلم ولا مسلمة تصيبه مصيبة وإن قدم عهدها ..** » وفيهما ضعف .

اصبر لكل مصيبة .. إلخ الشاعر : أبو العتاهية . ذكر البيتين مع غيرهما المنبجى الحنبلى فى كتابه « تسلية أهل المصائب » بعد أن ذكر الحديث الذى رواه أبو نعيم « **إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بى فإنها من أعظم المصائب** » وقال مقدما لها : وما أحسن ما قاله أبو العتاهية فى نظمه موافقا لهذا الحديث .

يجلب الأسى : بالضم جمع أُسْوة : ما يتعزى به ـــ ويذهب الأَسى ـــ بالفتح ـــ أى الحزن ويمكن أن تكون الأولى مفتوحة ويراد بها العلاج والشفاء من الحزن .

أثْكلت وَلدا : فقدت .

[٦]

وقالت امرأة من العرَب ، أفنى الطاعون أهلَها واستلبَ :

ولولا الأسى ماعشت فى الناس ساعةً

ولكـن متـى ناديتُ جاوبنـــى مِثلى

وقالت الخنساء ، وهى تتأسّى :

ولــــولا كثرة البــــاكين حولى　على إخوانِهـــم لقتـــلت نفسى
وما يبكين مثــلَ أخـــى ولكـــن　أعــزّى النـفسَ عنــه بالتّـــأسّى
يُذَكّرُنى طلــوعُ الشمسِ صخــراً　وأذكـــره لِكُـــلِّ غروبِ شمسِ

وقال امرأة ـــ مُرَجّعَهْ ـــ من بنى عامر بن صعصعهْ :

ربيتُهـم تسعةً حتـــى إذا اتسقـــوا　أُفْرِدْتُ منهم كقرن الأعضب الوَجِد
وكل أم وإن سُرّت بما ولــــدتْ　يوماً ستثكلُ ما ربّتْ من الوَلَــد[٦]

وقفة مع النص :

(٦) اتسق : استوى وامتلأ وتكامل .
أُفرِدْت منهم : أصبحت فريدة وحيدة وخُلّى بينى وبينهم .
الأعْضب : ما كسر قرنه . فهو أعضب وهى عضباء وفى الحديث : « **نهى أن يضحى بالأعضب القرن** » .
الوَجِد : المنفرد بنفسه .

[٧]

ابن المُقْعَدَيْن !

كان بمكة مُقعدان لهما ابن شاب يقوم بأمرهما ، ويسعى فى الكسب عليهما وسترهما ، فأدركه **حِمامه** ، وانقضت مدته وأيامه ، فقال ﷺ معزيا لكل والدين :
« **لو تُرِكَ لأحدٍ لتُرِك ابنُ المُقْعَدَيْن !** » .

خالد بن صفوان فى موت ابنه :

وأنشد خالد بن صفوان وقد مات ابنه مردداً .

وهوّنَ ما ألْقَى مِنَ الوَجْدِ أنّنِـــى　أجـــاوِرُه فى دارِه اليـــومَ أو غَدَا

التأسى برسول الله ﷺ :

هذا سيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، قبض الله أولاده فى حياته ، ليُعظِمَ له

الزُّلفى فى درجاته ؛ فمات له من الأولاد ستة ، أو سبعة ، أو ثمانية نجوم :
القاسم ، وعبد الله ، والطيب ، والطاهر ، وإبراهيم ، وزينب ، ورقية ، وأم كُلثوم .
ولم يتأخر بعده من أولاده إلا فاطمة الزهرا .[٧]

وقفة مع النص :

(٧) الحِمام : بكِسر الحاء : الموت .
الوَجد : الحزن .
الزُّلْفى : القُربى والمنزلة العظيمة .
الزهراء : لقب فاطمة بنت رسول الله ﷺ مؤنث الأزهر : كل لون أبيض صاف مشرق مضئ والجمع : زُهْر .

[٨]

ولم تعش بعده إلا ستة أشهر وليالى زُهْرا .
فكان موتها ، وموت أبيها ، وأخيها إبراهيم فى تسعة أشهر أو تنقص شهرا .

تعزية للشافعى :

كتب الشافعى إلى عبد الرحمن بن مهدى وأرسل إليه يعزّيه فى ابنه ، وقد جزع عليه :

إنِّــى مُعَــزِّيك لاأنِّــى على ثِقَــةٍ من الحياةِ ولكــن سُنَّــةُ الديــن
فما المعــزِّى بباقٍ بعــد صاحبِــه ولا المَعَزَّى ولــو عاشا إلى حين

سليمان عليه السلام وموت ابن له :

مات لسليمان عليه السلام ــ ابن ، فاشتدّ عليه وجده ، وتعاظَم فقدُه ، فنزل إليه مَلَكَان . عليهما السلام ــ وبرزا له فى صورة أخصَام فقال أحدهما :
إنى بذَرْتُ بَذْراً لأحصدَه ؛ فلما اشتد مَرّ به هذا فأفسدَه !
فقال الآخر : إنه بذر على الطريق ، فأخذت عليه ، ففسد للمضيق .

وقفة مع النص :

(٨) أخصام : جمع خصم وهو المخاصِم . وجمعه أيضا خصوم .
أخذ على يده : منعه ممّا يريد أن يفعله . وأخذ عليه الأرض : ضيق عليه سبلها .

فقال سليمان للأول : [٩]
أما علمتَ أن مأخذَ الناسِ على الطريقِ العابرة ؟!
فقال : يا سليمان ! فلِمَ تحزن على ابنك وأنت تعلم أنك ميت ، وأن سبيلَ الناسِ إلى الآخرة ؟!
ثم قال : ما كان ابنك يَعْدِلُ عندك ؟ وما قدره هنالك ؟
قال : كان أحبَّ إليَّ من ملءِ الأرض ذهباً .
قال : فإن لك من الأجر على قدر ذلك .

تعزية مُعَاذ :

وفى تعزية معاذ ـــ وإن تضمن إسناد الحديث وَهْناً :-
« اعلم أن الجزع لا يردُّ ميتا ، ولا يدفع حزناً »(٩) .

وقفة مع النص :

(٩) مأخذ الناس : أخذهم ، الوَهن : الضعف .
أَمَضّ المصائب : أشدها إيلاماً من وجع المصيبة .

قول للشافعى فى تعزيته :

« أَمَضّ المصائب فقد سُرور ، مع حرمانِ أجر ؛ فكيف إذا اجتمعا على اكتساب وزر ؟! » :

تصَبّرْ فإنّ الأجْرَ أسنى وأعظـمُ ... ورأيُك أهـدَى للتـى هِيَ أقـومُ
ولو جازَ فَرْطُ الحزن للمرء لَمْ يُفِدْ ... فما بالُنـا لا نستفيدُ ونأثـمُ ؟!
وإنّـىَ عَن ندْبِ الأحبّـةِ ساكِتٌ ... وإن كانَ قَلْبـى بالأسى يتكَلّـم
أُعَزّيكَ عَنْ غُصْنٍ ذَوى قبل ما ارتَوى ... وقـامت به وُرْقُ الثّنـا تترَنّـمُ
على مثـل هذا عاهـدَ الدهرُ أهْلَـهُ ... وِصالٌ وتفريـق ، يَسُرُّ ويُؤلِـمُ
وإنْ مُنِـعَ الغُيّـابُ أنْ يَقدُموا لنـا ... فإنـا على غُيّابنـا سوف نَقـدُم

كأس ما مِن سابق إلا ذاق طعمها الأَمَرّ :

مات لأبى بكرة من الأولاد دفعة واحدة أربعون ! ولأنس بن مالك ثلاثة وثمانون ولدا وذلك بالطاعون !

وقلّ أن يكون أحدٌ مِمّن غَبَر إلا وذاق طعم هذا الكأسَ الأمر :

من صحابة وأتباع ، ورءوسٍ وأشياع ، وعلماء وزهاد ، وقراء وعُبّاد !

كم من خليفةٍ عهد لولده بالخلافة واستخلفه ، فجاءه الموت فأخذه من بين يديه واختطفه !

وكم من ملك دانت لهُ الرقابُ وذَلّت ، وفرّت منه الأسود وولّت ، وأخذ القِلاع والحصون ، وحاز من الأموال كلّ كَنْزٍ مَصُون ؛ جاء الموت فاستلب ولده ، والتهب كبده ، ولم يقدر أن يفديه بما حوته يده ![١٠]

وقفة مع النص :

(١٠) أقوم : اسم تفضيل من قام ، ومعناه : أفضل ، أو أعدل ، أو أقرب إلى الصواب أى التى هى أعدل وأكثر إفضاء إلى الحق والخير .

أسنى : أرفع قدرا وأعظم درجة .

فرط الحزن : شدته وزيادته .

ندب الأحبة : بكائهم والحزن عليهم .

ذوى : ذبل .

— بقية الهامش رقم [١٠] :

وُرْق : جمع ورقاء : الحمامة . الثنا : الثناء . تترنم : تغرد وتذكره بالخير وتبكيه .
الطاعون : مرض وبائى خبيث . وهو أنواع :
أ ـــ الطاعون الدّمّلى ، ب ـــ الطاعون التسمّمى ، جـ ـــ الطاعون الرئوى .
والأولان : مرض الفئران وتنتقل العدوى منها إلى الإنسان بواسطة براغيث الفار . أما الرئوى فينتقل بواسطة الرذاذ ويأتى عادة بسبب مضاعفات النوعين الأولين . ونسبة الوفيات فى الأول ٥٠ ـــ ٧٠ فى المائة أما فى النوعين الأخيرين فهى ١٠٠٪ .
الرءوس : جمع رأس . ورأس القوم : كبيرهم .
والأشياع : جمع شيعة . وهم الأتباع .

[١١]

استحسان موت الأولاد :

وكم طرق هذا الطارق من أمير ووزير ، ومستشارٍ ومشير ، وكبير وصغير ، وغنى وفقير ، وطبيب ولبيب ، وعدو وحبيب ، كل قد دارت عليه هذه الكاس ، ولم تفرق بين عارٍ وكاسٍ ؛ فلذلك تمنى ألا يولد له من تمنى ، وتغنى به من تغنى لما تغنّى !

أرى ولَدَ الفتى ضرراً عليه	لقد سَعِدَ الذى أضحى عقيما
فإمّا أن يربيه عَدُوًّا	وإمّا أن يُخلّفَه يتيمَا
وإمّا أن يُوافيه حِمامٌ	فيبقى حُزْنُه أبداً مقيما

وبعضهم استجاد الموتَ وأجاد إذ قال فى الإنشاد :

لئِنْ أوْحَشَتْ مِمَّنْ أحِبُّ منازل	لقد آنسَتْ مِمّن أحِبُّ المقابِرُ
وكُنْتُ عَلَيْه أَحْذرُ الموتَ وَحْدَه	فلَمْ يبْقَ لى شئٌ عليه أحاذِرُ

وكيف لا يُسْتَحسَنُ موت الأولاد ، وهو الزمان الذى ظهر فيه الفساد ، وكثر فيه العناد ، ولا يظفر فيه بواحد من الألف ساد .

وهو الذى أخبر عنه سيد بنى كنانة بقوله :

« لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجلُ بقبر الرجل فيقول : ياليتنى كنت مكانه ! »

ولقد أبدع وشنّف ، قول العباس بن الأحنف :

يبكي رجالٌ على الحياةِ وقد أفنى دموعى شوق إلى الأجلِ
أموت من قبل أن يغيرنى الدهرُ فإنى منه على وَجَلِ

تعزية رجل لآخر فى ابن له :

وعزّى رجل رجلاً بابن له يسليه عنه ؛ فقال :

« اللهُ خيرٌ له منك ، وثوابه خيرٌ لك منه » .

وعُزِّىَ آخرُ بابنة له فقيل له :

احمدِ اللهَ على أمرِك ؛ حيث أعزها بوقوفك على قبرها ، ولا أذلها بوقوفها على قبرك[11] .

وقفة مع النص :

(١١) هذه الكاس : أى كأس الموت وقد خففت همزتها لأجل التجانس بينها وبين عار وكاس . أى مكسو وهو ضد عار .

تمنى الشيء : قدره وأحب أن يصير إليه . من تمنى .. أى من تمنى ولادته بعد أن رأى ما رأى من اختطاف الموت له ويمكن أن يكون : « من تمنى » أى من تمناه من منى يمنى . أو من تمنى : أى من اختطفته المنية .

تغنى لما تغَنّى : تغنّى ردّد فى شعره ، ومنه الشعر الغنائى . وتعنّى : ناله بسبب فقده العناء .

استجاد : رآه حسنا وجيدا ومدحه . وأجاد فى مدحه .

ما يهون أمر الولد فى وفاته :

[١٢]

ومما يهوّن أمرَ الولِد فى وفاته :

حصولُ الراحة له من حوادثِ المرضِ وآفاته ، وما يقاسيه من العناء ، وما يكابده من شدة **الضنى** ؛ حتى يقول الوالدُ الرحيم — وليس له غير دمعه من حميم :

يالـــيتَ عِلّتَـــه بى غير أنّ له أجــرَ العليــلِ وأنى غير مأجــورِ

وإذا تذكر الإنسان ما تلقاه به مولاه ، وأكرمه به سيده وحياه ، هان عليه فراقُه ، وعَذُبَ عنده مذاقُه ، وعلم أن المولى خير له من أبويه ، وأنه صار إلى ما هو خيرٌ له وأحبُّ إليه .

من ذلك أن ملكَ الموت يُقْريه من ربّه السلام ، وتتَلقّى روحَه — حين تخرج — الملائكةُ الكرام ، وتُلَفّ فى حريرة بيضاء من حرير الجنان ، ويضم إليها المسك والريحان ، وتتلقاه أرواحُ المؤمنين ، ويُصْعَدُ به إلى السماء مع الآمنين .

ولا يزال يعرج من سماء إلى سماء ، وكل من مَرّ عليه من الملائكة يُقبل عليه مُسَلّما ، إلى أن يأتوا إلى سِدْرَة المنتهى ، وإليها كل مؤمن وقف وانتهى[١٢] .

وقفة مع النص :

(١٢) العنا : العناء خففت همزتها ، لتتفق معها الفاصلة بعدها .

الضّنى : المرض والهُزال الشديد .

يُقرِيه : يقرئه خففت همزتها ويقرئه السلام: يلقيه عليه ويبلغه إياه .

[١٣].

فيقف بين يدى مولاه ، ويقولون :

هذا عبدك فلان توفيناه ، فيؤمر بالسجود ، فتسجد النّسَمة ؛ فياله من موقِف ما أشرفه وأعظمه !

ثم يأتيه بأمانة من العذاب صَكٌّ مختوم ، وكتاب مرقوم ، ويوسّع له فى قبره مدّ البصر ، ويجعل له فيه نور مثل نور الشمس والقمر .

وينبذ فيه الريحان ، ويبسط فيه من الحرير ألوان ، وتفتح الملائكة له باباً إلى الجنة عَليًّا ، وينظر إلى مقعده فيها بُكرة وعشيًّا .

ويكفيك ما ثبت فى السُّنة أن :

« **القبر روضةٌ من رياضِ الجَنة** » .

وتُطْلق الروحُ من سجنِ الدنيا الذى كانت فيه ، فإن الدنيا سجن المؤمن وخلاصَةُ من ذلك السجن تَوَفّيه .

ويُعطَى فى قبره ما شاء من أنواع الإيمان ، إن شاء أن يصلى صلّى ، وإن شاء قرأ القرآن[13] .

وقفة مع النص :

(١٣) توفيناه : قبضنا روحه .

نسمة : كل كائن حى فيه روح فهو نسمة .

صكّ : الصكّ وثيقة تتضمن حقا لمن تسلم إليه .

« **القبر روضة من رياض الجنة** » . قال العجلونى : رواه الترمذى والطبرانى عن أبى سعيد ، ورواه الطَّبرانى أيضا عن أبى هريرة . وكلاهما رواه مرفوعا بسند ضعيف .

توفيه : قبض روحه كما جاء فى الكتاب العزيز : ﴿ **الله يتوفى الأنفس** ﴾ [٤٢/الزمر] .

[١٤]

ويُعْطَى مصحفاً من ذهب يقرأ فيه ، وناهيك بمن يحبه الله من حملة كتابه ويصطفيه !

ووردت أحاديث عديدة ، أسانيدها مجيدة أن : من حفظ شيئا من القرآن ، ومات قبل تتميمه بعث الله إليه ملائكة فى قبره يحفظونه مابقى ، ويقومون بتعليمه .

وكم للمؤمن فى قبره من إكرامٍ وامتنان ، منها :

● أنه يُكسى عند وضعه فيه حُلّةً من الجنان .
● ويؤذنُ له فى الزيارة والمحادثة لمن فى قبورهم من الإخوان .
● وإذا زاره أحد من معارفه فى الدنيا حصل له به استئناس .
● وإذا سلم عليه رَدّ كما يردُّ الحَيُّ من الناس(١٤) .

وقفة مع النص :

(١٤) ناهيك : كافيك عن تطلب غيره .

مقر الروح :

وأما مقر الروح ، وما أدراك ما مقر الروح ؟! فمختلف بحسب الصاحب ، ومتَنَوّعٌ على قدر المراتب :

● فأرواح فى حواصل طيرٍ خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش إذا باتت وباءت .
● وأرواحٌ فى قبة خضراء سندسية على بارق نهر بباب الجنة العَلِيّة ؛ يخرج إليهم رزقهم منها غُدْوة وعَشِيّة .
● وأرواحٌ الأطفال الذين لم يبلغوا الحِنْث ولم تَجْرَح ــ عصافير من عصافير الجنة ترعى وتسرح .
● وأرواحٌ فى السماء الدنيا أيضًا .
● وأرواحٌ فى السماء السابعة فى دار يقال لها : « البيضا » .
● وأرواحٌ فى كفالة جبريل :
● وأرواحٌ فى كفالة ميكائيل .
● وأرواحٌ فى خزنة رمائيل .
● وأرواحٌ فى سبب ممدود بين السماء والأرض ، وذلك فيما بين المشرق والمغرب فى العرض .
● وأرواحٌ فى برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت ولا تلتزم .
● وأرواحٌ تجمع بأريحاء وتجيء إلى الجابية .

• وأرواحٌ ببئر زمزم .

تفاوتت فى المقر الأعظم ، تفاوتاً بحسب مقامها ، واختلفت على حسب أعمالها وإعظامها[١٥] .

وقفة مع النص :

(١٥) قناديل : جمع قنديل ، وهو ما يضاء للإنارة كالمصباح .

البارق : اللامع المتلألئ .

الغُدوة : أول النهار ، والعشية آخره . والمراد أن رزقهم غير مقطوع ولا ممنوع .

الحنث : قال فى أساس البلاغة . ومن المجاز : بلغ الغلام الحِنْثَ ﴿ **وكانوا يُصِرون على الحنث العظيم** ﴾ الإثم : استعير من حنث الحانث الذى هو نقيض بره .

لم تجرح : لم تصل إلى مرحلة الاكتساب . يقال فلان جارح قومه : كاسبهم . أو لم تجرح : لم تجترح . والاجتراح : الاكتساب وأكثر ما يستعمل فى الجرائم ﴿ **أم حسب الذين اجترجوا السيئات** ﴾ . أو لم تجرح : لم تسئ ، ولم تذنب .

السبب : الحبل .

البرزخ : الحاجز بين شيئين ، وما بين الموت والبعث ، من مات فقد دخل البرزخ ، وفى التنزيل العزيز : ﴿ **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾.

اتصال الروح بالبدن :

[١٦]

ولكل روح اتصال ببدنها معنوى ، وتعلق بجسدها قوى ، بحيث يصح أن يسلم عليها ، وتفهم ما يقع من الخطاب لديها ، وتسمع الكلام ، وترد السلام ، وهى فى الرّفيق الأعلى ، والفريق الأجلي ، لأن الروح لها شان ، لا يشابه شأن الأبدان ، بحيث تكون فى محال متعددة فى آنٍ واحد !

وعلى ذلك يتنزل مسألة تبدل الوليّ ، وأحاديث جَمّة الموارد ، وأقرب شبه فى ذلك الشمس المنيرة ؛ فإنها فى السماء وأشعتها فى الأرض كثيرة ؛ وقد صح الحديث من طرق غزيرة . وأخرجه أحمد والحاكم والبيهقى من رواية أبى هريرة «أن أولاد المؤمنين فى جبل فى الجنة له وَسَامَة .

[١٧]

يكفُلُهم إبراهيم وسارة حتى يردّهم إلى آبائهم يوم القيامة .

فنعم الوالدان الكافلان هما ، وهنيئا مريئا لولد فارق أبويه وأمسى عندهما .

وقفة مع النص :

(١٦) فى الرفيق الأعلى : الأنبياء والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .
جَمّةٌ : كثيرة .

[١٧]

من مات من الأطفال وهو يرضع : فإن له أن يغذى فى الجنة ويروى ويشبع .

ورد فى الحديث : « **إن فى الجنة شجرة من خير الشجر لها ضروع كضروع البقر ، فمن مات من الصبيان الذين يرضعون ، رضعوا منها أكتعون أبصعون** » .

وورد فى الحديث عن سيد بنى عبد مناف بن قصَىّ : « **كل مولود ولد فى الإسلام فهو فى الجنة شعبانُ رَيّان يقول : يارب ! أورد علىّ أبوىّ** » .

ومما يُغْبَطُ فيه الأطفال أنهم ينجون فى القبر من هول السؤال ، وغيرهم من البالغين يسألون ، ويقلقون ، ويتلتلون ، ويكرر عليهم السؤال سبعة أيام ، ولهذا كان السلف يستحبون عنهم فيها الإطعام(١٧) .

وقفة مع النص :

(١٧) قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر .. وذكر الحديث بسنده : قال : « **صلى رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم ومات وهو ابن ستة عشر شهرا** ، وقال : « **إن له فى الجنة من يتم رضاعه وهو صدّيق** » ورواه أبو يعلى ، وجابر الجعفى . ضعيف .

ومما انفرد به البخارى : لما توفى إبراهيم — يعنى ابن النبى — ﷺ قال رسول الله ﷺ : « **إن له مرضعا فى الجنة** » . وإنما كان ذلك ؛ لأنه مات وهو مُرْضَع .

ويقول أبو عبد الله المنبجى الحنبلى فى كتابه : « تسلية أهل المصائب » . والأصل عدم

بقية الهامش رقم [١٧] :

الإختصاص ، إلا أن يقوم عليه دليل ، ولم نجده . وإن كان عاما فى حق أولاد المؤمنين كما ذكر فى بعض الآثار ــ ولا يحضرنى الآن ــ ولكن متنه « إن فى الجنة شجرة تحمل الثدى يرتضع منها الولدان » فهى بشارة عظيمة للمؤمنين فى ولدانهم .
يُغْبط : أى يتمنى كل من الكبار مثل مالهم من النعمة من غير أن يريدوا زوالها عنهم . أى يحبون أن يكونوا مثلهم فى النجاة من هول سؤال القبر ، وليس فى هذا حسد مذموم وإنما هى غبطة محمودة .

[١٨]

فأعْظِم بالسلامة من هذا الهول من سلامة ، **وناهيك** بالمعافاةِ من هذه الفتنة من كرامة .

وقد قال **النسفى** وهو الإمام الجليل الكبير :

الأنبياء وأطفال المؤمنين ليس عليهم حساب ، ولا عذاب القبر ، ولا سؤال منكر ونكير .

وتمام النعمة والكرامة أنهم يكونون فى ظل العرش يوم القيامة مأذوناً لهم فى الشفاعة مجاباً قولهم بالقبول والطاعة .

ورد فى الحديث من طريق الحفاظ المتضلعين : « ذرارى المسلمين يوم القيامة تحت العرش شافعين ومشفعين » .

وقال تعالى : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين** ﴾ [٣٨/المدّثر] .

قال على بن أبى طالب وعبد الله بن عمر : هم أطفال المسلمين[١٨] .

وقفة مع النص :

(١٨) ناهيك : أى أن المعافات من هذه الفتنة كرامة ما بعدها من كرامة وهى وحدها تنهاك عن تطلب غيرها .
النسفى : هو الإمام الجليل العّلامة أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى شيخ

بقية الهامش رقم [١٨] :

الإسلام والمسلمين صاحب التفسير المشهور الذى جعله جامعا لوجوه الإعراب والقراءات ، متضمنا لدقائق علمى البديع والإشارات ، حاليا بأقاويل أهل السنة والجماعة ، خاليا عن أباطيل أهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل .

المتضلعين : يقال : تضلع من العلوم ونحوها امتلأ .

ذرارى : جمع ذرية .

رهينة : حبيسة .

[١٩]

ثم إذا دخلوا الجنة كانوا مع أرفع الأبوين مكانا ، وخير الوالدين فضلا وإحساناً .

وقد روى ابن أبى الدنيا عن ابن مسعود وهو كمرفوع السنة :- أن أطفال المسلمين ملوك يُخدمون فى الجنة .

وروى ابن أبى حاتم عن خالد بن معدن ذى الجلالة والإمامة أن :

« سقط المرأة يكون فى نهر من أنهار الجنة يتقلّب فيه حتى تقوم القيامة » .

فيأيها الوالد الجريح ، **والواله القريح** ، لماذا البُكى والصريخ بعد هذا الخبر الصريح ؟! ولماذا العويل والضجيج بعد ما ثبت فى الحديث الصحيح ؟! .

ولماذا التلهف والتأسف بعد هذا القضاء المربح المريح .

فإن كنت تبكيــه طلابــاً لنفعــه … فقـد نال جنـاتِ النـعيم مُسارعَـا
وإن كنت تبكـى أنـــه فات عَوْدُه … عليك بِنَفْعٍ فهـو قد صار شافعا[١٩]

وقفة مع النص :

(١٩) ذكر فى تطييب خاطر الوالدين لما توفى إبراهيم قال النبى ﷺ : « **إن له فى الجنة من يُتم رضاعه ، وهو صديق** » . الإمام أحمد . ورواه أبو يعلى الموصلى ، وجابر العصفى (ضعيف) .

وقال البخارى وانفرد به « **إن له مُرضعاً فى الجنة** .

ـــــ بقية الهامش رقم [١٩] :

والأصل عدم الاختصاص إلا أن يقوم عليه دليل ، فهو بشارة عظيمة للمؤمنين فى أولادهم .

الواله : الذى أذهب الحزن عقله من شدته .

القريح : الجريح .

فى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام أحمد عن معاذ : قال رسول الله ﷺ : « **والذى نفسى بيده إن السِّقط ليجرّ أمه بسَرَرِه إلى الجنة إذا احتسبته** » ورواه ابن ماجه أيضا والدرامى من حديث يحيى بن عبد التيمى به .

وروى ابن ماجه : « **إن السقط ليراغم ربه ـ عز وجل ـ إذا أدخل أبويه النار ، فيقال : أيها السِّقط المراغم ربه أدخل أبويك الجنة** » .

وروى ابن ماجه ورواه أيضا عبد الله بن الإمام أحمد : « **لسقط أقدمه بين يدى أحب إلىّ من فارس أخلفه خلفى** » .

[٢٠]

فطِبْ نفسا بهذا الفضل العظيم ، وقَرَّ عيْناً بنزول ولدك فى جوار الرب البر الرحيم ، وأنشد عن نفسك قول شاعر حكيم .

جاورتُ أعـــدائى وجـــاور ربّـــه   شتّـــانَ بين جواره وجـــوارى

وإن تلوت :

﴿ **يا أسفىٰ على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم** ﴾ [٨٤/يوسف] **فَاتْلُ تِلْوها** :

﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم** ﴾ [١٥/التغابن] وأكثر من **الاسترجاع** كلما ذكرته تفز من الأجر بأوفى نصيب ففى الحديث : « **من ذكر مصيبته وإن تقادم عهدها فاسترجع كتب له من الأجر مثله يوم أصيب** » .

وورد فى آثار حسنة : « **من استرجع بعد أربعين سنة** » .

وورد فى حديث مرفوع على إرساله : « **مما يُحبط الأجر فى المصيبة تصفيق**

الرجل بيمينه على شماله » . فصبر جميل ، ورضى بما قضى المولى الجليل ، وتسليم لمن هو أرحم بعبده من أبويه ونعم الكفيل ، وتفويض إليه فى كل صباح ومساء وغدو وأصيل ، وإذا نـزغ من الشيطان والنفس نزغ فتعوذ بالله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل[٢٠] .

وقفة مع النص :

(٢٠) تِلْوها : عقبها .

الاسترجاع : قولك : **﴿ إنا لله وإنّا إليه راجعون ﴾** .

« من ذكر مصيبته .. إلخ » ذكره المنذرى بلفظ : **« من أُصيب بمصيبة ؛ فأحدث استرجاعا ــ وإن تقادم عهدُها ــ كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب »** . رواه ابن ماجه .





١٢ ـــ مقامة الروضة

فى
والدى خير البرية

توجد مخطوطة بدار الكتب المصرية ، وبالخزانة العامة بالرباط .

طبعت على الحجر بحيدر اباد عام ١٣١٦ وطبعت بمصر مفردة ، وضمن مجموعة .

« أ » قرر فيها نجاة والدى الرسول عليه الصلاة والسلام :

- إمّا لأنهما عاشا فى زمن الفترة .
- أو لأنهما كانا على ملة إبراهيم الخليل عليه السلام .
- أو لأن الله جلت قدرته ـــ أحياهما كرامةً لرسوله ﷺ حتى آمنا بما جاء به .

«ب» ورد فيها على الإمام السخاوى !!

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل المقامة :

[١]

﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفُسكم عزيز عليه ما عَنِتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رحيم ﴾ [التوبة/١٢٨] .

نبىٌّ سَرِىٌّ ، قدره عَلِىّ ، وبُرهانُه جَلِىّ .

خير الخليقة أُمًّا وأبًا ، وأزكاهم حسباً ونسباً .

خلق اللهُ لأجله الكونين ، وأقرَّ به من كل مؤمنٍ العينين . وجعله نبىَّ الأنبياء وآدم مُنْجدِلٌ فى طينته ، وكتب اسمه على العرش إعلاماً بمزيته عنده وفضيلته .

وتوسّل به آدم فَتابَ عليه ، وأخبره أنه لولاه ما خلقه ؛ وناهيك بها مزيةً لديه :

نبىٌّ خُصَّ بالتقديم قِدْماً ... وآدمُ بعدُ فى طينٍ وماءِ
كريم ، بالحيا من راحتيه ... يجود ، وفى المحيَّا بالحياءِ(١)

وقفة مع النص :

(١) ما عنتّم : ما تحملتم من مشاق . والسرِىّ : الشريف . جَلِىّ : واضح . أزكاهم : أطهرهم . الحسب : ما يُعَدّ من المناقب وشرف الآباء . والنسب : القرابة والأصل . والكونين : الدنيا والآخرة . أقربه العينين : أسعدهما وأرضاهما .

وآدم منجدل فى طينته : قال فى لسان العرب : المنجدل : الساقط ، والمجدّل الملقى بالجدالة وهى الأرض وفى الحديث : أن النبى ﷺ قال « **أنا خاتم النبيين فى أم الكتاب ، وإن آدم لمنجدل فى طينته** » . المزيّة : فى كل شىء : التمام والكمال . والمزية : الفضيلة . يقال : له عليه مزية . قال : ولا يبنى منه فعل . ويقال : له عندى مزية : إذا كانت له منزلة ليست لغيره .

ناهيك بها مزية : أى هى تنهاك عن البحث عن غيرها ففيها ما يكفى دليلاً على مزيته .

[٢]

من خصائصه ﷺ :

ومن خصائصه فيما ذكر الغزالى وغيره :

- أن الله ملّكه الجنة ، وأذِنَ له أن يُقطِعَ منها مَنْ يشاء ما يشاء ، وأَعْظِمْ بذلك مِنّة .
- وخَصّه بطهارَةِ النسبِ تعظيماً لشانه !
- وحفظ آباءه من الدنسِ تتميما لبرهانه !
- وجعل كل أصلٍ من أصولهِ خيرَ أهلِ زمانه !

كما قال فى حديث البخارى الذى تقطع بصدوره من فيه : « **بعثتُ من خير قرونِ بنى آدم قرناً فقرنا حتى بُعَثت من القرن الذى كنت فيه** » .

وقال ــ عليه الصلاة والسلام :ــ

« **أنا أنفسكم نسبا وصِهراً وحسبا ، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصَفّى مهذبا ، لاتتشعّب شعبتان إلّا كنت فى خيرهما فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً** »(٢) .

وقفة مع النص :

(٢) من خصائصه :

يُقطع : يعطى من يشاء قطعه أو إقطاعية .

مِنّةً : عطية ، وإحساناً وإنعاماً .

الشان : مخففة (بدون همزة) : الشأن

الدنس : الوسخ . ويقال : دنس ثوبه ودنس عرضه وخلُقه .

والحديث أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة .

[٣]

وأجدِر بقول صاحب البُردة أن يكون له فى عرصات القيامة عُدّة :

وبَــدا للوجـــودِ مِنْك كريـــمٌ ... مِن كريـــمٍ آبـــاؤه كُرَمَـــاءُ

نسبٌ تحسَبُ العُـــلَا بحُـــلاهُ ... قلّدتْهَـــا نجومَهـــا الجوزاءُ

حَبّذا عقودُ سُؤْدُدٍ وفخارٍ أنت فيه اليتيمة العَصْماءُ[3]

وقفة مع النص :

(٣) والبوصيرى صاحب البردة : محمد بن سعيد بن حماد الذى صفت نفسه وفتح الله عليه فى مدح رسوله ﷺ بقصائد رائعات منها بردته الميمية التى يقول هو إن سبب نظمها أنه كان أصيب بفالج أقعده فنظمها متوسلاً إلى الله فى شفاء علته فرأى فى منامه أن الرسول ﷺ ألقى عليه بردته فأصبح وقد زال مابه .

ومن هذه القصائد همزيته التى مطلعها :

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ماطاولتها سماء ؟!

ومنها اللامية التى عارض فيها قصيدة « **بانت سعاد** » لكعب بن زهير فى مدح الرسول ﷺ والجوزاء : برج من بروج السماء . ويضرب بها المثل فى العلو .

واليتيمة : مؤنث اليتيم . ومن الدر : الثمينة التى لا نظير لها .

[٤]

قول ابن حجر :

وينظم فى سلك هذه الدُّرر ، قولُ حافظ العصر أبى الفضل بن حجر :

نبىّ الهُدَى المختارُ من آل هاشم فعَن فخرهم فَلْيُقْصِرِ المتطاولُ
تنقّل فى أصلابِ قومٍ تشرفواْ به مثلَ ما للبدر تلك المنازلُ

وقد ورد :

« **أن قريشاً كانت نوراً بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفى عام ، يسبّح ذلك النور ، وتسبح الملائكة بتسبيحه عليهم الصلاة والسلام ، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور فى صلب آدم** » ، وهو الدرة الفاخرة ، قال : « **ثم لم يزل ينقلنى من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة** » ويشهد لذلك بالاستئناس ، ما أنشده إياه عمه العباس :

من قبلهــا طِبْتَ فى الظـلالِ وفى مُستَـوْدَعٍ حيثُ يُخصفُ الــورق

ثم هَبَطْتَ البلادَ لا بَشَرٌ أنت ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ
بل نطفةٌ تركبُ السفينَ وقد أَلْجَمَ نسراً وأهلَهُ الغَرَقُ
تُنْقَلُ من صالبٍ إلى رحمٍ إذا مَضى عالَمٌ بَدا طَبَقُ
حتى احتوى بيتُكَ المهيمنُ من خِنْدِفَ علياءَ تحتَها النُّطُقُ(٤)

وقفة مع النص :

(٤) **الحافظ** : هو الذى أحاط بما لا يقل عن مائة ألف حديث متناً وسندا .

ويقول السيوطى فى ترجمة ابن حجر هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد العسقلانى المرى إمام الحفاظ فى زمانه وقاضى القضاة .

وانتهت إليه الرياسة فى الحديث وألّف كتباً كثيرة كشرح البخارى .

وقد ورد : أخرجه ابن أبى عمر العدنى فى مسند عن ابن عباس « **أن قريشاً كانت نوراً ... إلخ** »

طبت فى الظلال إلخ .. يشير إلى حياة الأب آدم فى ظلال الجنة .. ثم بعد أن بات هو وحواء يخصفان عليهما من ورق الشجرة بعد أن أكلا منها فبدت لهما سوءاتهما . ويقول فى البيت الرابع إذا مضى قرن ظهر قرن آخر وإنما قيل للقرن طبق ؛ لأنهم طبق للأرض ثم ينقرضون ويأتى طبق آخر للأرض وكذلك طبقات الناس كل طبقة طبقت زمانها . وأراد بالصالب : الصُّلب .

خِنْدِف : قال فى لسان العرب : خندف امرأة إلياس بن مضر بن نزار . واسمها ليلى . نسب ولد إلياس إليها . وهى أمهم .

والنُّطُق : جمع نطاق . وهى أعراض من جبال بعضها فوق بعضها . أى نواحٍ وأوساطٌ منها . شبّهت بالنطُق التى يشدّ بها أوساط الناس . ضربه مثلاً له فى ارتفاعه وتوسطه فى عشيرته . وجعلهم تحته بمنزلة أوساط الجبال . وأراد ببيته : شرفه .

والمهَيْمن: نَعْته . أى حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خندف .

وأنت لما وُلِـــــدتَ أشرقتِ الأر ضُ وضاءت بنــــورك الأُفُـــق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النّــو ر وسبـــل الـــرشاد نَختــرقُ[٤]

وأخذ **الميثاق** على النبيين إن جاءهم أن يؤمنوا به وينصروه ولو أدركوه لما وسعهم إلا أن يتبعوه **ويعزروه ويوقروه** .

وأرسله إلى جميع الخلق كافّة من الإنس والجن والملائكة **الصافة** .

قال **الباخرزى** : وأدخل فى دعوته الحيوانات والجمادات والحجر والشجر .

وقال **السبكى** : هو مرسل إلى كل من تقدم من الأمم **وغَبَر** .

قال : فجميع الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ، ومشمولون برسالته ونبوته ؛ ولذلك يأتى عيسى فى آخر الزمان على شريعته .

وجميع الشرائع التى جاءت فيها الأنبياء شرائعه ، ومنسوبة إليه ؛ فهو نبى الأنبياء ، وما جاءوا به إلى أممهم أحكامه فى الأزمنة المتقدمة عليه[٥] .

وقفة مع النص :

(٥) إشارة إلى قوله سبحانه فى سورة آل عمران الآية رقم ٨١ ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتٰب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمِنُنَّ به ولتنصرنه قال ءَأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ .

إصرى : عهدى وميثاقى الشديد المؤكد .

فالرسول محمد ﷺ كما يقول ابن الأثير : خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين هو الإمام الأعظم الذى لو وجد فى أى عصر لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا فى بيت المقدس ، وكذلك هو الشفيع فى المحشر .

ويعزّروه ويوقروه : يعينوه ويقودوه وينصروه ويعظموه .

الصّافّة : قال فى لسان العرب فى قوله عز وجل ﴿ **والصافات صفًّا** ﴾ قيل:الصافات

بقية الهامش رقم [٥] :

الملائكة مصطفون فى السماء يسبحون الله ، ومثله ﴿ **وإنا لنحن الصافّون** ﴾ ، وذلك لأن لهم مراتب يقومون عليها صفوفاً كما يصطف المصلون .

غَبَر : مضى .

الباخرزى : (أبو الحسن على) فقيه شافعى درس على الجوينى فى نيسابور له « دمية القصْر .. » .

السبكى : (على تقى الدين) كبير فقهاء الشافعية فى عصره . ولى قضاء الشام .

[٦]

هكذا قرره ذلك الإمام الحبر الذى لا تكاد تسمح الأعصار له بنظير ، وأفرد له تأليفاً مستقلا حقه أن يُرْقَم على السندس بالنضير ، ويوافقه من النظم النضيرى قول الشرف البوصيرى :

وكـلُّ آيٍ أتَـى الـرُّسْلُ الكرامُ بها ... فإنما اتّصَلَتْ من نُورِه بِهِـــم
فإنـــه شمسُ فضلٍ هُمْ كَواكبُها ... يُظهِـرنَ أنوارَهـا للنـاسِ فى الظُّلَـمِ
وكلُّهُـــمْ من رسولِ ملْتَـــمِسٌ ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الدِّيَم
وواقفـــون لديـــه عنـــد حدهـــم ... من نقطة العِلْم أو من شكلة الحكم

وأجرى على يديه من المعجزات ألوفاً جملة ، وآتاه من الخصائص مالم يؤتِه نبيًّا قبله .

وكان مما نسب من المعجزات والخصائص إليه :

إحياؤه ــ حتى آمنا به ــ أبويه .

موقف أهل العلم من حديث الإحياء :

ومازال أهل العلم والحديث فى القديم والحديث يروون هذا الخبر وبه يسرون .

وينشرونه بين الناس ولا يُسِرّون ، ويجعلونه فى عداد الخصائص والمعجزات ، ويدخلونه فى حيز المناقب والمكرمات(٦) .

وقفة مع النص :

البوصيرى :

(٦) يرقم : الرقم : الخط والمقصود : يُكتَب ، والسندس : ضرب من رقيق الديباج ، والنّضير : الذهب .

والشرف البوصيرى : صاحب البردة محمد بن سعيد بن حماد المغربى الأصل البوصيرى المنشأ .

آى : جمع آية ، أى معجزة .

رشفاً : مصًّا بالشفتين . الدّيم : بكسر الدال المشددة وفتح الياء جمع ديمة ، وهى مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق .

ومعنى هذا أن ما جاء به الأنبياء السابقون صلوات الله عليهم من الهدى إذا قيس إلى هدى محمد ﷺ كان كغرفة من بحر أو رشفة من مطر . والبيتان الأخيران مقدمان فى البردة عن البيتين قبلهما .

المناقب : جمع مَنْقبة ، والمكرمات : جمع مكرمة : الفعل الكريم والمفخرة . والمكرمة فعل الخير ، وقد جاء فى الأثر : « **بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » .

وورد فى كشف الخفاء الحديث رقم ١٥٠ ولفظه : «**أحيا الله أبوى النبى ﷺ حتى آمنا به**» أورده العسكرى عن عائشة . وقال فى التمييز تبعاً للمقاصد أورده الخطيب فى السابق واللاحق ، وكذا السهيلى عن عائشة وقال : « فى إسناده مجاهيل » .

وقال ابن كثير : إنه منكر جداً ، وإن كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله ، ولكن ثبت فى الصحيح ما يعارضه .

[٧]

ويَرَوْن : أن ضعف إسناده فى هذا المقام مغتفر .

وأن إيراد ما ضعف فى الفضائل والمناقب معتبر .

وقد خرجت الأئمة فى أبواب المناقب ما هو أشد ضعفا من هذا ، وتسامحوا فيها بإيراد مالم يصل إلى رتبته **ولا حاذى** .

ووجّهوه بأنواع من التوجيه ، وارتضوه لما فيه من **التبرئة والتنزيه** .

فقال القرطبى : إن فضائل النبى ﷺ وخصائصه لم تزل تتوالى إلى حين مماته ، وتتابع إلى وقت وفاته ؛ فيكون هذا مما فضله الله وأكرمه فضلا .

وليس إحياؤهما **بممتنع شرعاً ، ولا عقلاً** .

وقال ابن سيد الناس :

ذكر بعض أهل العلم أن النبى ﷺ لم يزل راقيا فى **المقامات السنية** ، صاعداً فى الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه ، **وأزلفه** بما خصّه به لَدَيْه ، من الكرامة حين القدوم عليه(٧) .

وقفة مع النص :

(٧) **حاذى** : حاذاه صار بحذائه ووازاه .

التبرئة والتنزيه : تبرئتهما من العذاب ، وتنزيههما عن الكفر .

والقرطبى : هو مؤلف التفسير الباق إلى يومنا أبو العباس بن أحمد بن عمر الأنصارى المالكى .

الممتنع: يقال امتنع الشيء : تعذر حضوره.

ابن سيد الناس : فقيه شافعى ولّى دار الحديث له «سيرة النبى ﷺ» سماها «عيون الأثر فى فنون المغازى» .

المقامات السَّنية : الدرجات العالية السامية . ويقول الغزالى فى كتابه «كيمياى سعادت طبعة الهند ٣٣٧ (وهو بالفارسية) ، وهو غير كتاب الغزالى المسمى بهذا الاسم بالعربية ــ : اعلم أن أول مقامات الدين إنما هو اليقين والمعرفة . ويتولد عن المعرفة «الخوف» ، ويتولد عن الخوف «الزهد» ، ومن الزهد والتوبة ينشأ الصدق والإخلاص والمواظبة على الذكر والتفكر على الدوام ، ومنها يتولد الأنس والمحبة .. وهذه هى نهاية المقامات . أما الرضا والتفويض والشوق فمن توابع المحبة . فأكسير السعادة باليقين والمعرفة إنما هو الخوف . وكل ما كان بعده لا يستقيم بدونه» .

ليس بممتنع : فقد ورد فى القرآن إحياء قتيل بنى إسرائيل ، وإخباره بقاتله .

أزلفه : أدناه وقربه .

فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له بعد أن لم تكن ، وأن الإحياء والإيمان متأخر عن تلك الأحاديث ، فلا تعارض .

وقال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقى :

حَبَـا اللهُ النبـىَّ مزيـد فضلٍ على فضلٍ وكان به رءوفَـا
فأحْيَـا أمّـه وكـذا أبـاه لإيمانٍ به فضلاً لطيفَـا
فسلّـم فالقديـرُ بذا قديـرٌ وإن كان الحديث به ضعيفـا

موقف بعض الأساطين من قضية الإحياء :

وبعض **الأساطين** أيّده وشيده ، وأكده ، وأطّدة ، وقوّاه وشدّدَه ، ومهّدَ طريقه وسدّده ؛ بأنه وافق القاعدة التى اتفقت عليها الأمة كلُّها :

« أنه لم يؤتَ نبىٌّ معجزةً أو خصيصة إلا وقع لنبينا مثلُها » .

وقد أوتى عيسى إحياء الموتى من القبور ، فلابدّ أن يكون له نظيره ، وليس إلا هذه القصة فيما اشتهر من المأثور[٨] .

وقفة مع النص :

(٨) **الأساطين** : **أعمدة العلم** . والأساطين جمع أُسْطُوانة وهى العمود والسارية .

شيّده : شاده وأحكم بناءه وأعلاه ورفعه .

آظهره : أثبته وقواه .

النظير : المثل والمشابه .

المأثور : ما ورث الخلف عن السلف ــ والحديث المروى .

[٩]

وإن كان وقع له من هذا النمط : **نُطْق الذراع** ، وحنين الخشبة من الأجذاع ؛ فإن قصة الأبوين أقرب إلى المماثلة ، وأنسب **بالمشاركة** .

ومن الأصول المحَرَّرَة :

« أن الحدث الضعيف يتقوى بموافقة القاعدة المقررة » .

ما ذهب إليه بعض المحققين :

وذهب محققون فى شأنهما إلى ما هو أقوى مدركا ، وأصح مسلكا وهو :

أن حكمهما حكم من لم تبلغه الدعوة من أهل الفترة ، إذ لم يثبت أنهما دُعِيا وعاندا ، وكل مولود يولد على الفطرة ، ومع **ضميمة** أنهما قبضا فى **إبانِ** الشباب ، ولم يبلغا سن من بلغ الأحقاب .

فلم يسع عمرهما الوقوف على الأخبار ، بالإخبار من الأحبار ، والفحص عنها إلى الأسفار بالإسفار إلى حملة الأسفار .

وقد ورد فى أهل الفترة أحاديث صحاح وحسان :

بـ « أنهم موقوفون إلى الامتحان بين يدى الملك الديان »[٩] .

وقفة مع النص :

(٩)

النمط : الصّنف أو النوع ، أو الطراز من الشىء .

الأجذاع : جمع جذع وهو ساق النخلة ونحوها والجمع أجذاع وجذوع .

نطق الذارع : حيث كلمت ذراع الشاة المسمومة رسول الله ﷺ وقالت له : «لا تأكلنى فإنى مسمومة» وهكذا حفظ الله نبيه ﷺ من شر تلك اليهودية التى دست السم فى شاة ذبحتها بعد صلح خيبر وقدمتها هدية لرسول الله ﷺ .

وحنين الخشبة من الأجذاع : حينما وقف رسول الله ﷺ يخطب على المنبر فى أول خطبة له عليه سمع من فى المسجد صوتاً ينبعث من جذع النخلة كصوت الناقة التى انتزع منها ولدها الصغير ؛ وذلك لأن الرسول ﷺ كان يقوم بجواره حين يخطب ، فأتى رسول الله ﷺ إلى الجذع ومسح عليه بيده فسكت وسكن .

المشاكلة : المماثلة .

الحديث الضعيف . هو الحديث الذى لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ، ولا

بقية الهامش رقم [٩] :

صفات الحديث الحسن ، إنه أدنى فى سنده من رتبة الصحيح والحسن ، أو وجد فيه علة قادحة .

القاعدة المقررة : وهى أنه « لم يؤتَ نبى معجزة أو خِصِّيصَةً إلا وقع لنبينا مثلها » .

ضميمة : الضميم ما يضم إلى غيره . إبان : أوان .

[١٠]

فمن سبقت له السعادة أطاع ودخل الجنان ، ومن سبقت له الشقاوة عصى وأدخل النيران .

ومن هنا نشأت قاعدة « من لم تبلغه الدعوة » .

وأطبق على نجاته من له بمذهب الإمامين : الشافعى والأشعرى قدوة .

وأجابوا عن الأحاديث التى بعضها فى صحيح مسلم بأنها منسوخة بالأدلة التى بنوا عليها قاعدة « **شكر المنعم** » . .

وقد أوردوا على ذلك من التنزيل أصولا :

منها — قوله تعالى : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ [الإسراء/١٥] .

وقال تعالى — فى بيان أنه لا يعاقَب أحَدٌ قبل البعثة ولا يجزى —: ﴿ **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نَذِلَّ ونخزى** ﴾ [١٣٤/طه] .

وقال تعالى فى سورة «**طسم تلك آيات الكتاب المبين**» : ﴿ **ولولا أن تصيبهم مصيبة بماقدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين** ﴾ [٤٧/القصص][١٠] .

وقفة مع النص :

(١٠) **الشافعى** : هو محمد بن إدريس الهاشمى القرشى أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة كان أعلم الناس بالفقه والقراءات ، كما كان أشعر الناس وآدبهم ، وأذكاهم ، له

مؤلفـات كثيرة منها : كتاب « الأم » فى الفقه . والصحيح من الأقوال عند الشافعية : أن أهل الفترة ناجون .

الأشعرى : هو المفكر الإسلامى : أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى من نسل أبى موسى الأشعرى . استطاع أن يصدر أحكاماً فى قضايا العقائد فى جو من الاعتدال والصفاء بعيداً عن التهور والاندفاع . حيث كان معتزلياً أول الأمر ثم رجع إلى مذهب السلف الصالح فى أكثر مسائل الخلاف ، بل إنه صرح باتباع الإمام أحمد بن حنبل .

أطبق : أطبق القوم على كذا : اجتمعوا عليه متوافقين .

فى كتاب : «التعظيم والمنة» ساق السيوطى أحاديث وردت فى أهل الفترة ثم قال : وهذه الأحاديث هى العمدة فى المسألة وكل ما شابهها وعليها بنى الفقهاء أصولهم ومذاهبهم فى أنه لا حكم قبل البعثة ، وهى ناسخة لكل حديث خالفها فلا يحكم على أحد معين من أهل الفترة أنه فى النار إلخ» وقال : فى مذهب أهل السنة فيمن مات قبل الدعوة : قال أهل الأصول قاطبة : شكر المنعم ليس بواجب عقلاً خلافاً للمعتزلة . وفسر المراد بشكر المنعم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى من الكفر وغيره .

وربما طالع بعضهم كتب المعتزلة فاستحسن عبارة «شكر المنعم واجب» فذهبوا إليها غافلين عن تشعبها عن أصول القدرية .

قال ابن السبكى : وعلى مسألة شكر المنعم يتخرج مسألة من لم تبلغه الدعوة فعندنا يموت ناجياً ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام .

[١١]

وقال تعالى فى هذه السورة ــ وبه استدل العالمون :

﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ [٥٩/القصص] .

وقال تعالى فى عدم تكليف الغافل ، وبه قال النّاقلون : ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مُهلك القرى بظلم وأهلُها غافلون ﴾ [١٣١/الأنعام] .

وقال تعالى فى هذه السورة وهو أصدق القائلين :

﴿ **أن يقولوا إنما أنزل الكتابُ على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين** ﴾ [١٥٦/الأنعام] .

وقال تعالى فى سورة الشعراء تنبيها للعالمين : ﴿ **وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين** ﴾ [٢٠٨/الشعراء] .

وقال تعالى ــ **قطعا لعذر الكفار** حيث لا يجدون فى النار من نصير ــ:

﴿ **وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكّر وجاءكم النذير** ﴾ [٣٧/فاطر] .

وبالجملة فهذه القاعدة مقطوع بها عندنا فى الفقه والأصول . مستغنية لشهرتها عن أن يورد فيها شئ من النقول[11]

وقفة مع النص :

(١١) قال السيوطى فى «التعظيم والمنة فى أن أبوى النبى فى الجنة» أورد الشركسى فى جمع الجوامع لقاعدة أن شكر المنعم ليس بواجب عقلاً ثلاثة أدلة من القران هى قوله تعالى :

١ ــ ﴿ **وما كنا معذبين ...** ﴾[١٥/ الإسراء] . وقوله سبحانه : ﴿ **ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم** ﴾ [القصص / ٤٧] . ٣ ــ وقوله تعالى : ﴿ **ذلك أن لم يكن ربك مهلك القُرى ..** ﴾ [الأنعام / ١٣١] . ثم ساق السيوطى ما أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسير الآية الأخيرة .

ثم ذكر آيات واردة فى هذا المقام وذكر تفسيرها عن قتادة والسُّدّى فليرجع إليه .

[١٢]

ونظير هذا : نسخ تعذيب أطفال المشركين بما هو أحرى وهو قوله تعالى : ﴿ **ولا تزر وازرة وزرَ أخرى** ﴾ [١٨/فاطر] .

وعلى هذا التخريج يحمل ما لوّح به حديث الحاكم وصححه عن ابن مسعود ، أنه ﷺ سُئل عن أبويه فقال :

« ما سألتهما ربى فيطيعنى فيهما وإنى لقائم المقام المحمود » فلوّح بأنه يرتجى لهما فى ذلك المقام الشفاعة ، وليست إلا فى التوفيق عند الامتحان للطاعة .

وعلى ذلك يحمل حديث ابن عمر فيما رواه تمام فى فوائده المروية :

« إذا كان يوم القيامة شفعت لأبى ، وأمى ، وعمى ، وأخ لى كان فى الجاهلية » .

والمراد : أخوه من الرضاعة ، وهو ابن حليمة السعدية . وقد تأوله المحب الطبرى فى حق عمه على أنها شفاعة فى التخفيف كما فى مسلم .

ولابد من هذا التأويل فى حقه ؛ لأنه أدرك البعثة ولم يسلم[١٢] .

وقفة مع النص :

(١٢) لوح : أشار .

[١٣]

مسلك الإمام فخر الدين الرازى :

وسلك الإمام فخر الدين الرازى مَسْلَكاً آخر فى غاية التبجيل والتعظيم فقال : إنهما لم يكونا مشركين بل كانا على التوحيد وملة إبراهيم .

وزاد : أن أجداده ﷺ كلهم إلى آدم كذلك ، سالكون من التوحيد فى أقوم المسالك .

أدلته :

واستدل بما فى التنزيل الذى هو قرة العابدين :

﴿ **الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين** ﴾ [٢١٩/الشعراء] .

وبقوله تعالى : ﴿ **إنما المشركون نجس** ﴾ ٢٨/التوبة] فذلك صفة الكافرين

وقد قال ﷺ : **« لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين »** . ولقد استقريت أحوال أجداد سيد بنى قصى ، فوجدتهم متقين من آدم إلى مُرّة بن كعب بن لؤى .

إلا أنه يستثنى منهم « آزر » إن كان والد إبراهيم ، وإن كان عمه ـــ كما رَجّحه الإمام ، وقال به جماعة من السلف ـــ فالأمر على التعميم[13] .

وقفة مع النص :

(١٣) أفرد أبو نعيم فى دلائل النبوة باباً لذكر فضيلته ﷺ بطيب مولده فقال : حدثنا أبو بكر بن حميد ـــ بسنده ـــ عن على بن أبى طالب أن النبى ﷺ قال : « **خرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح من لَدُن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى لم يصبنى من سفاح الجاهلية شئ** » .

وعن محمد بن سليمان .. عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **لم يلتق أبواى فى سفاح لم يزل الله عز وجل ينقلنى من أصلاب طيبة إلى أرحام طاهرة صافيا مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما** » .

[١٤]

وقد صحت الآثار بأنه لم يكن بين آدم ونوح نسْمةٌ جاحدة وهو معنى ﴿ **كان الناس أمة واحدة** ﴾ [٢١٣/البقرة] .

وفى التنزيل حكاية عن نوح داعيا مؤمنا :

﴿ **رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا** ﴾ [٢٨/نوح] و« سام بن نوح » قيل : إنه نبى ، وولده « أرفخشد » صِدّيق ، وقد أدرك جدّه نوحا وكان فى خدمته نعم الرفيق .

وفى طبقات ابن سعد :

أن الناس من عهد نوح لم يزالوا ببابل وهم على الإسلام ، إلى أن ملكهم نمرود بن كوش بن كنعان فدعاهم إلى عبادة الأصنام .

وأما العرب : فصحت الأحاديث فى البخارى وغيره لكل راو واع بأنه لم يكفر منهم أحد من عهد إبراهيم إلى عهد عمرو بن عامر الخزاعى ، فهو أول من عبد الأصنام ، وغير دين إبراهيم ، ورآه النبى ﷺ بسبب ذلك «**يجر قصبه فى النار**» .

قد نص العلماء على هذه الجملة ، ورونها الحَمَلَةُ فى عدة من الأخبار[١٤] .

وقفة مع النص :

(١٤) بابل : محافظة فى العراق قاعدتها الحلة لها خمسة أقضية : الحِلة . الهاشمية . المسيب المحاويل ، الهندية .

نمرود : هو ابن كوش بن حام ضرب به المثل بالجبروت والصيد .

[١٥]

وقد أخرج ابن حبيب فى تاريخه عن ابن عباس — وهو جدير بأن يجد له فى السير — قال :

كان عدنان ومعد ، وربيعة ، ومصر ، وخزيمة ، وأسد ، على ملة إبراهيم ؛ فلا تذكروهم إلا بخير .

وفى الروض الأُنُف حديث :

« لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنا »

وناهيك به بيانا .

وفى دلائل النبوة لأبى نُعيم :

إن كعب بن لؤى أوصى ولده بالإيمان بالنبى وكان ينشد إعلانا :

يا ليتنى شاهـدأ فحـواءَ دعوتـه إذا قريش تبغـى الحق خذلانـا

وأما كِلابٌ وقُصَىّ وعبد مناف وهاشم ؛ فلم أظفر فيهم فى واحد من الجانبين بنقل جازم .

الرأى فى عبد المطلب :

وأما عبد المطلب ، ففيه خلاف : والأشبه أنه من أهل الفترة ، وممن لم تبلغه الدعوة كرّة[١٥] .

وقفة مع النص :

(١٥) البيت في دلائل النبوة :

ياليتني شاهداً فحواء دعوته حين العشيرة تبغى الحقّ خذلانا

[١٦]

وقد استشهد أولئك القبيل بقوله فى قصة أصحاب الفيل :

لا هُمّ إن المرءَ يمنــــــــــعُ رحلَــهُ فامْنَــعْ رِحَــالَك
وانصُرْ على آلِ الصليـــــــــب وعابديــه اليــــوم آلك

وقد استدلّ مجاهد وسفيان بن عيينة على استمرار التوحيد فى ذرية إبراهام بقوله تعالى :

﴿ **وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام** ﴾ [١٢٦/البقرة] .

وصَحّ فى تفسير ابن المنذر عن ابن جريج ــ وهو العالم الأواه ــ فى قوله :

﴿ **رب اجعلنى مقيم الصلاةِ ومن ذريتى** ﴾ [٤٠/إبراهيم]

قال : فلن يزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله .

وورد عن ابن عباس ، ومجاهد وابن قتادة بسند نعتمده فى قوله تعالى : ﴿ **وجعلها كلمة باقية فى عقبه** ﴾ [٢٨/الزخرف] .

قال : الإخلاص والتوحيد . لايزال فى ذريته من يوحد الله ويعبده(١٦)

وقفة مع النص :

(١٦) ذكر ابن هشام فى السيرة النبوية البيتين بلفظ :

لا هُمّ إن العبد يمنــــع رَحْلَه فامنع حِلالك
لا يَغْلِبَـــنّ صَليبهم ومِحَالُهم غَدْواً مِحَالَك

بقية الهامش رقم [١٦] :

زاد الواقدى :

إن كنت تاركهم وقبـ ـلتنا فأمرما بدا لك

قال ابن هشام هذا ما صح منها .

وزاد السُّهيلى فى الروض الأُنف :

وانصر على آل الصليـ ـب وعابديه اليوم آلك

ولاهُمّ : أصلُها اللهم ، والعرب تحذف الألف واللام منها وتكتفى بما بقى ، كما تقول : لاهِ أبوك . وأنت تريد : لله أبوك . الحِلال (بالكسر) : جمع حِلّة ، وهى جماعة البيوت ، ويريد هنا : القوم الحلول . الحِلال أيضاً متاع البيت ، وجائز أن يكون هذا المعنى الثانى مراداً . غدوا : غدا . وهو اليوم الذى يأتى بعد يومك ولم يستعمل تاماً إلا فى الشعر . المِحال : القوة والشدة .

والرّحل : المنزل والمأوى وجمعه رِحَال .

[١٧]

وما أحسن قول الحافظ بن ناصر الدمشقى :

تنقّل أحمدُ نوراً عظيما تلألأ فى جباه الساجدينا
تقلّب فيهمُ قَرْناً فقرناً إلى أن جاءَ خير المرسلينا

هذه خلاصة النقول والأدلة ، وهى بدور مسفرة ، لا نجوم أو أهلة .

شرحت صدور الأصحاب ، وأشرقت إشراق الشمس فى الظهيرة ليس دونها سحاب .

فمن أَمّ لها وتأمّلها ، وألقى فكره ومالها ، ونظر إليها منصفاً ، وضح له منها ما خفى .

ومن قوى عنده غير ذلك ، وترجح فى نظره ما هنالك ، فدونه وما شاء دون إنكار ، فليس فى الاختيار ولاية إجبار .

فإن كان ممن إذا نظر فى الأدلة مازها ومازها ، وإذا قام قومة الرجال ماسها ،

وماسَهَا ، فليختر لنفسه أىّ قول ، ولْيَركب فى ترجيحه كل هول ، ولْيُنفق فى نُصْرته من سَعَةِ يده إن كان ذا **طول** .

وإن قصر باعه ، وانحصر اطلاعه ، فمدّ لسانه إلى **البذا** وتناول بالشتم والأذى ؛ فإنا لله ، ولا حول[17] .

وقفة مع النص :

(١٧) وشتان بين البدور والأهلة والنجوم . فليس ما اكتمل نوره كالناقص .

أمّ لها : قصد . وتأمّلها : أحسن النظر فيها وبين الكلمتين جناس .

مازها : ميزها وفرزها . ومازها : لم يتملكه الزهو والعجب .

ماسها : كثّرها ، وعدها . وماسها : لم يطرأ عليه السهو .

الطَّوْل : الفضل والقدرة والسعة والعُلُوّ .

البذا : البذاء بالمد الفُحْش ، وفلان بذىء اللسان والمرأة بذية .

[١٨]

وإن رام بزعمه أن أرجع عما اخترته ، فلو قطّعت إِرْباً إِرْباً ما رجعت ، ولم أقصد سوى .

﴿ **إن أريدُ إلّا الإصلاحَ ما استطعت** ﴾ [٨٨/هود] .

موقف السخاوى مما أفتى به السيوطى :

ولقد وصل إلىّ عن رجلٍ من أهل الحديث ، وممن سعى فيه طول عمره السعى **الحثيث** أنه ذُكِرَ له ما قلته فصاح ! وأعرض بوجهه **وأشاح** ، وأجرى من فمه سيلا ، وجرّ من لسانه ذيلا ، وكسا وجه الصباح ليلا ، وكاد يطير مع **بناتِ نعش** ، **وحاص** حيصة حُمُرِ الوحش ، ثم زأر وشذر فى النظر ، وكلح بوجهه وبسر ، وقال فحشا وهجر ، وهذى فى منطقه وهذر ، وصرّح بأنهما ـــ نعوذ بالله ـــ من أهل سقر ! .

وذكر أنه نزل فيهما من القرآن الكريم :

﴿ ولا تُسألُ عن أصحاب الجحيم ﴾ [١١٩/البقرة] .

فقلت للناقل : لم لا لجأت إلى وَزَر ، وهلا ألقمت فاهُ من كلام شيخه ــ وهو الركن المشيد ــ بالحجر ، وأطفأت النار التى أوقدها مَنْ زَفَر بزُفَر من زُفَر(١٨) .

وقفة مع النص :

(١٨) كان ابن الكركى قد انتقد السيوطى لما كتبه فى نجاة والدى الرسول ﷺ فكتب مقامة أنشأها فى هجوه سماها « طرز العمامة » وهو هنا يرد على السخاوى وغيره .

الحثيث : أى المسرع فى حرص .

أشاح بوجهه : أعرض مبدياً كرها أو ازدراء .

جر من لسانه ذيلاً : أطاله فى فخر وخيلاء .

بنات نعش: نعش كواكب تشاهد جهة القطب الشمالى . شبهت بحملة النعش وجاء فى الشعر : بنو نعش .

حاص : حام ، وأخذ يلف ويدور .

زأر : كالأسد . شزر : نظر نظرة الغضبان بمؤخر عينيه

كلح وبسر : الكُلوح تكشر فى عبوس . وكذلك بسر الرجل وجهه .

كلح به (وبابه : دخل) يقال : عبَس وبَسَر .

حثا وهجر : حثا : رمى بالتراب وصَبّه والهجر : الهذيان والقبيح من القول .

هذر : تكلم بما لا ينبغى .

سقر : اسم من أسماء جهنم .

وزر : ملجأ وحِصْن ويعنى نفسه فهو مرجع فى الفُتْيا .

المشيد بالحجر : القوى البناء والملجأ الحصين .

مَنْ زفر : من أخرج نفسه بعد مدّه إياه .

بزفر : البحر والنهر الكثير الماء .

وعلمت أنه يضرب فى حديد بارد إذا ضربنا نحن فى ذهب ذائب ، ويرمى عن وتر منقطع إذا فوقنا نحن كل سهم صائب .

توجيه ولفت نظر !!

ولو أنه اقتصر على ذكر المنقول من غير سفه لم يكن عليه من باس ﴿ **إنما السبيل على الذين يظلمون الناس** ﴾ [٤٢/الشورى] .

- أفرحاً بالعُلُوّ ، أم تجاوزاً إلى حدّ الغلُوّ ؟!
- أم إعظاماً لنفسه واستكباراً ، واحتقاراً لغيره واستصغارا ؟!
- أأتقن « **قاعدة شكر المنعم** » التى مبنى هذه المسألة عليها ؟!
- أأحكم « **قاعدة التحسين والتقبيح** » التى مرد هذه القاعدة إليها ؟!
- أدرى حكم الأفعال قبل البعثة هل توصف بالتشديد أو التخفيف ؟!
- أعلم فن الأصول ، وقواعد الاستدلال والترجيح عند تعارض النقول ؟!

لاتحسَبِ المجدَ تمراً أنت آكلُـــــه   لن تبْلُغ المجدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِـرا(١٩)

وقفة مع النص :

(١٩) يضرب فى حديد بارد : كناية عن عدم النفع ، ويضرب المثل لمن يحاول الانتفاع بمن ليس عنده نفع وعكسه فى ذهب سائل . يرمى عن وترَ منقطع : الوتر مُعَلّق القوس ولا رمى إذا كان الوتر منقطعاً . إنه جهد ضائع وعمل غير صائب .

باس : بأس مخففّة الهمزة . والبأس الحرج والمشقة .

قال أهل الأصول قاطبة : شكر المنعم ليس بواجب عقلاً خلافاً للمعتزلة والمراد به امتثال الأوامر واجتناب النواهى من الكفر وغيره ويتخرج عليها مسألة من لم تبلغه الدعوة كما قال السبكى فعندنا يموت ناجياً ولا يقاتل حتى يُدْعى إلى الإسلام .

أطبقت الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية من الفقهاء على : أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً وأنه لا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام ، وأنه إذا قتل يضمن بالدية والكفارة .

بقية الهامش رقم [١٩] :

الصَّبِر : عصارة شجرٍ مر .

[٢٠]

إنكار السخاوى على السيوطى فتواه !! وما دار بينهما حول رؤية الأنبياء يقظة :

● أنسِى ما بدا منه من بُرهة فى مسألة **رؤية الأنبياء يقظة** ، وما أنكره علىّ من إفتائى بإمكانها كما نصّ عليه الأئمة والحفظة ؟!؛ فبادر بقوله : إن ذلك مستحيل ، وأخذ يغبر فى الوجه الجميل ، ويفرح بكثرة القال والقيل .

ما يؤدى إليه هذا الإنكار !

وما شعر أن هذا القول يئول ـ إلا لمن يعذر بجهله ـ إلى كفره ، وينبىء ـ تعالى الله علوًّا كبيرا ـ عن استقصار لقدره !

عدول

ثم لما شددت عليه النكير ، وبلغه أن ذلك يلزم منه ـ والعياذ بالله ـ التكفير ، بدّل قوله وحوّل ، وقال : إنما أنكرت دعوى الإجماع وتأوّل ؛ فكان قوله الثانى أشد سوءاً من الأول .

لأن صلاحية القدرة للممكنات لا يختلف فيها اثنان ، ولا تتجزى .

ومن لا يميز بين الجائز والمستحيل ، فسكوته عن الإنكار أحلى ، وتصديقه له أخزى ، وقد قلت فى تلك الواقعة :

رؤيَةُ الأنبياءِ بَعْدَ المماتِ — أدخلوها فى حَيِّزِ المكناتِ
قُلْ لمن قال : إنه مستحيلٌ — اترك الخوض عنه فى الغمراتِ
أنت لا تعرفُ المحالَ ولا المـ — ـكنَ ، لا ما بالغير أو بالذاتِ
فاحترز أن تزِلَّ زَلةَ كُفْرٍ — وتوقَّ مواقعَ الزلاتِ[20]

وقفة مع النص :

(٢٠) البُرهة : المدة من الزمان .

الغمرات جمع غمرة : الشدائد والمكاره والضلالات التى تغمر صاحبها .

[٢١]

عود على بدء :

ونعود إلى ما نحن فيه ، ليتَ شِعْرى ما الذى أنكره عَلَىّ ؟!

وفوّق بسببه سِهَامه إلىّ ؟!

- أترجيح جانب النجاة ؟!
- أما لى فيه من سلف صالح ؟! .
- أما تقدمنى إليه من أئمةٍ كلٌّ منهم لو وزن بالجبال فهو عليها راجح ؟

فإن اعتذر بعدم الوقوف كان عذره جليا !

أو بالنسبان فقد خلق الإنسان نسيا !

وَمَا سُمِّىَ الإنسانُ إلا لنَسْيِهِ ولا القلبُ إلا أنه يتقلّب

- وهل يُسْتَبْعَدُ على من أنجى الله به الثقلين ، أن ينجىَ به الأبوين ؟!

فإن استبعد هو ذلك فليست الشدة بأرجح من الرخاء وإن استكثر ذلك فإنه لبخيل حيث شحّ بأجمِل الأمرين وهو السخاء !

شحّ السّخاوى بالإنجاء يذكره عن والدى سيد الأنبياء والأُمَم

إن عزّ أن يبلغ البحر الخضم روى ياليته ليستقى من وابل الدِّيَم

أم ظن أنى أقدمت على الترجيح لا لمستند ، أو بمجرد التشهى من غير دليل معتمد ؟!

معاذ الله ! بل لما قام عندى من أدلة قاطعة ساطعة ناصعة لامعة ، جامعة مانعة ، هامعة رائعة ، صارعة قامعة ، بارعة باقعة ، جازمة لازمة ، مثبته هازمة صحيحة صريحة ، متعبة مريحة ، حاصرة فصيحة ، تامّة عامة ، كاملة شاملة ، كافلة حافلة ، تجزم ولا تجزم ، وتهزم – إن شاء الله – ولا تهزم !

أتُمسى القــوافى تحت غير لوائنــا ونحن على قوالها أمـــــــــراء ؟!

- أم أنكر علىّ السكوت عن القول الآخر ، ورام منى أن أجريه على الألسنة ، فياسُبحانَ الله ! مالى ولحكايته .
- أنائم أنا أم فى سِنة ؟
- أما أكوْن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ؟!
- أما يحق لى أن أضرب بينى وبينه بسور له باب ؟!

باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب !

أما أولا : فلأن العلماء أرشدوا فى مثل هذا إلى الصمت ، وعدوه من حسن الأدب والهدى والسّمت .

وأما ثانيا : فلأن السائل عن ذلك ممن يقرأ المُعَاد ، ويستطرد فى الكلام ، ويحضر عليه النساء والعوام ، ومن هم بعيدو الأفهام ، ومن هم حديثو عهد بالإسلام !!

أفأكون سببا فى وصول ذلك إلى أسماعهم ، ووسيلة إلى تحدثهم به مع نقص أفهامهم وجفاء طباعهم ؟!

كلا ــ والله ــ لكل مقام مقال ، وما كل ما يُعْلَم يقال !

وقد روى البيهقى فى شعب الإيمان عن بعض السلف قال :

- **« من كان عقلُه أصغر من علمه قتله علْمُه »** .
- **« ومن تكلّم بكل ما يعلم هُدِرَ دَمُه ، وكثُر ذَمُّه »** .

ثم ياليت شعرى أى غرض لى فى ذلك ، أيتعلق به أصل من أصول الدين يخشى من السكوت عنه ضياع أو زلل ، أم عبادة فيحصل بالصمت عنه فساد فيها أو خلل ؟!

أم عقد مالىّ فيؤدى إلى اختلاله ؟!

- أم نكاح فرج فيفضى إلى استحلاله ؟!
- أم دم يُخَافُ من كتمه أن يُسْفك ؟!
- أم عِرض يحذر من ستره أن يُهتك ؟!

كلا .. بل الأدب مطلوب ..

والصمت عن كثير من الأشياء واجب أو مندوب .

ترك الأمور التى تُخشى عواقِبُها ... فى الله أحسن فى الدّنيا وفى الدّينِ

نقض ما استدل به السخاوى :

وأما احتجاج المنكر فى هذا المقام العظيم بأنه نزل فيهما : ﴿ **ولا تُسْأَلُ عن أصحاب الجحيم** ﴾ [١١٩/البقرة] فنقول :

قد تقرر فى علوم الحديث :

أن « سبب النزول » حكمه حكم الحديث المرفوع ، لا يقبل منه إلا الصحيح المتصل الإسناد ، لا ضعيف ولا مقطوع .

وهذا السبب لا يعرف له فى الدنيا إسناد صحيح متصل يذكره ، والمنكر يعرف ذلك ويعترف به إذا عُرِض عليه ولا ينكره .

فإن احتج فى التعذيب بضعيف فأحاديث النجاة مع كونها أمثل منه أولى بالقبول .

وإن تشبث فى النيران « بهذا المقطوع » ، فهلا تشبث بالجنان بذاك الموصول ؟

مع ما ينضم إلى ذلك من حيث بلاغة الخطاب أن الآيات ـــ من قبل وبعد ـــ كلها فى أهل الكتاب ، من قوله :

﴿ **يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم** ﴾ [الآية رقم ٤٠] أولا .

إلى قوله : ﴿ **يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم** ﴾ المتلوّة بقوله : ﴿ **وإذا ابتلى** ﴾ [١٢٤/البقرة] .

ولهذا ختمت القصة بمثل ما صدرت .

وكرر نداء بنى إسرائيل إيذانا بالختم لطولها حين تقررت فدَلّ على أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب ، الحائدون عن الإنابة والمثاب .

ما يُؤكّد أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب :

ويؤكد ذلك :

[١] أن السورة مدنية ، خوطب فيها من بنى إسرائيل الذرية ، وأكثر ما خوطب فيها اليهود ، الناقضون مافى التوراة من العهود .

[٢] ويشهد له من المنقول ما أخرجه الفريابى ، وعبد بن حميد عن مجاهد أحد أئمة التنزيل قال :

« من أربعين آية من سورة البقرة إلى عشرين ومائة فى بنى إسرائيل » .

[٣] ويرشح ذلك من المناسبة اللفظية والمعنوية أن الجحيم اسم لما عظم من النار كما هو مقتضى اللغة والآثار المروية :

أخرج ابن أبى حاتم عن أبى مالك أحد التابعين الأبرار فى قوله تعالى : ﴿ **أصحاب الجحيم** ﴾ [١١٩/البقرة] .

قال : الجحيم : ما عظم من النار .

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر عن ابن جريج فى قوله : ﴿ **لها سبعة أبواب** ﴾ [٤٤/الحجر] .

قال : أولها : جهنم ، ثم لظى ، ثم الحُطَمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية .

قال : والجحيم فيها أبو جهل الحواب .

فاللائق بهذه المنزلة من عظم كفره ، واشتد وزره ، وعاند عن علم ويقين ، وبدّل ما عنده من الكتاب المبين .

وجحد بما يعلمه وأنكر ، وحَرّف ما فى التوراة وغيّر ، وكذّب رسول الله ﷺ فى رسالته ، وهو مأمور فى كتابه بتصديقه واتباعه ، وطاعته .

ولا يليق ذلك بأهل فترة لا علم عندهم ولا كتاب ، ولا عناد ، ولا تبديل لشىء من الخطاب .

فإن هذه الدركة ليست لهذا القبيل خصوصاً من المصطفى ﷺ بسبيل أى سبيل .

وقد صحّ فى أبى طالب : «**أنه أهون أهل النار عذاباً**» ؛ لما حازه به من بره وقرابته اقتراباً .

هذا مع امتداد عمره ، وامتناعه من طاعة أمره ، فماظنُّه بأبويه اللذين هما أشدُّ قرباً ، وآكد حُبًّا ، وأقصر عمراً ، وأبسط عذراً !!

فمعاذ الله أن يكونا فى طبقة الجحيم ، وأن يشدد عليهما العذاب العظيم .

هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق سليم .

الأحاديث القائلة بالتعذيب :

وأما قول المنكر :

إنه وردت أحاديث كثيرة فى عذابهما ، فقد وقفت عليها بأسرها ، وبالغت فى جمعها وحصرها ..

- وأكثرها ما بين ضعيف ومعلول .
- والصحيح منها منسوخ بما تقدم من النقول .
- أو معارض فيطلب الترجيح على ما تقرر فى الأصول .
- وقد أتى بعض أئمة المالكية بجواب ساطع فقال : **هذه أخبار آحاد لا تعارض القاطع .**

وليت شعرى ماذا يقول المنكر فى أطفال المشركين ، والخبر بأنهم فى النار متين مبين ؟!!

فإن قال بمقتضاه فقد أكبر القول ، وأعظم الهول !

وإن قال بقول الناس ، ورفع عنهم الباس ، فقد سلّم العدول عن الأخبار الواردة بأنهم فى النار ، وليس إلا لكونها من المنسوخ عند أهل التحقيق والرسوخ ، وذلك بالشفاعة الواقعة من المصطفى ﷺ فيهم حيث قال : « **سألت ربى اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم** » وقد وقع الناسخ للأطفال .

ومن لم تبلغهم الدعوة مقترنين نزولاً فى قوله تعالى :

﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نَبْعَثَ رسولا ﴾ .

فالجملة الأولى : نسخت تعذيب الأطفال .

والثانية : نسخت أخبار التعذيب قبل الإرسال .

فانظر إلى هذه الأسرار المودعة فى نظم القرآن والمناسبات المبدعة فى ترتيب الفرقان .

قل للسخاوى :

إن تعـــــروك مشكلـــــــة علمى كبحر من الأمواج مُلْتطم

قول على قول :

فإن قال : قد تقدمت دعوة عيسى .

قلنَا : لم يثبت أنها وصلت إليهما ، ولا وجدا من يخبرهما بها ، ويكشف أمرها لديهما .

ولو كان تَقَدُّمُ ذلك يمنع ما تقرر لم يوجَد فى الدنيا أهل فترة فى زمان محرر ؛ فإن الأنبياء قبل عيسى مبعوثون فى أقطار العالم ، وما من فترة متقدمة إلا وقبلها نبى إلى آدم .

وليس قبل آدم بشر يتعلق بهم أحكام ، من كفر أو إسلام ، أو حلال أو حرام .

فإن اعتبرنا تقدّم بعثة مَّا وإن لم نصل إليهم استحالت أحاديث أهل الفترة ؛ إذْ لم يوجد بهذا الوصف قوم يحكم بها عليهم .

ولا شك أن ألفاظ الأحاديث صريحة ، ومبانيها فصيحة ، فى أن المراد بأهل الفترة من كان بعد دثور شريعة عيسى وقبل بعثة نبينا السّرَاج المنير .

وهو ظاهر من قوله تعالى :

﴿ يٰأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ [١٩/المائدة] .

وقال المفسرون رأى العين : الفترة ما بين النبيين .

رأى ابن جرير :

وقال ابن جرير فى هذه الآية القول الحسن :

الفترة : «انقطاع الرسل بعد مجيئهم»

مِنْ فَتَر الأمر : إذا هدأ وسكن .

قول الجوهرى فى الصّحاح :

وقال الجوهرى فى الصحاح قولاً أبانه :

الفترة : ما بين الرسول من رسل الله سبحانه ، فلا تكون فترة حتى يتقدمها دعوة رسول ، ثم يتمادى الزمان فيدثر أمْرُها ويطول .

حديث الحاكم :

ولفظ حديث الحاكم ــ وهو على شرط الشيخين ــ صحيح الإسناد ؛

«إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم ...» .

ثم ذكر بقية الحديث فى الامتحان وهو صريح المراد .

ما نص عليه الإمام الشافعى :

وقد نصَّ إمامنا : الإمام الشافعى ــ رضى الله عنه ــ، وهو بعد البعثة بمائتين من السنين :

على أن فى زمانه من لم تبلغه الدعوة وهم قوم وراء «الصِّين» .

فإذا وجد من لم تبلغه الدعوة بعد بعثة نبينا ﷺ بمائتى سنة ، والإسلام ظاهر ، والدين وافر ، فما ظنك بزمن الجاهلية التى عم فيه الكفر ، والجهل طبق الأرض ، وغلب فيها كل كافر .

المدار فى قضية التعذيب :

وبالجملة : فالمدار على بلوغ الدعوة وعدمه ، فمن لم تبلغه فهو ناج سواء كان قبل البعثة المحمدية أو بعدها .

ومن كان فى زمن الفترة وبلغته ، فهو فى النار إذا أصَرّ على العناد وردها .

وهذا القسم الأخير محل إجمال ليس فيه بين أحد من الخلق نزاع ، وهو الذى أشار إليه «النووى فى شرح مسلم» .

فمن عذره الله ورسوله فهو المعذور ، ومن يُهن الله فماله من مُكرِم .

وقد ذكر الأبىّ فى شرح مسلم هذه المسألة فأطنب فيها وأتقن وأحكم ، وقال :

«**أهل الفترة** : هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ، ولا أدركوا الثانى ، كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ، ولا لحقوا النبى ﷺ» .

قال : ثم أهل الفترة فيما ذكر عقيل بن أبى طالب ثلاثة أقسام :

الأول ــ من أدرك التوحيد ببصيرته ؛ سواء لم يدخل فى شريعة : كزيد بن عمرو ابن نُفَيْل ، أم دخل فى شريعة عيسى عليه السلام .

والثانى ــ من لم يشرك ، ولم يُوَحّد ، ولا دَخَل فى شريعة نبى ، ولا ابتكر لنفسه شريعة ، ولا اخترع ديناً ، بل بقى عمره على حال غفلة عن هذا كله ، تاركاً جميعه .

قال : وفى الجاهلية من كان كذلك وهم أهل الفترة حقيقة . قال : وهم غير معذبين للقطع كما قررنا طريقه .

والثالث ــ من أشرك ولم يوحد ، وبدّل وغيّر ، وشرع لنفسه فحلل وحرّم وهم الأكثر .

قال :

وعلى هذا القسم يحمل من صح تعذيبه .

أو يجاب بأنها أخبار آحاد لا تعارض القاطع كما تقدم تقريره وتهذيبه .

وزاد بعض من تأخر من أهل العلم :

أنه يجب إخراج الأبوين الشريفين من هذا القسم .

وقد وردت آثار أُخر يستأنس بها فى هذا المقام . وإن لم تكن نصًّا فى المرام :

كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس فى قوله تعالى :

﴿ولسوف يعطيك ربُّك فترضى﴾ [٥/الضحى] قال : « من رِضَا محمد ﷺ ألاّ يدخلَ أحد من أهل بيته النار » ، وبهذا العموم يقضى .

وما أخرجه أبو سعد فى شرف النبوة وغيره من حديث عمران بن حصين مرفوع المسالك .

« سألت ربى ألا يُدْخِل النار أحداً من أهل بيتى فأعطانى ذلك » .

وعموم اللفظ ــ وإن طرقه الاحتمال ــ معتبر ، وتوجيهه ما أشرنا إليه فى أوائل المقامة قبيل حديث ابن عمر .

ولهذا قال حافظ العصر أبو الفضل بن حجر قولاً جامعاً بين مراعاة الأصول والأثر :

« الظّن بآلِهِ كلِّهم من أهل الفترة أن يطيعوا عند الامتحان لتقر بهم عينه ﷺ فى الجنان » .

صرف النظر عن الأدلة الواهية :

ولو كنا نحب إيراد الواهيات كبعض من سلك ، لأوردنا حديثَ « أوحى إلىّ أنى حرمتُ النار على صُلْبٍ أنزلك وبطنٍ حملك » .

لكنى لا أحتج بمثل هذا ، ولا أستقطر منه وابلاً ولا رذاذاً ؛ فإن فى الأدلة القوية غنى عن واهٍ فيه تُكلِّم .

ومهما طلع البدر استغنى عن النجوم ، وإذا حضر الماء بطل التيمم .

قول فيمن ينكر !!

والذى نقوله فى أخينا هذا المنكر أنه غير مرفوع عن علم بالحديث ودين ، وما هو عن درجة الحفظ من المبعدين ؛ غير أنا كرهنا منه إطلاق اللسان ، والتغيير فى وجوه المعانى الحسان !

أما ورد الحث على طيب الكلام وحفظ الألسنة ، ﴿ **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة** ﴾ [٣٤/ فصلت] ؟!!

جعلنا الله ــ وإياه ــ من العلماء العاملين ، ونزع ما فى صدورنا من غِلٍّ وجمعنا فى الجنة إخواناً على سرر متقابلين ..

لماذا أنشأ السيوطى هذه المقامة ؟

وقد أنشأت هذه المقامة وسميتها « المقامة السندسية » وخدمت بها النسبة الشريفة المصطفوية الطاهرة القدسية ، ولى برهة منذ تَرَكْت الدخول فى شىء من هذه الأمور غير محصورة ولكن لم يسعنى التخلف عن هذه القضية فجعلتها كالمستثناة للضرورة !

وقد رجوت بها الفوز بجنات النعيم وتوسلت إلى مرضاة هذا النبى الكريم ، المحبّو بالتبجيل والتكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم وأتحفت بها كل ذى ذهن قويم ، وطبع سليم ، وفوق كل ذى علم عليم . ﴿ **فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم** ﴾

والحمد لله الذى بنعمته تتمّ الصالحات

فهرس الكتاب

الموضوع | الصفحة



رقم الايداع ــ ٣٨٧٢ ــ ٨٩ ــ

مكتبة ابن سينا

للنشر والتوزيع والتصدير

٧٦ شارع محمد فريد - جامع الفتح - النزهة

مصر الجديدة القاهرة ت ٢٤٧٩٨٦٣ / ٢٤٨٠٤٨٣

٥٠٠ قرش